مَهزَلة العَقل الدِّيني

يا أُمّةً ضحِكت!!

حسين علي الجبوري

هذا الكتاب

يعجب المطّلع على تاريخ الحركات الإصلاحية والمذاهب والأديان السماوية بكل الأفكار والأديان، دون استثناء، أن يمرّ قرن واحد على ولادتها، حتى تتباين الأفكار والسمات، لتأخذ فكر المحيط الذي ولدت فيه، وتنشأ طبقات من المنظرين الذين يرسمون وجهات نظرهم كأساس للدين، فينشأ مذهب جديد، ويتحزب مؤمنون، قسم منهم لما فهموه من المعتقد، وقسم للرأي الجديد، وتتكرّر هذه الانشقاقات إلى جزئيات تبلغ أحيانًا، بمرور الأجيال، إلى فكر مناقض للأصل مدعيًا أن أصحابه هم (أهل الحقّ)، ويدّعي معظم المذاهب في كل الأديان اليوم بأنهم يمثّلون (أهل الحق) وأنّهم على الصراط والدّين الذي جاء به نبيُّهم، وتضفي الروايات والأحاديث التي لم يقلها النبي أو قالها ثم حرّفها الرواة، بل حتى الكتب السماوية أخذت منها التفاسير مآخذ تبدو مضحكة حتى للقارئ البسيط، خذ مثلاً ما جاء في تفسير الجلالين في أمر الله عزّ وجلّ بالصلاة للمسلمين، فبعد أن تبلّغ الرسول باستلام الأمر من السماء السابعة، وكان الأمر بخمسين ركعة، وتردّد رسولنا (عليه السلام) تسع مرات بين السماء السابعة والرابعة، حيث يوجد موسى (عليه السلام)، الذي يرجعه ثانية إلى السماء السابعة ليرجو ربّه إنقاص عدد الصلاة اليومية، ولكن الله عزّ وجلّ لا يخفض إلّا خمس صلوات كل مرة يعود بها خاتم النبيين (عليه السلام)، وبذلك يحتاج نبيّنا أن يتردّد تسع مرّات قبل أن يعود إلى قومه بخمس صلوات، وعموم الأسطورة تدلّ، والعياذ بالله من الكفر، أنَّ الله لا يقدّر قابليّة عباده، وخاتم النبيّين بهذه السّذاجة بحيث يأمره الله ثم يعود إليه راجيًا تغيير الأمر بطاعة أحد الأنبياء، وأنّ موسى أعلم من الله بالعباد!

isbn 978-9933-521-54-7

9 789933 521547

دار الوراق للنشر

AL Warrak Publishing

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادّته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت «الكترونية» أو «ميكانيكية» أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك. إلاّ بموافقة كتابية من الناشر ومقدماً.

All rights reserved. Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission in writting of the publisher.

- اسم الكتاب: مهزلة العقل الديني - يا أمةً ضحكت ! !

- التأليف: حسين علي الجبوري

- الطبعة الأولى: الورّاق للنشر 2015

- جميع الحقوق محفوظة

- تصميم الغلاف دار الورّاق

www.alwarrakbooks.com

WWW.FACEBOOK/WARRAKBOOKS.COM

warrak123@gmail.com

ISBN: 978-9933-521-46- 2

التوزيع

Alwarrak Publishing Ltd.
26 Eastfields Road
London W3 0AD-UK
Tel: 00442087232775
Fax: 00442087232775
warraklondon@hotmail.com

شركة بيت الورّاق
للنشر والتوزيع المحدودة
العراق بغداد شارع المتنبي
تلفون: 009647702749792
009647801347076

الفرات للنشر والتوزيع
بيروت الحمرا بناية رسامني طابق سفلي أول
ص.ب: 6435 - 113 بيروت لبنان
هاتف: 009611750054
فاكس: 009611750053
e-mail: info@alfurat.com

شركة دار الورّاق ش.م.م
بيروت خلدة طلعة مبرة الإمام الخوئي
بناية: موسى صالح
هاتف: 009611341927
فاكس: 009611750053

مهزلة العقل الديني
يا أمة ضحكت !!

تأليف
حسين علي الجبوري

المحتويات

الإهداء 11
تصدير 13
تمهيد 16
الفصل الأول: خرافة القصيدة (الـجلجلوتية) نظمها الله وأنزلها جبرائيل على النبي 19
التعريف بالقصيدة 19
شروح القصيدة 22
افتتان الناس بالقصيدة 23
كيفية نزول القصيدة على النبي ﷺ 24
اختفاؤها ورحلة البحث عنها 26
العمل بأحد أبياتها 27
شرح بعض ألفاظها 28
صور الاسم الأعظم فيها 30
الصورة الطلسمية 31
شرح السيد كاظم الرشتي أبيات الإمام الـمهدي 35
النجمة الـخماسية 37
النجمة السداسية 38
تاريخ النجمة السداسية ومفعولها السحري 40
خلاصة الكلام عن النجمتين 41

طلسم العصي 42
الصورة اللفظية للاسم الأعظم 44
أ ـ أهيا شراهيا 44
ب ـ أدوناي 46
ج ـ صَباوت.. 47
د ـ إل 48
هـ ـ شدّاي 48
أسماء عظمى لم ترد في القصيدة 49
أ ـ (يَهْوَهْ) 49
ب ـ (ياهُو) و(هُو) 51
ج ـ (الرحمن) و(الرحيم) 52
الاختلاف في تعيين الاسم 53
خاتمة المقالات 54
الفصل الثاني: كوميديا عنزة السيدة نفيسة.............................. 59
الفصل الثالث: تقديس حوافر الحمير 64
حافر حمار المسيح 64
حافر حمار العزير 65
سِرُّ العلامة السوداء على ظهور الحمير 68
الفصل الرابع: احتفالية كنسيّة لتكريم حمار 71
الفصل الخامس: حمار الأسود العَنسي 73
الفصل السادس: تقديس نعل الحصان في معتقدات السير نلسون والحاج حَسّان 76
توضيح العنوان 76
اتساع مساحة العقيدة 78
بداية توظيف العقيدة.. 78

قانون التماسّ 79

ألوهيةُ الحصان 80

الحصان في محيط الحاج حسّان 82

فكرة الحصان المجنّح 83

الحصان والكوائن الخفيّة 84

كيفية تعليق النّعل 85

الخاتمة 86

الفصل السابع: نعل الإنسان بين عقيدتي القداسة والنجاسة 88

عقيدة القداسة 88

عقيدة النجاسة 90

عقيدة التنجيس في التاريخ 91

الفصل الثامن: ظهور كَفن المسيح المفقود 93

كفن المسيح الأصلي في الأناجيل 94

كفن تورينو المزيّف 96

الفصل التاسع: المسيح المنتظر في صورة دجّال 99

الدجّال في المأثورات الإسلامية 100

دجّال اليهود (داود روبيني) 101

الفصل العاشر: (أستير ستانهوب) في انتظار المنتظر 104

الفصل الحادي عشر: ارتباط المنتظرين بالخيول 109

الفصل الثاني عشر: اختفاء المنتظرين 112

الفصل الثالث عشر: ظهور المنتظرين 116

تواصل الظهورات 116

صعوبة الظهور 117

هوية المنتظر في الديانتين اليهودية والمسيحية 117

المَسَيّا 119

شروط الظهور وفق الديانة الإسلامية.......................... 120
استنتاج 121
المهدي والمتمهدي 122
أشباه المهدي 123
كثرةُ المتمهدين وتباين أهدافهم 125
المتمهدي إلهاً 126
الباب 128
باب البابية.. 129
ما بعد الباب 131
نقضُ وجود المهدي... 132
النهاية البشعة لضياء عبد الزهرة............................... 136
ثقافة المتمهدي ضياء... 136
الحياة اليومية في مدينة أحلام عبد الزهرة........................ 139
الحياة اليومية في دولة المتمهدي السوداني 140
الفصل الرابع عشر: من مخاريق المفتين المضحكة 144
الفصل الخامس عشر: من سخريات الصراعات الطائفية.......... 148
إيضاح مهم 148
حجّةُ الشيخ الإباضيّ في كراهية الشيعة 150
غلاة الشيعة في بغضهم الشيخين................................ 151
عمر وعلي في ألفية ابن مالك.................................. 152
الفصل السادس عشر: أطرف فتاوى العصر الحديث.............. 154
تحريمُ أكلِ السنبوسة.. 154
أ ـ وصف السنبوسة 155
ب ـ دواعي التحريم... 156
ج ـ عقيدة تحطيم الثالوث في الخرافات المسيحية 156
تحليل ذبح الجنّي المتحوّل وأكل لحمه 157

أسطورة التحوّل 159
فتاوى تخصّ المرأة 161
الفصل السابع عشر: دخول النباتات في الصراعات الطائفية 165
مأساة (الملوخيةِ) بين الفاطميين والمصريين 165
حيرةُ (البقلة الحمقاء) بين عائشة وفاطمة الزهراء 167
الفصل الثامن عشر: الحرب الدينية على الطماطم 170
ارتباط الطماطم بالشيطان 171
ارتباط الطماطم بالصليب 172
كيف دخل الصليب في الطماطم 173
النبي محمد لا يعرف الطماطم وكذلك الأنبياء كافّة 174
الفصل التاسع عشر: التحليل الشرعي لانحراف النيكروفيليا 176
المحلّل 176
اشتهاء رائحة الإفرازات الكريهة 178
معنى النيكروفيليا 179
إحصائيات استبيانية 180
التاريخ والانتشار 181
عشتار في ممارسة النيكروفيليا 182
جارية عبد الملك تشتهي النيكروفيليا 183
الحيوان مع الحيوان 184
الحيوان مع الإنسان 184
الفصل العشرون: تقديس القبور المجهولة 186
مُمَهّدات التقديس 186
مساخر المحتالين 187
ضريح ابن المهدي المنتظر 187
كثرة القبور الموهومة في العراق 188
الأسباب 190

القبور البيتية.. 190
القبور المتنقلة 191
القبور الرؤيوية عند اليهود في العراق والمغرب............................. 193
قبور الأولياء في مصر 194
الفصل الواحد والعشرون: تقديس المجانين وأضرحتهم 197
أسباب التقديس 197
المجانين في العراق 199
أضرحة المجانين المقدسة في مصر 200
أ ـ ضريح الشيخ درويش العشماوي... 200
ب ـ ضريح علي البكري.. 200
المصادر 202
المؤلف في سطور... 207

الإهداء

إلى المفتين الساعين إلى إحلال
ديانةٍ بغير خرافات
وإلى العلماء الداعين إلى تجريد
الديانة من الخرافات

تصدير

يعجب المطّلع على تاريخ الحركات الإصلاحية والمذاهب والأديان السماوية بكل الأفكار والأديان، دون استثناء، أن يمرّ قرن واحد على ولادتها، حتى تتباين الأفكار والسمات، لتأخذ فكر المحيط الذي ولدت فيه، وتنشأ طبقات من المنظرين الذين يرسمون وجهات نظرهم كأساس للدين، فينشأ مذهب جديد، ويتحزب مؤمنون، قسم منهم لما فهموه من المعتقد، وقسم للرأي الجديد، وتتكرّر هذه الانشقاقات إلى جزئيات تبلغ أحياناً، بمرور الأجيال، إلى فكر مناقض للأصل مدّعياً أن أصحابه هم (أهل الحقّ)، ويدّعي معظم المذاهب في كل الأديان اليوم بأنهم يمثّلون (أهل الحق) وأنّهم على الصراط والدّين الذي جاء به نبيُّهم، وتضفي الروايات والأحاديث التي لم يقلها النبي أو قالها ثم حرَّفها الرواة، بل حتى الكتب السماوية أخذت منها التفاسير مآخذ تبدو مضحكة حتى للقارئ البسيط، خذ مثلاً ما جاء في تفسير الجلالين في أمر الله عزّ وجلّ بالصلاة للمسلمين، فبعد أن تبلَّغ الرسول باستلام الأمر من السماء السابعة، وكان الأمر بخمسين ركعة، وتردّد رسولنا ﷺ تسع مرات بين السماء السابعة والرابعة، حيث يوجد موسى عليه السلام، الذي يرجعه ثانية إلى السماء السابعة ليرجو ربّه إنقاص عدد الصلاة اليومية، ولكن الله عزّ وجلّ لا يخفض إلّا خمس صلوات كل مرة يعود بها خاتم النبيين ﷺ، وبذلك يحتاج نبيّنا أن يتردّد تسع مرّات قبل أن يعود إلى قومه بخمس صلوات،

وعموم الأسطورة تدلّ، والعياذ بالله من الكفر، أنَّ الله لا يقدّر قابليَّة عباده، وخاتم النبيّين بهذه السَّذاجة بحيث يأمره الله ثم يعود إليه راجياً تغيير الأمر بطاعة أحد الأنبياء، وأنّ موسى أعلم من الله بالعباد!

أمّا كتب الحديث سنيُّها وشيعيُّها، فتحتوي نماذج من الأحاديث لا الله ولا الأنبياء بل ولا ضعاف العقول يقبلونها، ولا أدري كيف ينام (علماؤنا) ليلهم وهم يقرّون معارضة أوامر الله وأنبيائه بروايات ما أنزل الله بها من سلطان، فمن إرضاع الكبير إلى أنواع الزيجات الطيّارة إلى نصّ يقول إنَّ التركيَّ والكرديَّ والأحوازيَّ لن يَرَوُا الجنة ! بالإضافة إلى تباين جناحي الذبابة وتضادّهما بالسُّمِّية!

المتمعن بتاريخ الشعوب يتضح له دون صعوبة أن الغالب يكون مغلوباً فكرياً في أحايين كثيرة، وخروج العرب بدينهم الجديد على العالم أدّى إلى دخول أفكار غريبة أضافها أهل الأرض المحتلّة إلى إسلامهم، ينطبق ذلك على كل الأديان الثلاثة، وقدِ أخذت اليهودية من التقاليد الفرعونية كثيراً من الممارسات (الدينية) كالختان وأنواع من الزيّ أثناء الصلاة، وأخذوا من الحضارات العراقية تقويمهم القمري والطوفان السومري، والمسيحية أخذت من الميثولوجيا الإغريقية أساطير كانت لزيوس أصبحت معاجز للمسيح (ابن الله) وعيد الفصح (الإيستر) في قيام المسيح من قبره حيّاً، ولو دقق القارئ الكريم في كلمة الإيستر لرأى تقاربها مع كلمة (عشتار)، أما فحوى العيد فهو مأخوذ من قصة نزول عشتار إلى عالم الموتى، ثم خروجها منه إلى الحياة ثانية، واستبدل أبطال الأسطورة، فالمسيح أخذ دور عشتار، والله أعطي دور أرشكيجال ربّة عالم الموتى، وفي إيطاليا تظاهرات بتماثيل قساوسة تحيط بها الأفاعي وفي بلدان أخرى جلد الذات، والمشي على النار واستعمال السيوف و(القامات) لشجِّ الرؤوس طقوس لا أساس لها البتّة في أي

دين سماوي، وزيارة بسيطة للبلدان غير العربية، وملاحظة الممارسات الإسلامية لوجدنا أنّ لكلٍّ بلدٍ (إسلامه)، تتداخل فيه الجغرافيا بالتاريخ بالمناخ المحلّي بالتقاليد والمخاوف البشرية بأمل الخلاص في العالم الآخر، فأعياد النيل وشمّ النسيم ورمي لعبة صغيرة فيه، ونوروز الفرس والأكراد، والزيارات المليونية لقبور الأولياء، بل وعمل نماذج مصغّرة لمراقدهم لزيارتها أغرقت الأديان في متاهات لا علاقة لها بالدين في أصوله التي جاء بها الأنبياء، هذه (الجذور) الغريبة عن الأديان السماوية الحنيفة هي التي شقّت الأديان إلى مذاهب وفرق، ولا تزال نظرية الطبائع والأخلاط تؤثر حتى في الأوساط الطبيّة بما يسمّى بالطب النبوي والطب البديل وغير ذلك مما يعتمد في انتشاره على (أحاديث شريفة) تُنسب إلى النبيّ الفلاني أو الإمام العلاني، والنبيُّ أو الإمام بريء ممّا نُسب إليه!

لقد أثّرت الفلسفتان الإغريقية والهندية في نشوء مذاهب وفرق كثيرة في الأديان السماوية الثلاثة، والمتتبّع لظهور المذاهب الباطنية في هذه الأديان يعجب لمدى تغلغل الفكر البشري القديم في الأديان السماوية، فرقمية فيثاغورس تلقّفتها فرقة القباليين اليهود، ثم الحروفيون من المسلمين المتصوّفة، ثم استطالت فطالت البابية والبهائية كدين جديد، كما أخذ الدروز تناسخ الأرواح من الفلسفة الهندية، وثبات عدد الأرواح على الأرض، ولا يختلف الإسماعيليون عن بقية المذاهب الدينية في كل الأديان السماوية.

ويمثّل هذا الكتاب أحد الوجوه لتلك الأفكار المرتبطة بالموروث الشعبي والذي ليس له علاقة بروح الدين.

الناشــر

تمهيد

قال المتنبي:

أغايـــةُ الدِّيــن أن تُحفــوا شـواربكم

يـا أمـةً ضحكـت مـن جهلهـا الأُمَـمُ؟

البيت السالف قاله أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين (303 ـ 354هـ = 915 ـ 965م) من قصيدة هجا بها كافور الإخشيدي سلطان مصر المخصيّ الأسود الذي أخضع الفحول البيض ودجَّنَهم على طاعته.

مطلعها:

مِـنْ أيَّـةِ الطُّـرْقِ يأتـي نحـوكَ الكَـرَمُ

أيــن المحـاجِـمُ يـــا كـافـور والجَلَـمُ

يقول له فيها: أولى لك يا كافور أن تكون حَجّاماً، آلتُكَ المِحجَمُ والجَلَمُ وهو المقصّ يقصُّ به الحجام شعر الإنسان عندما يريد تحسينه وتزيينه. ثم ينثني الشاعر فيهجو الشعب المصري قائلاً له: يا أمة ضحكت من جهلها الأُممُ.

يريد أن يقول لهم: لا شيء عندكم من الدين إلا إحفاء الشوارب حتى ضحكت منكم الأمم لطاعتكم هذا العبد الأسود(1).

وفي الواقع إن الصورة التي رسمها الشاعر للشعب المصري أراد بها تجريحهم لكونهم تمسَّكوا بمظهر الدين وقشره وتركوا لُبَّه القاضي بالثورة على المستبد الظالم.

والبيت هذا يصدق على جميع الشعوب الملتزمة بأحكام السمات والمظاهر الدينية والتاركة المعاني السامية للأديان.

إن الصورة التي رسمها المتنبي تطالعنا اليوم مُمَوَّهةً بصورة المفتي حليق الشارب التارك لحيته الكثّة تصل إلى سُرَّته وقد شَعَّثَها بعضهم وخضّبها بعضهم بالكَتَم، أو الحناء، اتباعاً لأحاديث السنّة التي ورد فيها: «**أهينوا الشوارب وأكرموا اللّحى**». علماً أن رسول الله كَرِه اللحية المشعَّثة وأمر بتهذيبها وجعل طولها مقاساً بقبضة اليد..

على أية حال فإِنَّ هذه المظاهر وغيرها كتثفين الجباه دلالةً على كثرة السجود، لا تؤذي الناس ولكن الذي يؤذيهم فتاوى مثل هؤلاء عندما يتصدرون مقاعد الأحكام الشرعية فيحللون ويكفرون حسب قياساتهم وتفسيراتهم للنصوص الدينية. والأخطر من ذلك عندما يسيِّرون المجتمع وفق هذه القياسات والتفسيرات وتكون مصائر الناس على شفا كلمة تصدر من أفواههم.

وفي هذا الكتاب سأستعرض بعض هذه الفتاوى التي سيرى

---

(1) **ديوانه**: ج4، ص150، **شرح أبي البقاء العكبري**، ط. الثانية 1956، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

القارئ أن الكثير منها مضحك وداعٍ لسخرية الأمم واستهزائها من هذا الدين القويم واتهامه بالرجعية والتّحجر وما هو بذاك.

كما سأستعرض فيه جملة من التقاليد الشعبية الشائعة التي مورست منذ القدم وحتى هذا اليوم وصارت لها أحكام تكاد تشبه الأحكام الشرعية المقدسة.

وفي رأيي أن هذه الفتاوى وهذه التقاليد ستبقى فاعلة في المجتمع ما دام المجتمع منغلق الفكر على نفسه لا يقبل التنوير والتنور، وأوضح دليل على ذلك هو هذه الموجة الفوضوية من الانفلات الجماعي التي أطلق عليها اسم (الربيع العربي) وقد عمّت البلدان العربية والإسلامية وتَزَعَّمَ فيها مُتَفِّنو الجباه، مهينو الشوارب مهملو اللِّحى فأخضعوا الناس بالسلاح يقتلون به من يخالف شريعتهم ويهدمون ما لا يوافق عقيدتهم من البناء العتيد، فذُبح الناس على هذه الشريعة وخُربت البلاد على هذه العقيدة وكل ذلك باسم الإسلام الذي هو إسلامهم ليس سواه. فانتظر أيها القارئ وستشهد أي مستقبل ينتظرنا إذا ما تولى هؤلاء حكمنا . . إن عصر الهمجية سيعود من جديد.

الفصل الأول

خرافة القصيدة (الجلجلوتية)
نظمها اللّه وأنزلها جبرائيل على النبي

التعريف بالقصيدة:

هي قصيدة مقدّسة جداً عند بعض فقهاء المسلمين وكثير من عامتهم حتى إن بعضهم استنسخها بخطه نسخاً عديدة وأوقفها على أرواح موتاه وأودعها في المساجد لينال وينالوا الثواب في الدنيا والآخرة إذا ما قرأها المصلّون كما يقرؤون القرآن الكريم على اعتبار أنها نَزَلت مثله، أنزلها جبرائيل على النبي ﷺ وهي تبدأ هكذا:

بـدأتُ ببســـمِ الله روحـي بـه اهتـدت
إلـى كشـــفِ أســـرارٍ بباطنـه انطـوت
إلهـي لقـد أقسـمتُ باسـمك داعيـاً
يـأجِّ أجـوجٍ جلجلـوتٍ وجَلجَلَـت
فكـن يـا إلهـي كاشـف الضّـر والبـلا
بأهيـــا جَــلا همـــي بهـــلً وهلهلـــت

ألا واحجبنّي من عدوّ وظالم
بحقِّ شماخ أشمَخٍ سَلمت سَمَت

بصمصام مهراش بحرفٍ مطلسمٍ
بمهراش طمطامٍ به النار أخمدت

وصبّ عليَّ الرزق من كلِّ جانبٍ
فأنت رجاء العالمين وإن طَغَت

أبارخ بيروخ وبيروخ برخوا
شماريخ شيراخ شروخ تَشَمّخَت

بتمليخ صيمانٍ ويانوح بعدها
بدمليخ يشموخٍ به الكون عُطِّرت

بآج اهوجٍ جلمهوج جلالة
جليل جلجلوت جماهٍ تمهرجت

بتعداد ابرومٍ وسمراز أبرمٍ
وبهرة بتريرٍ وأمٍ تبركت

بنور جلال بارخٍ وشرنطحٍ
بقدّوسٍ بركوتٍ به النار أُخمدت

إلخ . . . إلخ . . . إلخ. . .

هل تعتقد قارئي العزيز أن هذه الأبيات والأبيات الأخرى التي تنتظم القصيدة التي قد تصل في بعض النسخ إلى مئتين وخمسين بيتاً.. هل تعتقد أنها من نظم الله تعالى عنها؟

لا تضحك أيها القارئ العزيز فإنَّ بعض (علماء) المسلمين

وفقهائهم وكثيراً من العامة يعتقدون أنها هكذا هي من الله أنزلها جبرائيل على النبي ﷺ. وقد أورد الشيخ أحمد البوني (ت 622هـ) مقداراً منها من أولها إلى نيف وخمسين بيتاً في الجزء الأول من (شمس المعارف الكبرى)[1] ويبدو لنا أنه هو مؤلفها ثم زاد عليها اللاحقون.

وروى كثيراً منها السيد عبد الله البلادي المعاصر نزيل (أبو شهر) في كشكوله الموسوم بـ(سحائب اللآلي). وطُبع بعضٌ منها مستقلاً في النجف الأشرف سنة (1356هـ) في ورقة بعنوان (الدعاء والحرز) مما يفهم من ذلك أنها كانت تستعمل كحرز نافع للرزق ومانع للشر ويُدخَل بها على الحكام والمسؤولين فيستجيبون لحاملها ويخضعون له.

يقول المحقق (آغا بُزرْك الطهراني): ورأيتُ النسخة التامةَ منها البالغة إلى المئتين والخمسين بيتاً ضمن مجموعة في مكتبة الحاج المولى علي محمد النجف آبادي بالحسينية في النجف الأشرف وكتب عليها بعض المتأخرين إمضاءَه (عبد الحسين الحائري) بخطه قائلاً: وإن هذه الجلجلوتية فيها دعاء لأمير المؤمنين عليه السلام وإضافات وفوائد ما رأيتها في سائر الكتب. أقول ـ والقول للطهراني ـ إنما سُمّيت بذلك لوجود لفظ (جلجلوت) في القصيدة. وقد ضمنها ناظمها (القصيدة الميمية المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام في عمل الطلسم المعروف بين أهل الدعاء من قوله عليه السلام:

(ثلاث عصيٍّ صُفِّفت بعد خاتم

على رأسها مثل السِّنان المقوّم)

---

(1) انظر شمس المعارف الكبرى، الشيخ أحمد البوني، ص82.

وأورد صاحب الرياض مقداراً من هذه الميميّة فيه حاكياً عن الشيخ أبي عليّ الطبرسي، بطريق روايته عن الرئيس أبي البدر أنه قال: (سمعتُ عن ثقةٍ أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رأى هذا الطلسم في صخرة، فذكر أنه الاسم الأعظم وفسَّره بهذه الميميّة، ولكن صورة بعض أرقام هذا الطلسم بما هي موصوفة في الميمية تخالف ما ضمَّنه في التائية بقوله:

ثــلاثُ عصــيٍّ صُفِّفــت بعـد خاتـم
علـــى رأسـها مثـل السـهام تقوّمـت

وينسب إلى علي عليه السلام أيضاً طلسم آخر في ثمانية أبيات طائية، أولها:

خمـسُ هـاءات وخَـطٌّ فـوق خـطّ
وصليـــبٌ حـولـــه أربـــع نقـــط

وناظم الطائية هذه وإن لم تُشخَّص باسمه لكنّ تضمينه لكلام أمير المؤمنين عليه السلام يكشف عن حُسن حاله فراجعه. (انتهى كلام آغا بُزُرك الطهراني)[1].

شروح القصيدة:

وقد وُضَعت للقصيدة شروح بسبب ما فيها من ألفاظ لا تجد لها شروحاً في القواميس العربية ولا في أية لغة من لغات العالم سوى في قواميس السحرة، وقال بعض الشراح إن الأسماء التي فيها هي من اللغة السريانية وهي ليست كذلك.

---

(1) كتابه: **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**: ج3، ص203، ط. الثانية 1403، نشر صادر، بيروت.

وأشهر هذه الشروح: شرح القصيدة الجلجلوتية للشيخ عمر ابن السيد عمر البياسي أولها:

«يـا مـن يجيـب الداعـي إذ دعـا ويجيـبُ المُلِحِّين في الدعـا صـلّ علـى محمد أرسـلته رحمـة لأهل الأرض والسـما.. إلخ».

في مجلد صغير وتاريخ كتابته سنة 1213هـ[1].

وشرحها المصنّف الرومي عثمان بن محمد الديوريكي الحنفي نزيل القسطنطينية والمدرس بها المتوفى سنة 1234 [2].

أقول: وكذلك الشرح الذي بين يديّ الآن وهو شرح الإمام الغزالي أبي حامد الموسوم بـ(البهجة السنيّة في شرح دعوة الجلجلوتية).

وقال عنها الشيخ جلال الحنفي: إنها قصيدة تحتوي على أدعية وأذكار تغلبُ عليها الطلسمة فلا تتضح لقارئها معانيها ولا تدرك خفاياها[3].

افتتان الناس بالقصيدة:

ومع سُـخفها ورداءة نظـمها فقد فُـتن الناس بها وقرأها الوعاظ على المنابر واشتـهر من هؤلاء (عبد الرحمن الجلجلوتي) كان واعظاً في بغداد كما يذكر الحنفي في كتابه السابق.

وكانت شديدة القداسة عند بعضهم لدرجة أن قسماً منهم راح

---

(1) **إيضاح المكنون**، إسماعيل باشا البغدادي، ج2، ص230.

(2) **هدية العارفين**، إسماعيل باشا البغدادي، ج1، ص160.

(3) كتابه: **معجم اللغة العامية البغدادية**، ج2، ص20.

يستنسخ منها نسخاً بخط يده أو يطبعها بالمطبعة ويوقفها في الجوامع أو يوزعها على الناس ترحماً على روح موتاه كما فعل الشيخ عطية عبد الحميد المصري.

وقد قرأت على بعض النسخ وقفيّة تقول:

«وقف هذا الكتاب لله تعالى كلٌّ مِن: محمد عبد العظيم السقّا وأخيه محمد إمام السقّا على روح والدهما المرحوم الشيخ إبراهيم السقّا».

وفي الورقة الأخيرة من النسخة وضع الأخوان ختميهما. وعنوان النسخة يقرأ هكذا:

«هذه دعوة الجلجلوتية بشرحها على التمام والكمال والحمد لله على كل حال آمين».

أقول: ولو عقل هذان الواقفان وانتبها إلى ما فيها من سخف لخشيا على والدهما أن تنقلب الرحمة عليه إلى عذاب إذ إن هذه القصيدة تجديف على الله.

كيفية نزول القصيدة على النبي ﷺ:

يتحصّل لدينا مما مرَّ بنا أن رجالاً من السنّة ورجالاً من الشيعة قد آمنوا بها وقدّسوها لعلّةِ وجود اسم الله الأعظم فيها مع القَسَم الجامع والدعوة الجلجلوتية ونزول الجميع ضمن هذه القصيدة من السماء.

كما أن مبتدعها قد وضع في حكاية النزول أبطالاً يقدسهم السنة كعمر وأبي بكر وعثمان وأبطالاً يقدسهم الشيعة كعليٍّ والحسن والحسين. كما وضع شخصية خارجة عن مدار التقديس هي شخصية

الخليفة هارون الرشيد دون غيره من الخلفاء الكثيرين غير الراشدين، ولعلّ قصده من ذلك أن تكون القصيدة مقبولة من جميع المسلمين.

قال الشيخ أحمد بن عليّ البوني ـ الذي يبدو لنا أنه هو ناظم القصيدة لما عرف عنه اشتغاله بالطقوس الروحانية والسحرية ـ «إن القَسَم والوفق نزلا هدية من السماء مع جبرائيل عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ. قال جبرائيل: يا محمد ربّك يقرؤك السلام ويخصّك بالتحية والإكرام وقد أهدى لك هذه الهدية. فقال النبي ﷺ: ما هذه الهدية يا أخي جبرائيل؟ فقال: هذا الاسم الأعظم والقَسَم الجامع الذي فيه الدعوة العظيمة. فقال النبي ﷺ: أين كانت هذه الدعوة وما اسمها؟ فقال: اسمها دعوة الجلجلوتية والقَسَم الجامع والاسم الأعظم يا محمد، وكان هذا الاسم مكتوباً على ساق العرش ولولاه ما رفع على كهول الملائكة الذين هم حاملون عرش الرحمن، وكان مكتوباً على قلب الشمس ولولاه ما كان لها شعاع ولا نور، وكان مكتوباً على قلب القمر ولولاه ما كان له ضياء ولا نور، وكان مكتوباً على جناح جبرائيل ولولاه ما هبط إلى الأرض ورفع إلى السماء.

ثم يعدّد المكانات التي كان الاسم مكتوباً عليها ومنها رأس ميكائيل وجبهة إسرافيل وكف ملك الموت وعلى السماوات السبع إلخ..

ثم يعدّد الذين قرؤوه ومنهم آدم ونوح وإبراهيم وغيرهم من الأنبياء وأخيراً يقول إنه كان مكتوباً في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

قال الشيخ رحمه الله ـ المقصود الشيخ البوني ـ إنه حين نزل هذا القسم على النبي ﷺ مع جبرائيل عليه السلام أمر النبي ﷺ علياً رضي الله عنه

أن يكتبه في رِق الظبي بالذهب ويدفعه إلى أبي بكر أيام خلافته وبعده أخذه عمر بن الخطاب وبعده أخذه سيدنا عثمان بن عفان وبعده أخذه علي بن أبي طالب وبعده الإمام الحسن وبعده الإمام الحسين وبعده أخذه هارون الرشيد وكان خليفة وقدوة (ولا ندري كيف انتقل إلى هارون الرشيد وأين كان القسم في تلك الفترة) ومن بعد هؤلاء صار ينتقل من واحد إلى واحد حتى وصل إلى الإمام نور الدين الأصفهاني ثم من بعده إلى القطب الرباني أبي حامد الغزالي.

اختفاؤها ورحلة البحث عنها:

وعند هذا الحدّ تنتقل رواية الحكاية من الشيخ البوني إلى القطب الربّاني أبي حامد الغزالي (شارح القصيدة) فيحدثنا أبو حامد ما عانى من المشاق في سبيل البحث عن القصيدة قبل الاهتداء إلى نور الدين الأصفهاني، حيث يبدو أنها اختفت بين جمهور من المشايخ والسادات والعلماء.

اسمعه يقول:

«ودرت الأرض شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً وخدمت المشايخ والسادات والعلماء وأرباب الفنون والتحف والذخائر وأنا في طلب هذا الاسم والقسم الأعظم فلم أجده. ثم أتيت إلى بغداد والكوفة فسألت رجلاً من الصالحين وقد حنّنَهُ الله تعالى عليَّ فقال: يا بني سألتني عن سرٍّ عظيم وهو من أسرار الله تعالى المخزونة المكنونة، فإني إن شاء الله تعالى أدلك على صاحب هذا السّر ومن هو عنده»

قال: فخدمت الشيخ سنة كاملة ثم بعد ذلك التفت اليَّ وقال

لي: يا بني ما الذي تريد؟ فقلت له اسم الله الأعظم والقسم الجامع والدعوة الجلجلوتية. فقال لي: يا ولدي إن كنت تريد ذلك فعليك بمدينة أصفهان واسأل عن الإمام نور الدين الأصفهاني فهو شيخي وهو الذي يدلك على هذا السّر ويوصلك بإذن الله تعالى . . .

ثم تبدأ رحلة شاقة أخرى يقوم بها الغزالي إلى أصفهان للبحث عن الإمام نور الدين الأصفهاني، فيعثر عليه في هذه المدينة فيسأله الإمام عن قصده فيقول له: أريد أن تعلمني دعوة الجلجلوتية والقسم الجامع والاسم الأعظم، فيندهش الإمام لصعوبة هذا الطلب ولكنه يَعِده أن يعلمه ذلك حين يقرب الحج فيجلس عنده ويخدمه خمسة أشهر وعندما يحين وقت الحج يأخذ بيده ويختلي به ويقول له:

امدد يدك . . فيمدّ يده ثم يحذره من إيصال هذه الدعوة والوفق الأعظم لجاهل ولا منافق ولا فاسق ويحفظها عن النّساء الفاجرة وأولاد الحرام، فوعده بذلك فعلمه إياها مع شرح ألفاظها السريانية بالعربي وشرح أبياتها بيتاً بيتاً وطريقة العمل بموجبه[1]. حيث نجد أن هذا العمل يتطلب رياضات سحرية عنيفة كالرياضات التي يقوم بها السحرة لاستحضار الجن.

العمل بأحد أبياتها:

ولنأخذ بيتاً كأنموذج للعمل به وهو البيت الذي يقول:

---

(1) عن شرح الجلجلوتية للإمام الأعظم والحبر المقدم القطب الرباني والهيكل الصمداني سيدي أبي حامد الغزالي، نسخة مخطوطة في مكتبة شيخ الروحانيين في الوطن العربي الشيخ عطية عبد الحميد، الشبكة العنكبوتية (0020106202228

أبــــارخ بيـــــروخٌ وبيـــــروخ برخـــــوا
شـــــماريخ شـــيراخ شـــروخٌ تشَمَّخت

فإنّ من كتبه ثلاث مرات وعَلَّقه على النفساء وضَعت بلا مشقة بإذن الله تعالى. ومن كتبه إحدى عشرة مرة وبَخَّرهُ بصبر وحمله المسحور والمعقود والمعمول له فإنه يبرأ بإذن الله تعالى لأنه يُحِلُّ أربعين عقداً. ومن كتبه في إناء وسقاه الملسوع فإن الله تعالى يشفيه من كل قرصة. ومَن كتبهُ لصاحب النـزيف والرعاف في إناء صيني ثلاث مرات ومحاه بماء الورد وشربه فإنه يبرأ بإذن الله تعالى.

وهناك أبيات تفرض لاستجلاب منفعتها أن يقوم الإنسان بترويض نفسه رياضة قاسية تتمثل بالصوم والخلوة والابتعاد عن الناس وممارسة الجنس مع الزوجة ثم التبخر بالبخورات الخاصة وغير ذلك من رياضات تجعلنا نعيش في جوٍّ من أجواء الجلسات السحرية المرهبة.

شرح بعض ألفاظها:

يؤكد الشارح أن الألفاظ التي نظمتها القصيدة هي أسماء سريانية تحتاج إلى تفسيرات بالعربية. وعندما نقرأ تفسيراتها نجدها لا تعدو عن كونها الأسماء المعروفة بـ(أسماء الله الحسنى) وإليك بعضاً منها حيث تلاحظ التعسف في ربطها بالاسم الإلهي المقدس:

بأج — **يعني: لا إله إلا هو**

أهوج	الأحد
جليوت	البديع
هلهلت	الباسط
طمطام	البارئ
مهراش	الثابت
طيطخت	الجبّار
غلمهت	الحكيم
شماخ	الحليم
اشمَخ	الخالق
بازخ	الدايم
شرنطح	الرؤوف
برهوت	الرحيم

وهكذا يستمر الشارح في شرح بقية الأسماء وهو يعلم علم اليقين أنه ليس هناك من القرّاء من يسعى للتأكد من صحة الشرح فكلهم ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾(1).

ثم يمضي بعد هذا متطرقاً إلى الحروف التي في أوائل السور القرآنية فيقول عنها إنها (الحروف النورانية) وجملتها أربعة عشر حرفاً عددها (693) يوافقهُ اسمه تعالى (المتكبّر) بالألف واللام. فمن لازم هذا العدد بلغَ المطلوب(2).

(1) سورة البقرة، الآية 18.

(2) عن نسخة مخطوطة موقوفة على روح الشيخ إبراهيم السَّقا لم أستطع قراءة تاريخها، الورقة 12 وما بعدها.

صور الاسم الأعظم فيها:

ويشكّل اسم الله الأعظم المحور الآخر المهّم الذي يمنح الجلجلوتية قدسيتها. وقد فصّلنا المحور الأول وهو الدعاء بالأسماء الغريبة التي قال عنها الشيخ الغزالي إنها تمثل أسماء الله الحسنى بالسريانية وهي في الحقيقة أسماءُ جنٍّ كالجنّي (بَدوح) المعروف في الدعوات السحرية[1]. ومثل: هال وأهيل وشلح وشلحوب وشالح وطهي وطهوب وطيطهوب وطيطهت وجلجلوت الذي سميت القصيدة باسمه لما يبدو أنه مهم جداً وكثيرين غيرهم.

ويتبيّن لنا من قراءة الدعوة أو (التعزيم)[2] أن هذه الأسماء لها تأثير سحري أقوى من تأثير سحر الاسم الأعظم نفسه حيث نجد ناظم القصيدة يورد الاسم الأعظم بعد إيرادها في (الاستدعاء). فيقول في خطابه الموجّه إلى الله:

سـألتـكَ بالإِسـم المعظَّـم قـدره

بـآجِ أهـوجٍ جلجلـوتٍ هلهلـت

---

(1) للاطلاع على ماهية (بـدوح) في السحر ينظر: **دائـرة المعارف الإسلامية** المترجمة مادة: بدوح

(2) التعزيم أو التقسيم: ويُعرَّف في الاصطلاح الديني بأنه عملٌ يراد به إخراج الأرواح الخبيثة أو إنقاذ الأشياء العقلية من سلطتها، ويسمى في الاصطلاح الغربي (Exorsism) وهي يونانية الأصل ومعناها (الاستحلاف). وقد استعمل التقسيم في كل عصر وفي كلِّ البلاد وكان الوثنيون القدماء كوثنيِّي هذه الأيام يعتقدون اعتقاداً ثابتاً بالأرواح الشريرة أو الجن من التأثير الخبيث وكانوا ينسبون إلى هذا التأثير أمراضاً سرية وبلايا. وكان التقسيم عند اليونان حرفة وكذلك هو عند المسلمين. (**دائرة المعارف**) بطرس البستاني: مادة / تقسيم.

وفي بيت آخر يقول:

وفـــي حَوْسَـــمٍ مـع دوسـمٍ وبراسـمٍ
تحصنـتُ بالاسـم العظيـم مـن الغَلَـتْ

أي إنه تحصَّن بالاسم المعظّم بعد تحصُّنه بتلك الأسماء، مما يدل على أن القوة السحرية التي تمتلكها تلك الأسماء أعظم قوة من اسم الله تعالى.

أما كيف يكون شكل هذا الاسم؟ فيأتينا ناظم الجلجلوتية بصورتين له: الصورة الأولى حروفية صورية مفكَّكة لا يمكن أن تُقرأ كما هو الحال في صور الطلاسم والأحجية.

والصورة الثانية لفظية متكونة من بضع كلمات يمكن التلفظ بها ونطقُها ولكن لا يفهم معناها إلا بعد الشرح، ومن الطبيعي أنها لا تشرح لطالبيها ومستخدميها والمؤمنين بها شرحاً حقيقياً لأنها لو شرحت لهم لكفروا بها وفقدوا إيمانهم بفائدتها، وذلك لعلاقتها بالمعتقدات الإسرائيلية والديانات الوثنية وسنقوم نحن بشرحها فيما يلي:

الصورة الطلسمية:

جاء في القصيدة أن الصورة الأولى للاسم تتكون من رموز وعدة حروف مفككة على هذه الصورة:

ثـــلاث عصـــيٍّ صُفِّفَـــت بعـد خاتـم
علـــى رأســـها مثـل السـهام تقوَّسـت
وميـــمُ طَميـــسٍ أبتـــرٌ ثـــم سُـلَّمٌ
وفـــي وســـطها بالجرَّتيـن تشَـرَّكت

وأربعــــةٌ مثـــل الأنــامـــل صُفِّفَـت
تشـير إلـى الخيـرات والـرزق جُمِّعـت

وهـــاء شـــقيـــق ثـــم واو مقـوّس
كأنبـــوب حَجّـــامٍ مـــن السـرِّ التَـوَت

وآخــرهـــا مثـــل الأنـامِـلِ خـاتـمٌ
خماســيّ أركـــانٍ وللسِـــرِّ قـد حـوت

فهـذا هـو اسـم الله يـا جاهـلُ اعتقـد
ولا تتـــرَدَّد تهلـك الـــروح والجسـد

* * *

وقد رُسمت صورة الاسم حسب وصف الأبيات السابقة فكانت هكذا.

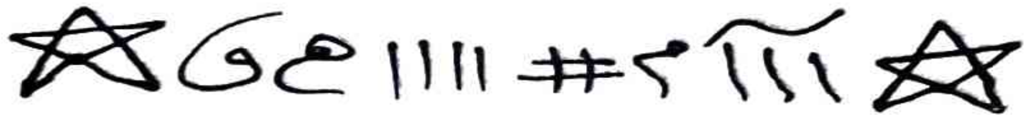

ثم جاء في الشرح ما نصّه بعد كلام طويل عن مفعول كل بيت من أبيات القصيدة:

(قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هذا هو اسم الله الأعظم المخزون المكنون نزل من السماء يوماً في حَرِيرةٍ خضراء على هذا الرّسم)[1]. (أي الرسم السابق)

---

(1) شرح القصيدة الجلجلوتية، أبو حامد الغزالي، ص77، طبعة مستنسخة من مخطوطة الشيخ عطية عبد الحميد

وعلى أساس الصورة السابقة يتحصل لدينا أن اسم الله الأعظم عبارة عن تشكيل طلسمي من تلك الطلاسم السحرية الحافظة التي استعيرت من (الألفبيّات السحرية) (The Magic Alfabet) وتتخلّلها رسوم وصور ذوات مداليل رموزية كالكتابة الهيروغليفية القديمة.

ومن الغريب أنّ الصورة الطلسمية لاسم الله الأعظم التي رَسَمَتْها تائية الشيخ البوني الذي هو إمام (سُنّي) تتشابه مع الصورة الطلسمية لاسم الله الأعظم في ميمية أخرى للإمام المهدي وهو إمام (شيعي). حيث تُنسب له أبيات في التورية عن الاسم دونَ التصريح به عددها أربعة عشر بيتاً هي:

ثلاثُ عصيٍّ صُفِّفَت بعد خاتم
على رأسها مثلُ السّنامِ المقوّم
وميمٌ طميسٌ أبتر ثم سُلَّمٌ
كهيئة سلّامٍ وليس بسلمِ
وأربعةٌ مثل الأنامل صفِّفت
تشير إلى الخيرات من كل مغنم
وهاء شقيق ثم واو منكَّس
كأنبوب حجّام وليس بمحجَم
خطوط على الأعراف لاح رسومها
عليها براهين من النور فاعلم
فعدّتها من بعد عشر ثلاثة
فلا تكُ في إحصائها ذا توهّم

عليه من النور الإلهي جلالة
إلى كلّ إنسيٍّ فصيح وأعجم

فمن أحرف التوراة منهن أربع
وأربع من إنجيل عيسى ابن مريم

وخمسٌ من القرآن وهي تمامها
فاصنع إلى الاسم العظيم المعظم

فيا حامل الاسم الذي جَلَّ قدره
توَقَّ به كل المكارم تسلم

فلا حيَّة تدنو ولا عقرباً ترى
ولا أسدٌ يأتي إليك يهمهم

ولا تخش من رمحٍ ولا ضرب خنجر
ولا تخش دبّوساً ولا رمي أسهم

هم الطور والشورى هم الحج والنسا
هم الشجر الطوبى لدى المتفهم

وصلِّ على المختار من آل هاشم
وعترته يا ذا الجلال وسلم

فتتكون صورة الاسم الأعظم على هذا الشكل(1):

(1) رسالة في اسم الله الأعظم، السيد كاظم الرشتي، كتابه **مجموعة الرسائل** ص193.

وبهذا اتفقت صورة الاسم عند السنة وعند الشيعة وهي كما ترى رموز طلسمية وليست لفظاً إذ لا يمكن التصريح به بصريح العبارة.

شرح السيد كاظم الرشتي أبيات الإمام المهدي:

وقد قام السيد كاظم الرشتي(1) بشرح الأبيات السابقة المنسوبة للإمام المهدي فقال بعد أن تمثّل بقول مجنون ليلى قيس العامري:

وإيـــاك واســــــم العامـريــــة إننــي
أخـــاف عليهـا مـــن فـــم المتكلـم

يريد به تحذير القارئ من البوح به، قال (النجمة الخماسية هي الخاتم ويشير إلى الحقيقة المحمدية ﷺ الذي هو قطب الأقطاب. والثلاث عصي إشارة إلى الألفات الثلاث اللّينة والقائمة والمنبسطة، فأولها علي وثانيها هو الحسن بن علي والثالثة هي الحسين عليه السلام فهو قد انبسط نوره وانتشر ظهوره. والألف المنبسطة الراكدة الفوقانيّة إشارة إلى السيدة الزهراء صلى الله على أبيها وبعلها وبنيها وعليها. فإنها ظاهرة لهم ووعاء لهم. ويجوز أن يكون السنام المقوّم علياً أو الحسين.

و(ميم طميس أبتر) إشارة إلى أربعين ليلة لميقات موسى عليه السلام.

---

(1) السيد كاظم الرشتي (1259هـ = 1843م) ابن قاسم الحسيني الموسوي، إماميٌّ فاضل من أهل رشت بإيران، سكن الحائر بكربلاء. له كتب منها: **رسائل الرشتي** (مطبوع) أجاب عن بعض المسائل. وشرح قصيدة عبد الباقي العمري **اللامية** (مطبوعة) في مدح موسى بن جعفر. وأصول العقائد (مطبوع) وبيان **مقامات** الظاهر والباطن (مطبوع) ودليل المتحيرين (مطبوع) ورسالة في علم **الهيئة** (مطبوعة) **الأعلام**، الزركلي، ج5، ص215.

وفيه إشارة إلى مولانا عليّ بن الحسين. وقوله (طميس أبتر) إشارة إلى ما في صحيفته المباركة (يقصد الصحيفة السجادية) وقوله عليه السلام (ثم سلّم) وهو محمد بن عليّ الباقر وجعفر بن محمد الصادق فإنهما كانا سلمين للشيعة.

وقوله عليه السلام (وأربعة مثل الأنامل صففت) يشير إلى موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن عليّ وعليّ بن محمد.

وقوله (وهاء شقيق) إشارة إلى سيدنا الحسن العسكري عليه السلام لأن يومه يوم الخميس.

وقوله (ثم واو منكّس) هي الإشارة إلى الحجّة ابن الحسن العسكري لأنها إتمام العدد التام المثنى في مراتب ظهورات الولاية فيكون يوم الجمعة. وسرّ التنكيس هو عودته بعد الاختفاء، وظهوره بعد الغيبة.

وقوله (وآخرها مثل الأنامل خاتم... خماسي أركان على السرّ احتوت) إشارة إلى ظهور تلك النقطة في العدد كظهورها في البدء بل البدء عين العود، فالنقطة الظاهرة في الأولى عين الظاهرة في الأخرى.

أما قوله عليه السلام (فمن أحرف التوراة منهن أربع) فاعلم أن التوراة إشارة إلى موسى النبي. وقد قال نبينا: (يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى) فمحمد هو موسى حقيقة، ففي هذه الكلمة الطيبة أربعة أحرف من حروف التوراة أي (محمد).

وقوله عليه السلام (وأربع من إنجيل عيسى ابن مريم) فاعلم أن عيسى ابن مريم هو مثال عليّ، وذلك من المعنى الذي نستشف من أحد أحاديثه (لولا الخوف أن يقول الناس ما قيل في عيسى ابن مريم لقلت في عليّ، يقوم الناس يأخذون التراب من تحت أقدامه).

وقوله عليه السلام (وخمس من القرآن وهي تمامها) القرآن هو الفرقان خمسة أحرف.

وهكذا يمضي الرشتي في شطحاته الباطنية تفسيراً للقصيدة المهدوية الشارحة لختم اسم الله الأعظم جاعلاً القارئ مضطرب الذهن لا يدري كيف يستقر على رأي خلال هذا الكلام المتشعب الذي لا رابط له[1].

النجمة الخماسية:

نأتي إلى الختم المرسوم في النص المنسوب إلى الإمام المهدي وكذلك في النص المنسوب إلى الإمام البوني فنجد فيه نجمة خماسية الشعاع في أول الاسم وأخرى في نهايته.

ولدى البحث عن هذه النجمة نجد أنها ترمز إلى إحدى المعبودات في الديانات القديمة فهي تمثل (كوكب الصّبح) وهي (الزهرة) وهي في حقيقتها رمزٌ وثني يدل على عبادة الطبيعة. وقد عبدها العرب باسم (العُزّى) وكان الكلدانيون يعبدونها باسم (عشتروت). وقد كشفت أعمال الحفر عن كثير من المباني الكلدانية التي أبقت الدهور على بقاياها وأشهر هذه المباني (باب عشتروت) الذي كان مكرّساً لهذه الإلهة.

وسمّاها الهنود مايا وبهاڤاني، والفرس ميترا، والفينيقيون عشتروت، والآشوريون أنايتيس، واليونان والرومان ڤينوس. واصطلح العرب على تسميتها بالزهرة وفي القُبطية بادخت، ولها أسماء أخرى

---

(1) (انظر: رسالة في الاسم الأعظم للسيد كاظم الرشتي، **مجموعة الرسائل**، المجلد الأول، ص193 ـ 197.

عديدة تختلف باختلاف الأمم التي عبدتها وكانت كل الأمم القديمة تقيم لها المعابد وتنحت لها التماثيل.

وعبدها البابليون باسم (عشتار) ونحتوا لها تماثيل صوروها بامرأة جميلة عارية إلّا أن صورتها هذه لم تقتصر على بابل بل عَمّت العراق القديم وسوريا وفينيقيا وفلسطين على أنها إلهة العشق والحب(1).

وقد سماها المنجمون بـ(السعد الأصغر) لأنها في السَّعادة دون المشتري وأضافوا إليها الطرب والسرور واللهو(2).

وهي التي أغرت الملكين هاروت وماروت فسقطا في إثمها. وكان عبد الله بن عمر كلما رأى الزهرة قال: هذه التي أغوت الملكين هاروت وماروت ولم يكن ينظر إليها.

وذكر أنها هي التي أقسم بها الله تعالى في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾(3). ولذلك يكون احتمال وضعها في هذا الطلسم راجعاً إلى هذا الباب أو راجعاً إلى كونها تجلب السرور لحامل الطلسم إذا علقه في غطاء رأسه حسبما جاء في شرح الجلجلوتية.

النجمة السداسية:

إلّا أن الطلسم الذي وجده الإمام علي على الصخرة يبدأ بنجمة سداسية وهو على هذه الصورة حسبما ذكره الإمام الطبرسي:

---

(1) ينظر: في طريق الميثولوجيا عند العرب، محمود سليم الحوت، ص86 وما بعدها، ط. الأولى.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) سورة الطارق، الآيات 1 ـ 3.

ثم ذكر الطبرسي أن الرئيس أبا البدر كتب له هذه الأشكال وذكر أنه سمع من الثقة أن علي بن أبي طالب وجدها على صخرة منقوشة وأخبر انها اسم الله الأعظم وفسّرها بهذه الأبيات:

ثـلاثُ عصـيٍّ صُفِّفـت بعـد خاتـم
علـى رأسـها مثـل السِّنان المقـوّم
وميـم طميـس أبتـر ثـم سُلَّم
إلـى كـل مأمـولٍ وليـس بسُـلَّم
وهـاء شـقيـق ثـم واوٌ مقـوّس
عليـها إذا يبـدو كأنبـوب مِحجـم
وأربعـة مثـل الأنامـل صفّفت
تشير إلـى الخيـرات مـن غيـر معصـم
فيـا حامـل الاسـم الـذي ليـس مثلـه
تَـوَقَّ بـذي الأسـماء تنـجُ وتسلم

وحول هذا الخبر يقول د. هانس فينكلر: ما يهمنا هنا بعض الشيء، كلمات التقديم التي جاءت قبل القصيدة فعن طريق ذكر أبي علي الطبرسي نكون قد نقلنا إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر. والملاحظة القائلة بأن علياً قد وجد العلامات السبع على صخرة إنما ترمي فقط إلى التأكيد على قدم هذه السلسلة. ولقد أخذ (إفالد) هذه الملاحظة على محمل الجد، ولذلك فسّرها على أنها كتابة حميرية. كان هذا في سنة 1839 عندما كانت قراءات الكتابات العربية الجنوبية

لما تزل في بداياتها الأولى. وتسلسل العلامات الذي تعزّزه الأبيات الشعرية هو هنا مختلف عن التسلسل الشائع في وقت لاحق ونحن نجده أيضاً في نسخة أخرى من الديوان(1).

هذا ويطلعنا الباحث المذكور على سبعة أشكال للرموز التي قيل إنها اسم الله الأعظم(2).

تاريخ النجمة السداسية ومفعولها السحري:

أما النجمة السداسية المتكونة من مثلثين متساويين متقاطعين، رأس أحدهما إلى الأعلى ورأس الآخر إلى الأسفل فهي المعروفة بـ(نجمة داود Star of David) حسب تسمية اليهود لها. وسموها كذلك (ماجن ديفيد Magen of David) ومعناها الحرفي (درع داود) والأفصح أن تترجم بـ(مِجَنّ داود) حيث الماجن في العبرية هو (المِجَنّ) في العربية. والمِجَنّ هو (التُّرس) يتترّس به المحارب لأنه يواريه أي يستره(3). فعلى هذا تكون النجمة السداسية حامية لحاملها من الكوارث والحوادث والكائنات الخفية الشريرة مثلما يحمي المجَنُّ جسم المحارب من ضرب السيوف ووقع السهام وغيرها.

والنجمة السداسية قبل أن يستحوذ اليهود عليها فتصبح رمزاً لهم، وجدت في النقوش المصرية القديمة والهندوكية والصينية وفي نقوش حضارات أمريكا الجنوبية.

---

(1) كتابه: **الرموز والطلاسم السحرية عند المسلمين**، ص112 وما بعدها، ترجمة محمود كبيبو، مراجعة وتعليق وتقديم د. صباح جمال الدين، ط. الأولى 2013، دار الوراق للنشر.

(2) **المصدر السابق**، ص115.

(3) انظر **لسان العرب**، مادة جنن.

وكانت أيضاً رمز خصب كنعاني، ويبدو أن اليهود اقتبسوها من الكنعانيين العرب بالمجاورة. وقد وجدت النجمة السداسية في أحجية عربية من القرن التاسع وهي اليوم أشاهدها مرسومة في أحجية سحرية تباع في المكتبات الشعبية للكتب والمعلقات السحرية في كربلاء.

وقد اتخذها الماسونيون الأحرار شعاراً لهم وقد وجدت على مبنى المدينة القديمة في ڤيينا وعلى كثير من الكنائس في ألمانيا كما توجد أيضاً على الحانات في ألمانيا. ولا يزال هذا الشكل يظهر في زخرفة بعض المباني وإن كان هذا نادراً الآن حسبما يقول د. عبد الوهاب المسيري[1]. أقول: يمكن مقايستها كتميمة حافظة مع التمائم الحافظة التي كانت تثبّت على واجهات الدور والدكاكين المتمثلة بحدوة الحصان وفردة النعال القديم وقد انقرضت هذه التمائم الآن.

خلاصة الكلام عن النجمتين:

لقد أدرك القارئ الكريم من خلال ما مرَّ عن النجمتين الخماسية والسداسية أنهما على العموم يعتبران كتميمتين حافظتين صادتين القوى الخفية التي تبغي إصابة الأشياء بالضَّرر والشرّ. وقد توسع في شرح معناهما الدكتور هانس فينكلر فقال:

عند السؤال عن معنى النجمتين الخماسية والنجمة السداسية يمكن استخلاص ثلاثة تفاسير من الموارد المصممة بهذا الشكل. فإذا ما كانت الرسمتان ترسمان بكثرة على الأوزان والأختام والقطع النقدية المعدنية فهذا تعبير عن صحة المحتوى كمّاً ونوعاً وعن قانونية الشيء

(1) كتابه: موسوعة اليهود والصهيونية، مادة: نجمة داود

أي عن العدل والوفاء في القطع النقدية والأوزان الإسلامية. ولعلّ الشكل التناظري المنتظم هو تأكيد لصحّة المقياس.

أما التفسير الثاني للرسومات فهو زخرفي بحت.

وأما التفسير الثالث فهو الثقة بأن للعلامتين قوة شافية، فعلى الدروع الإغريقية ولربما أيضاً على شواهد القبور اليهودية من تارنت، وبالتأكيد على تلك من تورتوزا، وعند الفيثاغوريين وفي السحر وعلى شواهد القبور العربية القديمة يبدو أن للعلامتين بطريقة ما، مدلول الحماية والبركة، وأن تعد النجمة السداسية على شواهد القبور العربية رمزاً للبركة والخلاص وليس مجرد زخرفة، فهذا ما يوصي به توسيع النجمة السداسية الملفت للانتباه بواسطة مثل هذه الدوائر الصغيرة الموجودة على زوايا الصلبان المتواجدة على شواهد القبور القبطية والسورية، وهكذا يعتقد أن النجمة السداسية وضعت على القبور الإسلامية كبديل مكافئ للصليب المسيحي إذا ما افترضنا أن ذلك التزيين للصلبان المسيحية كان شائعاً أيضاً قبل نشوء شواهد القبور التي ذكرناها.

وهكذا نجد أن التحليل يظهر ثلاثة مضامين لهاتين العلامتين، ومن المؤكد أن هذه المعاني الثلاثة كانوا يشعرون بها إلى جانب بعضها. فالعلامة (النجمة الخماسية والنجمة السداسية) كانت تعدّ في الوقت نفسه زخرفة ورمزاً للختم والقطع النقدية وعلامة للبركة والشفاء[1].

طلسم العصي:

أمّا ما يخصُّ (العصيّ) فيقول شارح الجلجلوتية الإمام الغزالي

---

(1) د.عبد الوهاب المسيري: **الرموز والطلاسم السحرية**، ص210 وما بعدها.

إنها ترمز إلى عصا موسى السحرية التي تصنع المعجزات. حتى في التعابير العامية هي هكذا معروف عنها فيقول الشخص إذا عجز عن فعل شيء ولاموه على عجزه: هل بيدي عصا موسى؟

ووردت عصا موسى في التوراة كما وردت في القرآن الكريم. فجاء في التوراة:

«وقال الربُّ لموسى ما هذه في يدك؟ قال: عصا. قال: اطرحها على الأرض. فطرحها فصارت حيّة»[1].

وجاء في القرآن الكريم:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ * قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ * فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾[2].

يقول جورجي كنعان: إن تحويل العصيّ إلى ثعابين أكثر الألاعيب السحرية شيوعاً في الشرق المتوسطي القديم شهرةً، وما فتئت الشعوب المسيحية حتى اليوم تعتبر هذه الألاعيب مُنجزاً تُقدّسه وهي محط إيمانٍ وموضع إجلال واحترام[3].

وأهم معجزة أحيطت بعصا موسى هي انفلاق البحر وعبور موسى مع قومه إلى الجهة الثانية حيث انفتح لهم باب الفرج ولولاها لكانوا قتلوا جميعهم على يد فرعون وجنوده.

---

(1) خروج 4/1.

(2) سورة طه، الآيات 17 ـ 21.

(3) جورجي كنعان، **محمد واليهودية**، ص238 وما بعدها.

لذلك يكون وضعها في الصورة المرسومة لاسم الله الأعظم من جانب كونها تفتح مغاليق الشدائد وتيسير الأمور العسيرة وعلى هذا الأساس تصبح رمزاً من الرموز الإسرائيلية.

الصورة اللفظية للاسم الأعظم:

نأتي إلى الصورة الأخرى لاسم الله الأعظم، وهي الصورة اللفظية التي تمثّلت بهذا البيت:

بأهيـــا شـــراهيـــا أدونـــاي صبـــوةً

صبـاوت ال شـداي، أقسـمت بطيطغـت

وبالتحديد بعد تجريد البيت من (باء) القسم و(صبوةً) وعبارة (أقسمت بطيطخت) يتحصل لدينا أن الاسم المقصود هو (اهيا شراهيا، ادوناي، صباوت، إل، شُداي) وهو في الواقع اسم مركب من عدة أسماء وصفات للّهِ تعالى بلغةٍ غير عربية كما سنفصل ذلك فيما يلي:

أ ـ أهيا شراهيا:

هي الصيغة الإسلامية المحوّرة من الأصل اليهوديِّ للاسم حيث جاء في تفسير القرطبي: إن بني إسرائيل سألوا موسى عن اسم الله الأعظم فقال لهم: (أهيا شراهيا) يعني: يا حي يا قيوم. ويقال إن (أهيا شراهيا) هو دعاء أهل البحر إذا خافوا الغرق[1].

وجاء في بعض الأدعية الإسلامية:

اللّهمَّ إني أسألك بـ(أهيا شراهيا)

---

(1) تفسير القرطبي، ج3، ص271.

ويكتب كحجابٍ على ثلاثة أوراقٍ من ورق الزيتون ينفع في وجع الضرس ويعتقد أن هذا الاسم مكتوب على جبهة الملاك (إسرافيل)[1].

وقد يقترن (أهيا شراهيا) مع أسماء الله الأخرى فتكون على هذه الصيغة (أهيا شراهيا أدونا الصباؤوت آل شداي) فتنفع لحجب حمى الربع[2].

وكان البحارة إذا خافوا الغرق يدعون به وكان أهل (عَدَن أبين) يقولون (أهيا اشراهيا)[3].

وفي (المُعرَّب) للجواليقي وردت (يهياه). قال أبو حاتم: أظنُّ أصله بالسريانية: اهيا شراهيا.

وفي كتاب (الإمتاع والمؤانسة) للتوحيدي[4]: ويرقّى بـ(هيا شراهيا): عبرانية معناها: يا حي يا قيوم. كما في المصباح المنير. وفي القاموس المحيط، مادة: شره: وأشر إهيا: كلمة يونانية معناها: الأزلي الذي لم يزل، والناس يغلطون ويقولون (اهيا شراهيا) وهو خطأ على ما تزعمه أحبار اليهود. قال ذلك محقق كتاب الإمتاع والمؤانسة[5].

وفي التوراة يكون الاسم هكذا: (أهيه الذي أهيه) حيث جاء في سفر الخروج[6] ما نصُّه:

---

(1) **مكارم الأخلاق**، الطبرسي، ص415.
(2) **بحار الأنوار**، ج95، ص34.
(3) **لسان العرب**، ابن منظور، مادة: شره.
(4) **الإمتاع والمؤانسة**، ج2، ص167.
(5) المصدر السابق، انظر الحاشية.
(6) سفر الخروج: 13/ 3.

«فقال موسى لله: حين أقبلُ على بني إسرائيل وأقول لهم إن إله آبائكم قد بعثني إليكم وسألوني عن اسمه فماذا أقول لهم؟ فأجاب الله (أهيه الذي أهيه) وأضاف: هكذا تقول لبني إسرائيل (أهيه أنا كائن) هو الذي أرسلتني إليكم. هذا هو اسمي إلى الأبد وهو الاسم الذي أدعى به إلى الأبد من جيلٍ إلى جيل».

وقد انتقل الاسم من التوراة إلى المسلمين عن طريق تبادل (الثقافة السحرية) بين سحرة اليهود وسحرة المسلمين فأصبح الاسم (أهيا أشر أهيا) مستخدماً عند هؤلاء من عرّافين وفتاحي فألٍ ومتعاطي التعاويذ السحرية يكتبونه بالزعفران على رقاع من الورق مستطيلة بعرض الأصبع لتُتّخذ حجاباً.

وجاء في (الألفاظ السريانية في المعاجم العربية)[1] إن معنى أشراهيا: الموجود الكائن أو الأزلي الدائم وهو مركب من كلمتين عبريتين وردتا في التوراة ومن العبرية أخذتهما السّريانية بلفظهما[2].

ب ـ أدوناي:

والاسم الآخر لله الذي نقرؤه في الجلجلوتية هو (أدوناي)، وأصله (أدوني) ومعناه: السيد أو الربّ وهو أحد أسماء الله في التوراة، جمع الجلالة المفرد (أدوني). ولما كان ممنوعاً على الإسرائيليين

(1) الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، ص2، الحاشية 2

(2) معجم اللغة العامية البغدادية، الشيخ جلال الحنفي، ج1، ص396.

التلفظ باسم (يهوه) إلههم القومي المقدس أبدلوه بـ(أدوناي). فكلما التقوا في الكتاب بكلمة (يهوه) قالوا: أدوناي[1].

وقد كان أدوني في البدء لقب (تموز) إله البابليين. وكانوا يحترمونه ولا يتلفظون باسمه (تموز) بل يقولون عنه (أدون) أي السيّد، فلَصِقَ الوصفُ به وترك استعمال اسمه تورعاً ثم انتقل الوصف إلى آلهة اليونان وسموا إلههم أدونيس، ثم انتقل الوصف إلى بني إسرائيل كاسم من أسماء الله العظمى وسمّوا به ملوكهم كالملك (بازق) فقالوا: أدوني بازق أي السيد بازق وكذلك الملك (صادق) قالوا: أدوني صادق أي (سيد العدل)[2].

وأدوناي: أحد الأسماء الحسنى في العبرانية بمعنى السيد وهو أقل قدسية من (يهوه) ويرى (لويجال) أن أتون الإله المصري مصحف عنه (يعني أدون)[3] و(أتون) معناه: قرص الشمس. حاول به أخناتون توحيد الآلهة[4].

ج ـ صَباوت:

هكذا جاء لفظه في الجلجلوتية وصحيحهُ (صباؤوت) **أي** (الجنود) في اللغة العبرانية. ويقولون: يهوه صباؤوت أي **رب الجنود،** أو كما جاء في الترجمة السبعينية للتوراة: (الربّ القدير).

---

(1) **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، الخوري يونس الفغالي، ص744.
(2) **قاموس الكتاب المقدس**، جورج بوست، ج1، ص54.
(3) انظر: **المعجم**، عبد الله العلايلي، ج2، ص121، الطبعة الأولى 1347هـ ـ 1954م.
(4) المصدر السابق نفسه، ج1، ص54م.

واستعملت اللفظة في التوراة أربع مرات مع (أل) التعريف فقالوا: الصباؤوت.

وصباؤوت: جمع (ص ب ا) أي الجيش، الجند، أي: يهوه إله الجنود، رب الجنود وهي جيوش إسرائيل.

ويهوه صباؤوت هو إله جيوش بني إسرائيل المصطّفّين في وجه الفلسطينيين وهو الذي أعزَّ الإسرائيليين في التغلب عليهم[1].

د ـ إل:

وهكذا جاء هذا الاسم في الجلجلوتية وهو محرّفٌ من (إيل) وهو إله وثني قديم لشعوب مختلفة فهو إله البابليين والآشوريين والفينيقيين. واستعماله في التوراة غير مقصور على الله بل يستعمل للدلالة على آلهة الوثنيين[2].

وإيل هو اسم جنس (الجمع: إيليم وإيلوهيم وإيلاني) ويعطي معنى القوة والمجد. واستعمله بنو إسرائيل ليدلّ على الإله الواحد، ويزيدون عليه عنصراً محدّداً مثل (إيل شداي) أي الشديد القوة[3].

هـ ـ شدّاي:

اسم من أسماء الله أعلنه الله للآباء (أنبياء اليهود الأوائل) مع اسم (إيل) فصار (إيل شدّاي).

وشداي حسبما يرى البعض أنها تعود إلى (شدد) أي القوي

(1) **المحيط الجامع**، المصدر السابق، ص741.

(2) **قاموس الكتاب المقدس**، المصدر السابق، ج1، ص184.

(3) **المحيط الجامع**، المصدر السابق، ص206.

الشديد. ويرى آخرون أنها من أصل أكدي (شادو) أي الجبل فيقولون: الإله الرفيع[1].

وفي العربية (الشِّدَّةُ): الصلابة وهي نقيض اللين تكون في الجواهر والأعراض[2].

وهكذا ترى أن اسم الله الأعظم الذي ذكرته الجلجلوتية لم يكن سوى لفظ يتكون من عدة أسماء ذوات جذور عبادية وثنية ثم دخلت في العبادة اليهودية، ولم يَرِدْ اسمُ الله الأعظم في القرآن الكريم وبقي غامضاً على المسلمين وضربت به الروايات الإسلامية طولاً وعرضاً في استعراض من الاحتمالات المتناقضة.

أسماء عظمى لم ترد في القصيدة:

أ ـ (يَهْوَهْ):

نظر علماء اليهود إلى هذا الاسم بأنه هو اسم الله الأعظم. فقال موسى بن ميمون[3]: إن اسم (يهوه) اسم مرتجل لله تعالى ولذلك سُـمي (الاسم الأعظم) معناه أنه يدلُّ على ذاته تعالى دلالةً بيّنة لا

---

(1) **قاموس الكتاب المقدس**، ص701.

(2) **لسان العرب**، مادة شدد

(3) موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق أبو عمران القرطبي (529 ـ 601هـ = 1135 ـ 1204م) طبيب فيلسوف يهودي ولد وتَعَلَّم في قرطبة وتظاهر بالإسلام، وقيل أُكره عليه، فحفظ القرآن وتفقه بالمالكية ودخل مصر فعاد إلى يهوديته وأقام في القاهرة 37 عاماً كان فيها رئيساً روحياً لليهود، وصار طبيباً في البلاط الأيوبي ومات بها ودفن في طبرية بفلسطين. وله تصانيف كثيرة في العربية والعبرية منها: دلالة الحائرين، **الأعلام** : مادة موسى بن ميمون.

اشتراك فيها. أما سائر أسمائه العظمى فتدلُّ باشتراك لكونها مُشتقَّة من أفعالٍ يوجد مثلها لنا[1].

ثم يقول: إن اسم (ي هـ و ه) لا يُعلم له اشتقاق مشهور ولا يشارك فيه الغير. ولا شك أن هذا الاسم العظيم الذي لا ينطق به كما علمتُ إلا في المقدّس من القداس للربّ خاصة في بركة القسيسيين. ولا يتسمى الاسم الأعظم بوجهٍ غير هذا. الاسم ذو أربعة حروف المكتوب لله الذي لا يقرأ بحسب هجائه. ولم يكن معلوماً عند كلِ أحد كيف ينطق به وبأيِّ الحركات يُحرك كلُّ حرفٍ من حروفه أو يشدّ بعض حروفه إن كان حرفاً مشدّداً. وكانوا لا يعلّمونه إلا لتلميذ مستأهلٍ مرةً واحدة في الأسبوع[2].

وقد سماه (روبرت جريفز): الاسم المبارك لِمعبود اليهود المقدس، ذلك الاسم الذي بات مكنوناً لدرجة جعلته لا يُنطق به إلا مرةً واحدةً في السنة همساً على لسان الكاهن الأعلى عندما يدخل قدس الأقداس. وبات من المحرّم الإفصاحُ عنه كتابةً. ويشير (جريفز) إلى قول يوسف بن ماتياس إنه وَقَف على ذلك الاسم الخبيء وإلى قول (كليمنس السكندري) إنه ـ وإن لم يقف عليه ـ خَمَّنَهُ بعد الاطلاع على برديّةٍ مصرية بها نصٌّ سحري. ثم يضيف قائلاً: إن ذلك الاسم الخبيء يُرَجحُ أنه معقَّد للغاية وطويل طولاً غير عادي إذ تصل حروفه إلى (42) أو (72) حرفاً[3].

---

(1) كتابه: **دلالة الحائرين**، ص92، قدم له واعتنى به: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت، ط. الأولى 2007م.

(2) المصدر السابق، ص92.

(3) **السحر في التوراة والعهد القديم** ، شفيق مقار، ص322، ط. الأولى، المملكة المتحدة 1990، دار رياض الريس، لندن.

أقول: ولسنا ندري كيف انتقل عدد حروف هذا الاسم الخبيء من بردِيات مصر إلى التقليد الإسلامي الذي جاء فيه أن اسم الله الأعظم يتكوّن من ثلاثة وسبعين حرفاً.

أما من جانب حظر النطق باسم (يهوه) فهو (تابو) قديم معروف لدى كثير من القبائل التي تبنت هي الأخرى هذا الإله كقبيلة (المديانيين) العربية[1].

ب ـ (ياهُو) و(هُو):

كثيراً ما يتردَّد هذان اللفظان على ألسنة الصوفيين أثناء التواجد وإحداث الغيبوبة الانتشائية فيطلقون نداء صائتاً بقولهم، (ياهُو . . لا إله إلا هو).

و(هُو) مأخوذ من اللفظ العبراني (ياهو هو) أي (يهوه هو الله).

والأصل في (ياهو) أصل كنعاني، فمن بين الآثار التي وجدت في كنعان عام (1931) قطعٌ من الخزف من بقايا عصر البرونز (3000) ق.م عليها اسم إله كنعاني يسمى (ياه) أو (ياهو). وقد أخذ اليهود منهم هذا الإله فأطلقوا عليه اسم (يهوه) فصاغوه بالصورة التي كانوا هم عليها وجعلوا منه إلهاً صارماً. ويبدو أنه كان في بداية الأمر إلهاً للرعد يسكن الجبال ثم صار إلهاً للحرب وفي ذلك يقول موسى النبي:

«الربُّ رَجلُ حرب»[2]

---

(1) ينظر: **موسى والتوحيد**، فرويد، ص64 وما بعدها.

(2) **قصة الحضارة**، وول ديورانت، ج2، ص240.

وقد استعملت لفظة (هُو) كاسم أعظم لله عند أهل الكشف. ونقل الفخر الرازي من بعض أهل الكشف أن اسم الله الأعظم هو (هُو)[1].

ج ـ (الرحمن) و(الرحيم):

جاء في بعض المصادر الإسلامية أن اسم الله الأعظم دخل في (بسم الله الرحمن الرحيم)[2] ولم يعيّن المصدر في أية لفظة هُوَ.. هل هو (الله) أم (الرحمن) أم (الرحيم).

ولدى البحث في العبادات القديمة يتبيّن لنا أن ثَمَّة عبادة ظهرت في جزيرة العرب بعد الميلاد وهي عبادة (الرحمن) (رحمنن). وقد وردت كلمة (رجمنن) أي (الرحمن) في نصٍّ يهودي وفي كتابات (أبرهة)، ووردت في نصوص عربية جنوبية وفي نصوص عُثر عليها في أعالي الحجاز.

وقد كان أهل مكة على علم بالرحمن ولا شك في اتصالهم باليمن وباليهود، ولعلهم استخدموا الكلمة في معنى (الله).

وقد جاء في النصِّ اليهودي (الرحمن الذي في السماء وإسرائيل وإله إسرائيل رب يهود).

وقد حمل هذا النص بعضَ الباحثين على القول بأن العرب الجنوبيين أخذوا هذه الكلمة وفكرتهم عن الله من اليهودية، وأن فكرتهم عن التوحيد هذه ظهرت بتأثير اليهودية التي دخلت إلى اليمن.

غير أن من الباحثين من رأى خلاف هذا الرأي. رأى في افتتاح

---

(1) **اسم الله الأعظم**، عبد الفتاح الطوخي، ص10 وما بعدها.

(2) **بحار الأنوار**، المجلسي، ج90، ص323.

النصّ بذكر (الرحمن) ثم إشارته بعد ذلك إلى إله يهود وورود كلمة (الرحمن) في نصٍّ آخر يعود إلى سنة 468 للميلاد كتبه صاحبه شكراً للرحمن الذي ساعده على بناء بيته، كلّ هذه وأسباب أخرى تناقض رأي القائلين بأن عقيدة الرحمن اقتبست من اليهود.

وقد ذكر علماء اللغة أن (الرحمن) اسم من أسماء الله مذكور في كتب الأُوَل وأن اللفظة عبرانية الأصل، أما (الرحيم) فعربيةٌ، وذكروا أن (الرحمن) اسم مخصص لله لا يجوز أن يُسمّى به غيره[1].

أقول: وإذا اعتقدنا بذلك واعتبرنا صحته فسيكون (الرحمن) هو اسم الله الأعظم على أكثر الاحتمالات.

الاختلاف في تعيين الاسم:

وتدل الروايات الكثيرة الصادرة عن مفسرين ومراجع دينية مقدسة وفقهاء أنه لم يكن لدى المسلمين تأكيد أو اتفاق على تعيين الاسم وإنما هي مجرد احتمالات فمن تلك الآراء رأي يقول:

1 ـ إن اسم الله الأعظم هو (كهيعص) ويقرأ (كاف هاء ياء عين صاد)[2] وبالمناسبة أذكر من طفولتي أن الوالدة يرحمها الله كانت ترقينا بهذه اللفظة فتدير يدها على وجه أحدنا إذا كان مريضاً قائلة: (كاف ها يا عين صاد) فيزول المرض حسب اعتقادها.

2 ـ وهناك من يقول إن اسم الله الأعظم دخل في بسم الله الرحمن

---

(1) **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جواد علي، ج6، ص37.
(2) **تفسير القرطبي**، القرطبي، ج11، ص74.

الرحيم وقد فصلنا ذلك قبل قليل. وجاء أيضاً: إن بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين[1].

4 ـ وجاء إن اسم الله الأعظم في ست آيات من آخر الحشر[2].

5 ـ ومِن قائلٍ إن اسم الله الأعظم في سور ثلاث في البقرة وآل عمران وطه[3].

6 ـ وقيل في (البقرة) في آية الكرسي[4].

7 ـ وورد أن اسم الله الأعظم مقطع في (أم الكتاب)[5] وغير ذلك من الروايات التي لا حصر لها ويطول تعدادها والخوض فيها.

خاتمة المقالات:

ويبدو من خلال مجريات الأخبار أن المسلمين راحوا يبحثون عن هذا الاسم المُعجز بحثاً حثيثاً بسبب ما شاع عنه من اجتراحه لمالكه كل الرغبات والإرادات فلم يظفروا بطائل، وأخيراً ذهبوا إلى رسول الله ﷺ وسألوه فقال: «كل اسم من أسماء الله أعظم وَفرّغ قلبك عن كل ما سواه وادعه بأي اسم شئت وليس من الحقيقة لله اسم دون اسم بل هو الله الواحد القهار»[6].

* * *

---

(1) **بحار الأنوار**، مصدر سابق، ج90، ص323.
(2) المصدر السابق، ج9، ص324.
(3) المصدر السابق، ج9، ص324.
(4) المصدر السابق نفسه.
(5) **كتاب الصلاة**، الشيخ الأنصاري، ج1، ص339.
(6) **رسالة الشهيد الثاني**، الشهيد الثاني، زين الدين بن علي بن أحمد العاملي، ص136.

وهكذا سقطت الجلجلوتية أمام هذا الكلام الفصل ولم يَتَبَقَّ لأسطورة نزول الاسم الأعظم من السماء غير رؤيا باهتة يتعلّق بها الجهلة من الناس.

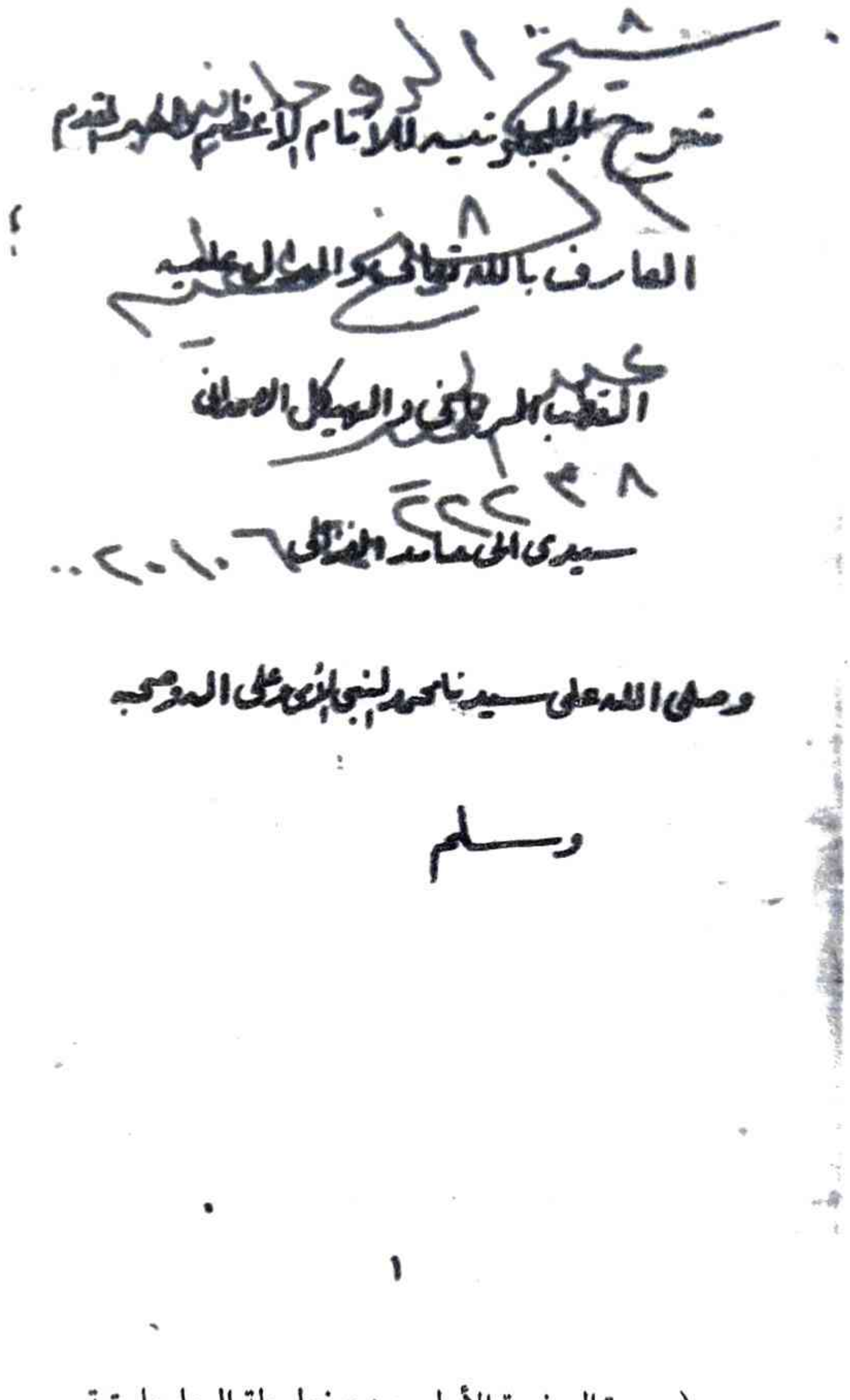
شرح الجلجلوتيه للامام الاعظم [illegible]

العارف بالله تعالى ...

القطب الرباني والهيكل الصمداني

سيدي ابي حامد الغزالي

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى اله وصحبه

وسلم

١

(صورة الصفحة الأولى من مخطوطة الجلجلوتية
من مكتبة شيخ الروحانيين عطية عبد الحميد)

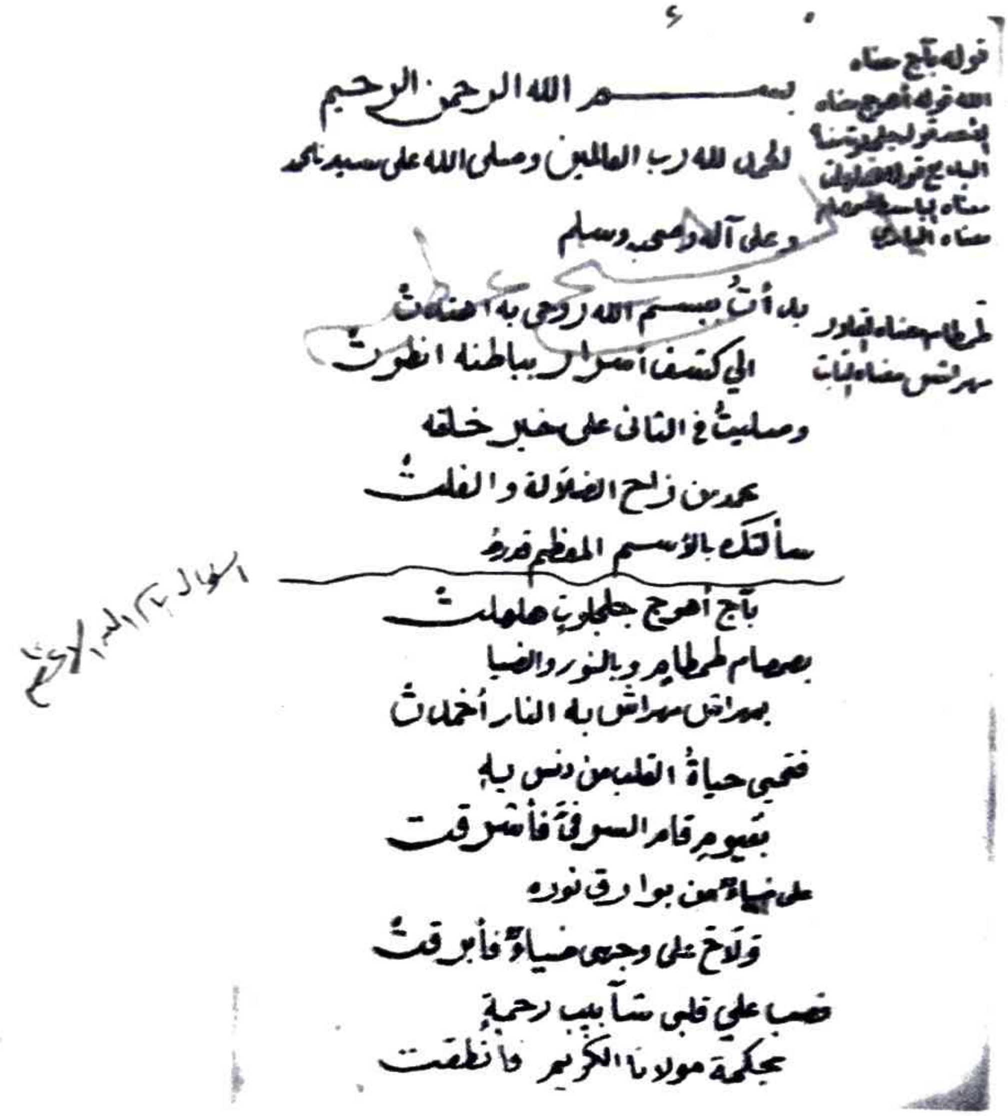

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

بدأت ببسم الله روحي به اهتدت

إلى كشف أسرار بباطنه انطوت

وصليت في الثاني على خير خلقه

محمد من زاح الضلالة والغلت

سألتك بالاسم المعظم قدره

بآج أهوج جلجلوت هلولت

بصصام طمطام وبالنور والضيا

بمراش مهراش به النار أخمدت

فحيي حياة القلب من دنس به

بقيوم قام السرق فأشرقت

على ضياء من بوارق نوره

ولاح على وجهي ضياء فأبرقت

فصب على قلبي شآبيب رحمة

بحكمة مولانا الكريم فأنطقت

٢

(صورة الصفحة الثانية من المخطوطة نفسها)

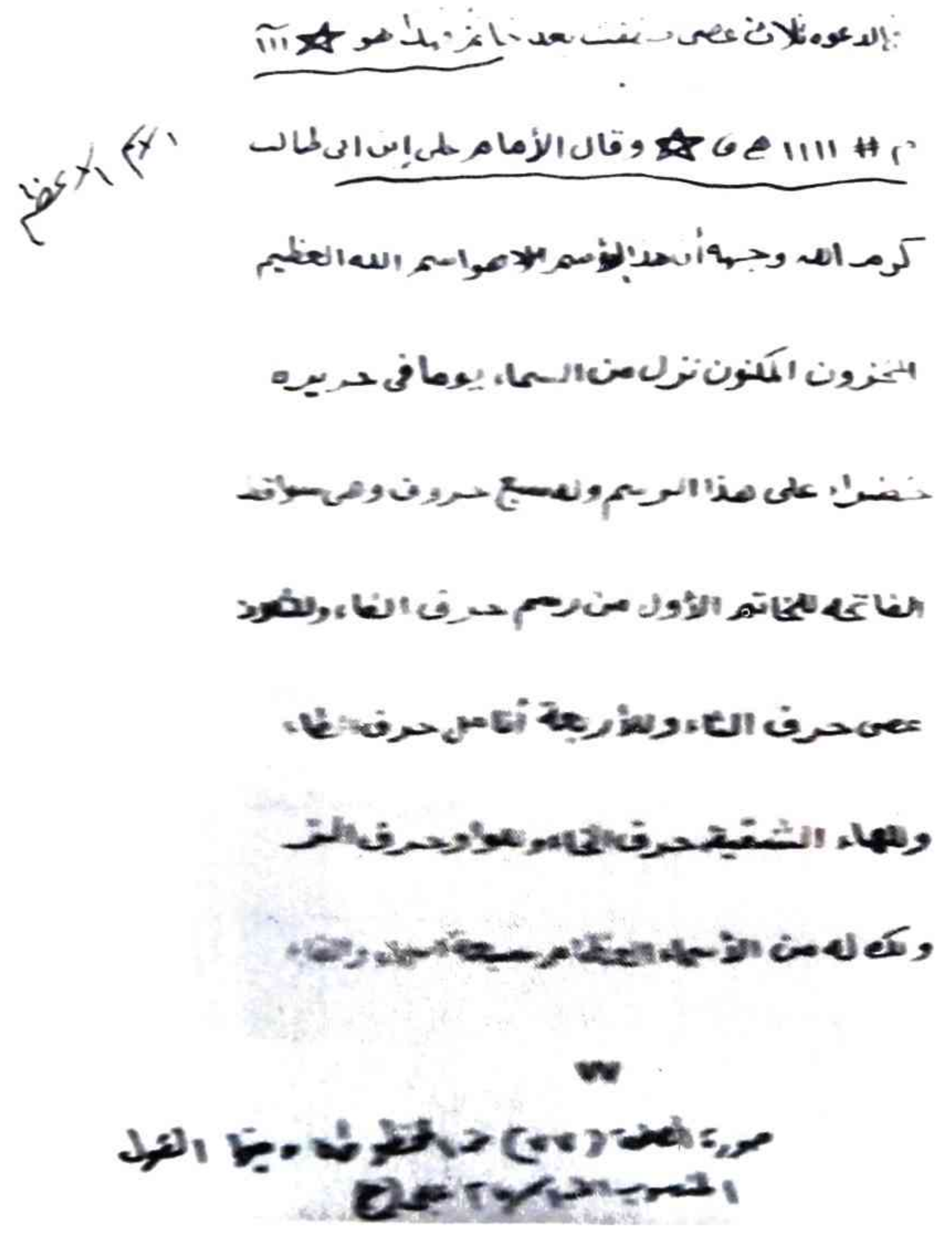

(صورة الصفحة 77 من المخطوطة المذكورة
وفيها القول المنسوب إلى الإمام علي)

الفصل الثاني

كوميديا عنزة السيدة نفيسة

عنـزةُ السيدة نفيسة حقيقةٌ أشبهت الأساطير بمعاجزها التي آمن بها جمٌّ عظيم من الناس حيث اعتقدوا اعتقاداً جازماً بأنها استطاعت إطلاق كثيرٍ من الأسرى المسلمين الذين أسرهم الإفرنج في الحروب وشَفَت كثيراً من الأمراض المستعصية، وكانت لا تحبُّ طعاماً سوى اللوز والفستق المُقشَّر، ولا تحبُّ شراباً إلا ماءَ الورد المداف بالسُّكّر، وهي في الواقع لم تكن سوى عنـزة عاديّة اشتراها شيخٌ محترم من سوق الغنم ثم أشاع عنها تلك المعجزات والمنجزات فانبهر الناسُ بها وفُتنوا، فساروا إليها زرافات ووحداناً من جميع أنحاء البلاد المصرية يطلبون منها الشفاء من أمراضهم والبركة بلمسها وتقبيلها. وكادت أن تحدث فتنة لولا أن سارع الوالي آنذاك فتدارك الحالة واستطاع أن يقضي على الضجة بحيلةٍ لطيفة دَبّرها للعنـزة وصاحبِها فانقطع بذلك خبرها، ولكن بقي ذكرها يشير إلى شدة تعلق الناس بالخرافات وإيمانهم بالمعجزات المضحكة.

وقد نسبت تلك العنـزة إلى السيدة نفيسة ابنة أبي محمد

الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب، وهي لا علاقة لها بها لأن السيدة توفيت بمصر سنة (208هـ) والعنـزة المعجزة ظهرت سنة (1173هـ).

والسيرة المدوّنة لهذه السيدة سيرة مضيئة حافلة بجلائل الأعمال حيث كانت عالمةً بالتفسير والحديث. ولدت بمكة سنة (145هـ) ونشأت بالمدينة وحجّت ثلاثين حجةً.

وقد تزوَّجت من إسحاق المؤتَمَن ابن الإمام جعفر الصادق وكانت تحفظ القرآن وسـمِعَ عنها الإمام الشافعيّ، ولما توفي أُدخِلت جنازته إلى دارها فصلَّت عليه.

وكان العُبّادُ يزورونها ويأخذون عنها، وللمصريين فيها اعتقاد عظيم حيث إن قبرها عندهم يُزار وهو معروف بينهم في استجابة الدعاء إلى اليوم.

وذكر أنها لما توفيت أراد زوجها إسحاق نقل جنازتها إلى المدينة ودفنها في البقيع، فسأله أهل مصر أن يتركها عندهم للتبرك، وبذلوا له مالاً كثيراً فلم يرضَ. فقيل إن النبيّ ﷺ تراءى له في المنام وقال له: يا إسحاق لا تعارض أهل مصر في نفيسة فإن الرحمة تنـزل عليهم ببركتها فدفنها في مسكنها بدرب السّباع فعرفت السيدة نفسية بعد ذلك بأنها (خفيرة القاهرة)[1].

وتبعاً لهذه المنـزلة راح المصريون يزورون ضريحها وينذرون له، فامتلأت جيوب السدنة بالهدايا والهبات والنذور كما هي الحال في سدنة القبور المقدسة والمعابد الدينية في العالم.

---

(1) ينظر: **الدّر المنثور في طبقات ربات الخدور**، زينب بنت فوّاز العاملي، ص521، ط. الأولى، المطبعة الكبرى ببولاق سنة 1312هـ

وتمرُّ القرون وتدور الأيام ويتوارث الضريح سدنة عديدون حتى إذا وصل أمر السدانة إلى (الشيخ عبد اللطيف) سنة (1173هـ) استقلَّ الرجل الهدايا والهبات رغم كثرتها وطلب المزيد. ففكر في اختِراع وسيلةٍ يكثر بها مدخوله، وقلَّب الأمر مع نفسه ودرس ثقافة الناس فوجد أن عقليتهم تسمح له أن يفجِّرَ بينهم خبراً مثيراً يجعلهم يفرّغون ـ عن طواعية ـ كل ما في جيوبهم في شباك الضريح. فقام ذات يوم وأظهر عنـزةً اشتراها من (سوق الغنم) وأعلن أنها عنـزة السيدة نفيسة وأن السيدة أوصته بها وهي في القبر.

ثم زعم أن هذه العنـزة خَلَّصت عديداً من أسارى المسلمين في الحروب مع الإفرنج، وأنها تكون تارةً في أعلى المنارة وتارة تطوف بالقبر، ويبدو أنه درّبها على الطواف حول القبر كما يطوف الحجيج.

ومما لا شك فيه أن مثل هذه المقالات تنتشر بين الناس السذّج انتشار النار في يابس العشب، فانثالوا عليها من كل فجٍّ عميق رجالاً ونساءً وأطفالاً يتبركون بلمسها، وربما يغافلون الشيخ فينتزعون شعرة أو أكثر من شعرها للاستشفاء أو للتبخّر وطرد الجنّ. وهم خلال ذلك يفرغون ما في جيوبهم في شباك القبر، وهو بالطبع يعود بالتالي إلى جيب الشيخ عبد اللطيف. ثم زعم الشيخ أنها لا تأكل إلا قلبَ اللوز والفستق المقشَّر ولا تشرب إلا ماء الورد والسكر المكرّر. ويبدو أن الشيخ كان يحب ذلك فانهالت على العنـزة هذه الأشياء التي تذهب إلى بطن الشيخ وبطون أولاده وجلاوزته عادةً.

ثم عمل الناس لها كثيراً من قلائد وأطواق الذهب وصار الأعيان والأمراء يرسلون الشيء الكثير من ذلك إليها فحدثت هيعةٌ كبيرةٌ بين الناس.

وصلت الهيعة إلى سمع الأمير (عبد الله كتندا) فخشيَ الفتنة ووقوع الجماهير في الخديعة والوهم فبيَّت أمراً بليلٍ وأرسل إلى الشيخ عبد اللطيف يلتمس حضوره مع العنزة ليتبرك بها هو وحريمه.

ركب الشيخ بغلتَهُ والعنـزةُ في حجره وأمامه الطبول والبيارق وجموع الناس تهزج والنساء تزغرد والأطفال تصفق على طول الطريق إلى باب الأمير.

ولما وصل الركب إلى قصر الأمير ترجَّل الشيخ محتضناً العنـزة ودخل على الأمير في مجلسه، وكان فيه كثير من الأمراء والأعيان، فتبرَّكَ بها وكذلك الحضور، ثم طلب من الشيخ أن يأذن له بإرسالها إلى الحريم لتتبرك بها النساء فقبل الشيخ، وأُرسلت العنـزة إليهن وكان الأمير قد أمر الطباخ أن يذبحها ويعتني بطبخها فذبحها وأعدّها وقدمت مع الأكل وجلَس الجميع يأكلون والأمير يسأل الشيخ عن طعم لحمها فيقول: لذيذ ! والأمراء يتغامزون ويضحكون.

فلما أكلوا وشربوا القهوة طلب الشيخ عنـزته فأُخبر بذبحها فأسقط في يده ووبَّخَهُ الأمير وبَكَّتَهُ وأمر أن يُعَمَّم بجلدها وأن يُذهب به كما جاؤوا به بالطبول والمزامير وفي ذلك قال الشاعر الشعبي:

ومـن أعجـب الأشياء (تيسٌ) أراد أن
يضـل الـورى فـي حبهـا منـه بالعَنْزِ
فعـاجـلـهـا مَـنْ نَـوّر الله قلبه
بذبـح وأضحـى الشيـخ مـن أجلهـا مخزي

ويقصد الشاعر بالتيس الشيخ عبد اللطيف صاحب العنـزة[1].

---

(1) قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، أحمد أمين، ص290.

وقد تضحك أيها القارئ الفطن من بلاهة إيمان هؤلاء الناس، وأقول لك لا تضحك فإن الإيمان الأبله يوفّر المناخ لظهور مثل هذه الخرافات، ودائماً نجد عند كل الأمم أناساً حمقى طيبين ونخبةً من الأذكياء الشريرين يستغلون طيبة أولئك الناس وبلادتهم من أجل تنفيذ مآربهم الدنيئة. وعلى هذا المنوال سأحدثك بحديث أعجب فانتظرني في الفصل التالي.

الفصل الثالث

تقديس حوافر الحمير

حافر حمار المسيح

لقد ألفنا في التقاليد الدينية السائرة أن الناس يقدسون نبياً لمعجزته أو إماماً لكرامته أو عابداً لبركته، أما أن يقدس الناس حافر حمار على اعتبار قداسة راكبه فهذا ما لا يخطر على بال، وإن حدث فهو بليَّةٌ . . وشرُّ البلية ما يضحك.

نعم . . وربما يقدَّسُ الحمارُ نفسه تَبعاً لقداسة راكبه، وعلى هذا سار المسيحيون القدماء حيث فضَّلوه في التنقل من مكان إلى مكان على غيره من المراكب، وذلك لأن السيد المسيح كان يركبه ويَتَنقَّل من مكان إلى مكان ودخل أورشليم راكباً جحشاً (حماراً صغيراً)، ولا يُشار بذلك إلى ضعةِ المسيح، إنما يشار إلى كون المسيح مُحِباً للسلام لأن الحمار لا يستخدم في الحرب كالفرس ويناسبُ رئيس السلام الذي أتى على نوعٍ مخالف للملوك القاهرين[1].

(1) قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، ج1، ص385.

وكانت النتيجة أن قدّس المسيحيون تبعاً لذلك جنس الحُمر بعامة. أما الحمار الذي ركبه المسيح بالذات فقد مات وتفتّتت عظامه إلا حافره فإنه بقي يقاوم الفناء، على حدّ زعمهم.

ويبدو أنهم بحثوا عنه طويلاً حتى عثر عليه شخص بطريقة لا يعرفها أحد سواه. أما كيف عرف أن هذا الحافر يخص حافر حمار السيد المسيح فذاك سرٌّ من الأسرار غير المكتشفة حتى اليوم.. المهم أن الناس آمنوا بمقالة ذلك الشخص فأخذوا الحافر ووضعوه في كنيسة فسميت (كنيسة الحافر) كما يقول الإسفراييني حيث علقوه في محراب الكنيسة بحلقة من الذهب ورصّعوه بالذهب والفضة وراح الناس يعظمونه ويقدّسونه. وكان الكثير منهم ـ مسيحيون ومسلمون ـ يزورونه ويطوفون حوله[1]. فهل رأيت أيها القارئ أُمّةً أدعى إلى الضحك منها كهذه الأمة؟

حافر حمار العزير

العزير النبي اليهودي المذكور في القرآن الكريم ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[2]، له قدسية كبيرة عند المسلمين، ويُنسبُ له قبر رؤيوي في العراق يقع على عدوة من دجلة اليمنى بين القُرنة والعمارة في المدينة المسماة باسمه (مدينة العزير).

وتُسمِّيه التوراة (عزرا) وله فيها كتاب اسمه (سِفر عزرا) يحتوي على عشرة إصحاحات، كتبه عزرا في القرن الخامس قبل الميلاد وعالج فيه رجوع بني إسرائيل من السَّبي في بابل إلى بيت المقدس وكيفية بناء

---

(1) الإسفراييني : **نور العين في مشهد الحسين**، ص75.

(2) سورة التوبة، الآية 30.

الهيكل. وقد عمل عزرا مستشاراً في حكومة فارس بعد سقوط مملكة بابل، وكانت مهمتُهُ إعادة تنظيم جماعته فيما بعد السَّبي على الشريعة اليهودية[1].

وتدور حوله أساطير يهودية وإسلامية عديدة ويهمنا منها لموضوعنا الأساطير الإسلامية، فيُعتَقَدُ أنه هو الذي أَماتهُ الله تعالى وحمارَه مئة عام ثم بعثه وبعث حماره معه ليري الناس كيف يحيي الموتى.

وقد شاع بين الناس أن اليهود يعظمون حماره فقال الشاعر في ذلك:

آل العــــزيــــر يُعَظِّمــــــونَ حِمَـارَهِ
وَيَـــرونَ فَـــوزاً لَثْمَهـــم لِلحافِـــرِ

ويبدو لنا من خلال هذا البيت أن آل العزير الذين هم اليهود يقدسون حافر ذلك الحمار فيلثمونه طلباً للفوز عند الله. كما يبدو لنا كذلك من خلال هذا البيت أنهم احتفظوا بالحافر وربما جعلوه في محراب أحد كُنسهم كما فعل المسيحيون بحافر حمار عيسى في كنيسة الحافر.

ولكن أين ذلك الحافر؟ من البديهي أنه ضاع أثناء تعرض ذلك (الكنيس) للتخريب من قبل أعداء اليهود وهم كثر. وقد يكون سُرق من قبل سُرّاق الآثار والنفائس التاريخية الثمينة كما يحدث اليوم لآثار العراق بعد الغزو الأمريكي. ولآثار مصر بعد (الخريف) العربي الميمون! !

---

(1) ينظر: سفر عزرا، إصحاح، 1 وما بعده.

ولما كان العزير نبياً معترفاً به من قبل المسلمين حيث قبره يُزار في موضعه الذي ذكرناه وتقام فيه تقاليد الأفراح والأحزان الإسلامية جنباً إلى جنب مع التقاليد اليهودية فإن فقدان حافر الحمار المقدس لا شك يُحزن المسلمين أيضاً ويسوؤُهم لذلك طفقوا بالبحث عنه.

ولكن من الذي سيقوم بالبحث؟

من المفروض أن يتعهد بذلك ولي أمر المسلمين الذي هو الخليفة أو السلطان أو الحاكم. ولكن من الذي يجرؤ على ذلك دون أن يكون أضحوكة أمام المسلمين.

هنا تظهر البطولة والجرأة لدى الخليفة أو السلطان أو الحاكم عندما يتحدّى سخرية الشعب ويتوكل بالمهمة الصعبة ويقوم بالبحث عن الحافر المقدس بشجاعة.

وبالفعل حدث هذا عندما قام بذلك الخليفة الفاطمي بمصر (المؤمن بالله هشام) فقد أعلن عن رصد جائزة كبيرة لمن يعثر عليه ويأتيه به، فتطوع الشباب للبحث عنه، وبعد ترقب وانتظار جاءه رجل بحافر حمار قديم وزعم أنه حافر حمار العزير فأعطاه مالاً عظيماً من بيت مال المسلمين[1] ولا شك أن الخليفة ارتاح بعد هذا الظفر الكبير وكذلك الشعب الغبي.

وهكذا يبدِّد الحكام أموال الدولة ليُقال عنهم إنهم دعاة الدين وحفاظ حوزة المسلمين. والأدهى من ذلك أن الناس الحمقى يرضون عن أولئك الزعماء الفاسدين ويعيدون انتخابهم، وذلك طبع من طباع هذه الأمة التي ضحكت من جهلها الأمم.

---

(1) **سير أعلام النبلاء**، الذهبي، ج17، ص133.

سِرُّ العلامة السوداء على ظهور الحمير:

لقد ثبت بأدلّةِ المصادر الإنجيلية أن السيد المسيح عندما دخل أورشليم (مدينة السلام) كان ممتطياً صهوة جحش (وهو الحمار الصغير)[1] ورغم ثبوت هذا الحدث في تلك المصادر التي لا يمكن التشكيك بها فإن الناس أرادوا دليلاً غير دليل المدوّنات، دليلاً ملموساً يرونه أمامهم رأي العين لكي يؤمنوا بذلك إيماناً حقيقياً وبالتالي تكون تلك المصادر صادقة في زعمها.

ويبدو أن بعض المسيحيين الأذكياء في بريطانيا أخذوا بالبحث عن الدليل الملموس فوجدوه على ظهر الحمار واضحاً جلياً للعيان فقالوا: (إنك لو نظرت عن قرب إلى ظهر أي حمار فسوف ترى على كتفه شعراً أسود ينمو على شكل صليب قاتم، وهذا الشكل لم يكن موجوداً على ظهور الحمير سابقاً حتى ركب الربُّ المسيح حماره المذكور فكرّم الله ذلك الحمار بهذه العلامة التي توارثتها الحمير بعامة إلى اليوم. وهذا الشعر فيه معجزة فمن يقتلع منه بضع شعرات فإنها تشفي ذلك الشخص من جميع الأمراض المزمنة)[2].

وأرجو ألا تضحك مني أيها القارئ إذا قلت لك بأنني تشوّقت لأن أتحقق من الأمر بنفسي، فوقفتُ بباب البيت أنتظر مُرور أصحاب العربات التي تجرّها الحمير، وكانوا في البلد كثيرين قبل أن تأتي

---

(1) في إنجيل متى: 1/ 21 وما بعدها: إن الربّ (المسيح) استعار أتاناً وجحشاً من إحدى القرى القريبة من أورشليم عندما أراد دخول أورشليم. وفي إنجيل مرقس: 1/ 11 وما بعدها إن الربّ المسيح استعار جحشاً وركبه ودخل أورشليم. وفي إنجيل لوقا: 28/ 19 جحشاً لم يركب عليه إنسان قط.

(2) **Supernstitions**, Carey Miller, P. 91

(الستوتة)[1] فتنقذ آلاف الحمر من عبء حمل البضائع الثقيلة، فأقبل من بعيد بائع غاز، فقلت هذا أول الغيث فناديته فجاء مسرعاً يستعجلُ حماره المتعب بالضرب الشديد والحمار صابرٌ ينوء بثقل العربة وثقل صاحبها الراكب فوقه وكأنه فارس بني حمدان. وعندما وصل إليّ ترجّل واقفاً فقلتُ وأنا أتفرس في ظهر الحمار:

- بيش الدبّة؟

- بخمسطعش (خمسة عشر).

- الله أكبر شنو هالغَلَه؟ (الغلاء).

- عمي . . آني إلي بيهه ألف دينار والباقي يروح لجيوب المسؤولين.

- ميشبعون؟ (لا يشبعون).

وكنتُ أكلمه وعيني لا تفارق ظهر حماره . . يا للعجب لقد كان ختمُ الصليب الأسود مطبوعاً على ظهر حماره حقاً.

مرّت فترة وأنا مندهش وصاحب العربة مندهش أيضاً من شدة تحديقي في ظهر حماره. . سألته أخيراً:

- عمي . . شنو هالعلامة على ظهر المطي؟ وأشرت إلى الشعر الأسود.

تبسّم قائلاً:

- عمي . . هاي موجودة على ظهر كل مطي . . هاي من الله . . كان قوله مختصراً تبيّنتُ منه أنه لم يقرأ شيئاً عن (علل الظواهر).

---

(1) دراجة نارية، وهو وسيلة نقل للأفراد. [الناشر].

قلت له أريد صرفه:

ـ عمي . . الله وياك . .

فانطلق خائباً صابّاً نقمته على الحمار المسكين بالضرب الشديد.

وفي الحقيقة كان بائع الغاز مصيباً في قوله عن العلامة إنها من الله فهي موجودة فيه منذ أن خلقه الله تعالى ولم أجد أحداً من العلماء عللها تعليلاً علمياً، وهم قد فصلوا أموراً كثيرة عن الحمار، أما هذه فتركوها للتعليل الميثولوجي الخاص بشرح الظواهر الطبيعية المحيرة.

فمن جملة تلك الظواهر سأل الناس عن العِلّة التي من أجلها صارت (الماعزُ) رافعة الذَّنب باديةَ الحيا والعورة وصارت النعجة مستورة الحيا والعورة؟ فجاء الجواب من أحد الوعاظ منسوباً إلى الإمام علي أن السبب لأن الماعز عصت نوحاً عليه السلام لما أدخلها السفينة فدعا الله أن يكشف عورتها، أما النعجة فدخلت طائعةً فدعا الله أن يستر عورتها فسترت. وهذا هو السبب الحقيقي الذي خفي على علماء الأحياء حتى هذا اليوم[1].

---

(1) انظر: **علل الشرائع**، الشيخ الصدوق، ص362.

الفصل الرابع

احتفالية كنسيّة لتكريم حمار

كانت هذه الاحتفالية تقام في كثير من مدن فرنسا في القرون الوسطى. يقوم بها المؤمنون المسيحيون استذكاراً لحادثة هروب (مريم) بولدها المسيح إلى مصر تخلصاً من بطش (هيرودس) الذي قرّرَ ذبح كل أطفال اليهود بعد أن علم بولادة (يسوع). وعندها ظهر ملاك الربّ وأمرها أن تأخذ ولدها وتهرب به إلى مصر فركبت حماراً ودخلت مصر[1].

وقد جعل المسيحيون الفرنسيون تلك المناسبة عيداً أطلقوا عليه اسم (عيد الحمار Fête à l'âne) يقام في اليوم الرابع عشر من شهر يناير/ كانون الثاني من كل عام. وكانت مدينتا (بوفيه) و(سان) يُرتبُ أهلُها لهذا العيد تمثيلية يستعيدون فيها حادثة الهروب فيأتون بفتاة جميلة لتمثل مريم فيُركبونها حماراً، ثم يقاد الحمار إلى كنيسةٍ وعندما يدخلها ينحني ويثني رُكبته اليمنى احتراماً وتعبُّداً ثم يوقف إلى جانب المذبح

(1) ينظر: متى 2/1 وما بعدها. ولم يرد ذكر الحمار في هذا الإنجيل وبقية الأناجيل ويبدو أن الحادث لما تناولته الروايات الشعبية أدخل الحمار فيه لإتمام تناسق الحدث.

ليستمع إلى قداس وترانيم يُتغنى فيها بمديحه. فإذا انتهت الصلاة نهق القس ونهق المصلون ثلاث مرات تكريماً لذلك الحمار التاريخي[1].

أقول: ولا شك أن الحمار هذا عندما يُستنهق ينهق هو أيضاً ويعلو نهيقه على نهيق المتعبدين. والاستنهاق صفة موجودة عند جميع حمير العالم فإنها عندما تسمع نهيقاً تُستثار فتنهق حتى لو كان الصوت بعيداً عنها مسافة كبيرة. وليس هناك صوت أنكر من صوت الحمير وقد جاء ذلك في القرآن الكريم.

وأذكر أننا عندما كنا صبياناً كنا نعبث بأصحاب الحمير فنأتي إلى حمار (زبالٍ) فنستنهقه بتقليد صوته فينهق ويتحفّز ويحاول أن يقلب الحمل فيقوم صاحبه بالجري خلفنا وهو يسبُّ ويتوعد ونحن نعدو أمامه فرحين ضاحكين.

وعلى هذا أرجو أن تتصوروا كيف يكون الجوّ في مدينتي (سان) و(بوفيه) الفرنسيتين يوم (عيد الحمار) عندما ينتقل النهيق من الكنيسة إلى الشوارع فينهق الشعب كله تكريماً لحمار السيد المسيح. الحمد لله أن هذا التقليد غير موجود عندنا.

---

(1) **قصة الحضارة**، وول ديورانت، ج16، ص221.

الفصل الخامس

حمار الأسود العَنسي

أفاد الإخباريون أن التقليد المتعارف عن الحمار لدى العرب أنه أفضل مراكب الأنبياء. لذلك عندما رأى (عبد الحميد الكاتب) ذات يوم (ابن قتيبة) وهو راكبٌ حماراً فارهاً قال له: قِعدة نبيٍّ وبِذلَة جبّار[1]. يريد تواضع نبيٍّ وتكبّر متسلط.

وجاء في الأثر أن الحمار مركب عيسى والعُزير[2]. وجاء غير هذا من أقاويل وكلها تابعة لثقافة الديانة المسيحية واليهودية. وقد رأينا في الفصول الماضية كيف كرم المسيحيون الحافر المتبقي من عظام حمار السيد المسيح وجعلوه في محراب كنيسة وراحوا يطوفون حوله. وتَبعهم الخليفة الفاطمي المؤمن بالله هشام، فبذل الأموال الطائلة من بيت مال المسلمين للتنقيب عن حافر حمار العزير نبي اليهود والمسلمين حتى وجده أحد الدجالين.

والظاهر أن ارتباط الحمير بالأنبياء كان معروفاً في الجزيرة العربية

---

(1) **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، الزمخشري، ج4، ص400، ط. دائرة الأوقاف.

(2) المصدر السابق نفسه.

منذ انتشار الديانات الموحّدة فيها، وبالخصوص الديانة اليهودية التي شَرَّعت قانوناً خاصاً بالحمير، ويقضي هذا القانون بشكل صارم على ألّا يقدم الحمار البكر كضحية لله بينما يفرض تقديم أبكار بقية الحيوانات له تعالى، وقد جاء الأمر بذلك من الله إلى موسى: «أما الحمار فيُفدى بحَمل»[1] وكانت الحملان تذبح كأضاحٍ بديلةٍ عن المراد بالتضحية به.

إن سبب إعفاء الحمير من التضحية بها يعود إلى اعتماد اليهود على الحمار في الركوب وحمل الأمتعة عندما كانوا في مرحلة التنقل والارتحال، وعندما استقروا في الأرض كفلاحين جعلوه من ضمن حيوانات الحراثة ونقل المحاصيل لشدة تحمله وقوة بدنه، ثم اعتبره اليهود المتأخرون رمزاً من رموز الإخصاب وكانت بعض القبائل اليهودية عندما يشحُّ المطر تستمطر برفع جمجمته إلى السماء.

ثم جاءت المسيحية فكرَّمَهُ المسيح كرمز للسلام وراح يتنقل عليه، وبعده تبِعَهُ القساوسة والكهنة واقتصروا عليه في الركوب.

والظاهر أن هذه الثقافة كانت راسخة في ذهن الكاهن (عَبْهلَةَ) وهو المتنبئ المعروف بالأسود بن كعب بن عوف العنسي الذي كان في بداية أمره يتكهّن في بني عنَس فادعى النبوة ليظاهر النبيَّ محمداً ﷺ فاتبعته عَنَسُ واتبعه قومٌ من غير عَنَس وسمى نفسه (رحمن اليمن) كما تَسمَّى مسيلمة بـ(رحمن اليمامة).

وعندما أعلن (عبهلةُ) نفسه نبياً رأى من الضروري أن يتَّخذ لوازم الأنبياء لكي يكون نبياً بشكل صحيح، ومن أهم هذه اللوازم وجود المركب التقليدي لهم وهو الحمار. فاتخذ لنفسه حماراً كان

---

(1) ينظر: **سفر الخروج** 13/ 13 و34/ 20.

قد راضه ودرّبه فيقول له: اسجد لربّك فيسجد ويقول له: أُجثُ، فيجثو وغير ذلك من أمور يدّعيها ومخاريق يجتذب بواسطتها قلوب الناس الملتّفين حوله[1]. ولذلك أطلق الناس عليه اسم (ذي الحمار)[2].

ولو قارنا حركة هذا الحمار بحركة حمار كنيستي (بوفيه) و(سان) الفرنسيتين لوجدنا التشابه حاصلاً بينهما، فكلاهما يصلّي بركوع وسجود حيث علم حمار الكنيسة عندما يدخلها أن ينحني ومعناه: يركع ثم يثني ركبتيه اليمنى ومعناه أنه يسجد. فكيف حصل هذا التوافق العجيب بين الاثنين والبعد الزماني والمكاني بينهما طويل؟

أقول: ليس هذا من العجب فإن الأفكار والتقاليد والمعتقدات قد تتوافق مع بعضها رغم التباعد في المسافات والأزمان، وذلك لأن الإنسان هو الإنسان في كل زمان ومكان، وسنجد هذا واضحاً في عقيدة (نعل الحصان) عند السير نلسون الإنكليزي وعند العراقي الحاج حسان.

---

(1) **التنبيه والإشراف**، المسعودي، ص240؛ **وتاج العروس**، الزبيدي، مادة حمار.

(2) **فتوح البلدان**، البلاذري، ج1، ص125، طبعة 1379هـ مطبعة لجنة البيان العربي.

الفصل السادس

تقديس نعل الحصان في معتقدات السير نلسون والحاج حَسّان

توضيح العنوان:

يتطلَّب هذا العنوان توضيحات مختصرة تسهّل للقارئ إدراك الفكرة التي يدور حولها موضوعنا، لذلك ارتأينا أن نفكّك أجزاءه ونسلط الضوء على كل جزءٍ لكي تصبح الفكرة واضحة ويسهل بالتالي فهم الموضوع، فنقول:

نقصد بـ(نعل الحصان) هذه الحديدة الهلالية التي تُسَمَّرُ في حافره بالمسامير لكي لا يتآكل فيضطرب مشيه وتصيب قوائمهُ الآفات. ويصنع هذه الحديدة صناع مختصون بعَمَل لوازم الخيول الأخرى كالألجمة والشكائم والمهامز وحُليّ السروج وغيرها وهؤلاء هم الحدّادون.

والنَّعْلُ في الفصحى يلفظ بسكون العين وفي العامية بفتحها. وتسمى أيضاً حدوة. وجاء في حكايات الأمثال الشعبية أن الخنفساء رأت حصاناً ينَعّل فرفعت رجليها وقالت: نعِّلوني.

ونعل الحصان في الإنكليزية هو (Horse Shoe) أما قولنا

(تقديس) فنقصد تعظيم ولم نقل (تأليه) على الرغم من أن صاحب النعل الذي هو الحصان أُلِّهَ في بعض الديانات وعُبد كإله.

وقولنا: (في المعتقدات) نقصدُ ما يؤمن به الإنسان من أفكار، أما اقتصارنا على هذين العلمين فلأنهما يمثّلان شخصين متباعدين عن بعضهما مكاناً وزماناً وديناً حيث إننا قصدنا بـ(السير نلسون) الأميرال الإنكليزي المسيحي (Sir Nelson) من مشاهير قادة الأساطيل البحرية في العالم. ولد في إنكلترا (سنة 1758م) واستطاع أن يحطم الأسطول الفرنسي في معركة (أبو قير) (سنة 1798م) وبذلك حطّم حلم (نابليون) في فتح الشرق وجَعله قانعاً بمصر وحدها معتمراً العمامة فيها أملاً في احتياز مرضاة أهلها واستمالة قلوبهم الطيّبة التي تنخدع بالمظاهر.

وقد توالت انتصاراته حتى لحظة موته، فبينما كان النصر ينعقد له في معركة (الطرف الأغر Traflgar) كان يلفظ أنفاسه الأخيرة بعد إصابته بشظية، وكان ذلك سنة (1805م)[1] وبذلك نال شرف (البطولة القومية) التي تعادل شرف (بطولة الشهادة) عند المسلمين.

أما (الحاج حسّان) فهو أنموذج لكاسب عراقي يرتّزق بالبيع والشراء في دكان بسيط. وقد توفي قبل عدة عقود دون أن يخلّف شيئاً من الأثر الثقافي سوى (نعل حصان) قديم كان قد سَمّرهُ فوق باب دكانه وعلق عليه كل آماله في الربح واستجلاب البركة. وهو ما فعله الأميرال ولسون نفسه عندما علّق (Horse Shoe) على (الدَّقَل)[2]

---

(1) New Webster's **Dictionary and Thesaurus'** Nelson Item.

(2) الدَّقَل: خشبة طويلة تشدّ في وسط السفينة ويمدّ عليها الشراع، وتسميه البحرية الصاري. **المعجم في اللغة والنحو والصرف**، دار النخبة، 2010م. [الناشر].

الرئيسي لسفينته الحربية لاستجلاب النصر. وقد انتصر فعلاً وبه كانت خاتمة حياته وعلى هذا يكون الرجلان قد تشاكلا معاً في هذه العقيدة (عقيدة الإيمان ببركة نعل الحصان) رغم افتراقهما في الدين. فكيف وحّدتهما هذه الحديدة وما سِرُّها؟

اتساع مساحة العقيدة:

يتبين لنا من استقراء التاريخ أن المتسع الجغرافي للعقيدة يمتدُّ إلى بلاد عديدة فنجدها في بلاد الإنكليز حيث وظّفها الأميرال نلسون كما رأينا، ونجدها في ألمانيا وكذلك سائر الدول الأوروبية، كما نجدها في بلاد المغرب فضلاً عن بلدان المشرق[1].

ويذكر التاريخ أن العرب في الجاهلية استعملوا تميمة نعل الحصان لحماية ممتلكاتهم[2].

بداية توظيف العقيدة:

أما متى بدأ توظيفها في حماية الممتلكات، فبعض الباحثين يرون أن ذلك يعود في التاريخ إلى زمن الرومان في بداية عصر الحديد. فذكر أنهم أول من استعملها لحماية حوافر خيولهم، وكان ذلك في القرن الثاني قبل الميلاد وكانت الخيول قبل ذلك تُنَعَّل بالجلود[3].

إلا أن بعض علماء الفولكلور ربطها بشعيرة يهوديّة تمارس في

---

(1) **معجم الفولكلور**، د. عبد الحميد يونس، ص113.

(2) **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج8، ص409.

(3) **Ency. Britanica** - Horse Shoe item.

(عيد الفصح) حيث يقوم اليهود برش قوائم أبواب بيوتهم وأُسكفات نوافذهم بدماء (حملان الفصح) وهي طقوسية تعود إلى زمن خروجهم من مصر في حوالي سنة (1290ق.م) حيث أمرهم النبيُّ موسى ليلة الخروج أن يميزوا أبوابهم عن أبواب المصريين بدماء (حَمَلٍ) يذبحونه ويجعلون دمه على قوائم أبوابهم (لأن الربَّ سيجتاز لَيلاً ليهلك المصريين، فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يَعْبُرُ عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم لضربكم)[1].

فعندما وضعوا الدم على ذلك المكان سال واتخذ شكل هلال يشبه قوس حدوة حصان. فصارت الحدوة بعد ذلك بديلاً عن القوس الدموي وأصبح لها مفعوله نفسه الذي يمنع دخول الشّر والهلاك إلى بيوت اليهود[2].

وقد ادّعى فولكلوريون آخرون بأن سحر نعل الحصان في منع الشرور يعود إلى الأساس الذي كوّنه وهو الحديد والنار حيث إن في هذين العُنصرين تكمن قُدراتٌ فاعلةٌ لطرد الشر، فالحديد يمكن أن يدرأ شرَّ السَّحرة والجنّ والأرواح الخبيثة وكذلك النار.

قانون التماسّ:

وعلى هذا الأساس يصبح نعل الحصان (مانِعاً) للشرّ ولكنه في الوقت نفسه يعتبر (مانحاً) للخير فمن أين جاءه منح الخير؟ لا شك أنه جاءه من تماسّه مع صاحبه الحصان الذي يعتبر رمزاً للخير في جميع

(1) سفر الخروج، 2/ 23.

(2) **معجم الفولكلور**، المصدر السابق، ص112.

المعتقدات العالمية ويبقى تأثيرُ تماسّه حتى لو انفصل عنه. وهذا مبدأ من مبادئ السّحر، أطلق عليه العالم الأنثروبولوجي (فريزر) اسم: قانون الاتصال والتلامس وسمّاه (السحر التلامسي Contagionus) ومفاده أن مخلّفات المؤثِّر تكون مؤثرة مثله وإن مَسَّت شيئاً انتقل التأثير إليه بالمساس[1].

ومعنى هذا أن قيمة النعل ليست بذاته كنعل وإنما تكون بما يظهر من ارتباطه فعلاً بالمؤثِّر، فلا يلتفت إلا لما بدأ فيه من أثر الصُّحبة والاستخدام ويُغضى عما عداه إذا كان جديداً، فنعل الحصان القديم الصدئ هو المفضل وجديده ليس ينفع شيئاً.

ألوهيةُ الحصان:

منذ القدم عُـدّ الحصان كأنبلَ المخلوقات بعد الإنسان واعتبرت طلعتُـه فألاً حسناً من فؤول الخير والرزق، وأضيفت إليه كل الصفات الموسومة بالعطاء والكرم والجود وما تسميته بـ(الجواد) إلا نتيجة اتصافه بهذه السمات. وعندما يتصف أي مخلوق بها يعتبر (مانحاً) و(معطياً) و(رازقاً) وكلها من صفات الإله.

ويعطي تمثال (الجواد الأبيض) ـ المنحوت في الصخر الكلسي في (بومنكتون) في (يوركشاير) والذي يرجع تاريخه إلى العصر الحديدي ـ فكرةً بوجود موقع كبير للحصان عند الشعوب السلتية. فإن هذا الحصان يعتقد أنه يرتبط بعبادة (Epona) وهي (إلهة فرس) انتشرت عبادتها في إسبانيا حتى شمال إيطاليا[2].

---

(1) كتابه، **الغصن الذهبي**، ج1، ص105 الترجمة العربية.

(2) **Ency. Britanica** - Horse item.

وفي (أولستر Ulster) في إرلندة يُقام اتحادٌ رمزي بين كل مَلِكٍ جديد وبين فرس كشاهد على خصوبة الأرض[1].

وكانت (ديمتير) إلهة الخصب لدى الإغريق تظهر أحياناً ولها جواد. واتخذت الآلهة (بوسايدون) و(أثينا) و(أفروديت) و(كرونوس) صور خيول.

وكان (بيغاسوس) الجواد المجنّح الذي طار إلى السماء وأصبح من الآلهة قد أعتبر لاحقاً بأنه (مطيّة الشعراء). وزعم البعض أنه ضرب الأرض بحوافره فانبثقت مكان الضربة النافورة (هيبوكريني Hippocrene) التي أصبحت مصدراً للإيحاء لكل من يشرب من مائها[2].

وكان من الطبيعي أن ينتقل أثرُ الحصان كرمزٍ خصوبي إلى متعلقاته المتلامسة معه حسب قانون (السحر التلامسي) مار الذكر، فنظر بعين الصفةِ إلى القطع النحاسية التي تزين السروج والشكائم ونعال الحوافر وقد وضعها الناس في قبور موتاهم بمثابة هدايا يمنحها الأهلون لفقيدهم لغرض أن تنتقل القوة الحيوية الكامنة فيها إلى الميت فتعيد نشره في العالم الآخر.

ومن أقدم ما عثر عليه من هذه الرموز صورة من صدف لحصان عثر عليها في إحدى مقابر (سوسة). كما عثر في منطقة القبور المسماة بـ(قبور لورستان) على كثير من الشكائم المصنوعة بدقة. ويحتفظ متحف اللوفر بشكيمة جيدة من البرونز ويعتقد أنها من أصلٍ آشوري ومن الصعب الاعتقاد بأنها كانت تستعمل فعلاً للحيوانات. فهي

(1) **The New Larouse Ency**. Of Mythology P. 240.

(2) **معجم الفولكور**، المصدر السابق، مادة: (بيغاسوس).

ثقيلة ويمكن أن تتلف أي حصان يستعملها ولذلك اعتبرت كنذر من النذور[1]. هذا بعضُ ما كان موجوداً عن الحصان ونعل الحصان في محيط السير نلسون، ولا شك أنه اغترف منه تميمة النعل جالبة النصر فانتصر فماذا كان في محيط الحاج حسان عن الحصان ونعل الحصان؟

الحصان في محيط الحاج حسّان:

ومحيط الحاج حسان غنيٌّ بالمأثورات الخاصة بقداسة الخيل. وأكثر المأثورات رفعةً وشرفاً هي ورود شأنها في القَسم القرآني في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۞ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۞ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۞ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۞ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾[2] والقسم بالشيء لا يمكن أن يكون مُهاباً مؤثراً بالمتلقي ما لم يكن ذلك الشيء عظيم المنزلة في النفوس. وقد أقسم تعالى بعناصر كانت مؤلهةً قبل الإسلام ومقدسة أو معبودة كالشمس والقمر والنجوم والسماء والتين والزيتون وطور سنين وغيرها. واستناداً إلى هذا فإن الخيل لا بد أنها كانت من جملة تلك العناصر المعبودة والمقدسة.

وقد وردت في القرآن الكريم مقترنة بالخير في قوله عزّ وجل إخباراً عن سليمان ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ۞ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۞ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾[3] وقوله ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ يقصد حُـبَّ الخيل، فأمَرَ أن تردَّ عليه فطفق يمسَحُ أعرافها وعراقيبها حباً لها. وهذا القول اختاره ابن كثير[4] وهو أقرب إلى

---

(1) **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، جورج كونتينو، 105.

(2) سورة العاديات، الآيات 1 ـ 4.

(3) سورة (ص)، الآيات 31 ـ 33.

(4) **تفسير ابن كثير**، ج6، ص58.

المعقول من قول غيره من المفسرين الذين قالوا إنه عليه السلام ضرب أعناقها وسوقها بالسيوف لأنه عليه السلام لم يكن ليعذب حيواناً بالعرقبةِ ويهلك مالاً من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل بها عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها. وهذا قول ابن كثير.

وقد أكّد النبي محمد ﷺ علاقة الخيل بالخير والمنح والعطاء في قوله: «الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة». فقيل يا رسول الله وما ذلك الخير؟ قال: «الأجرُ والغنيمة»[1] فجعل خير الخيل أخروياً ودنيوياً.

فكرة الحصان المجنّح:

قال ابن جرير إن أفراس النبي سليمان كانت عشرين فرساً ذات أجنحة[2]. وهذا تصوّر عالمي يشمل الخيول المقدسة في الميثولوجيات القديمة، وقد أوردنا قبل قليل حالة الحصان (بيغاسوس) الجواد الإغريقي الذي طار إلى السماء وأصبح من الآلهة.

ويبدو أن فكرة الحصان المجنح كانت موجودة عند العرب قديماً ومنتشرة على صعيد شعبي واسع حتى إنها صورت في لعب الأطفال فكان يُصنع لهم حصانٌ من الرقاع (أي الخرق) وتُثبَّت له جناحان.

وبقيت هذه اللعبة يلعب بها الأطفال حتى مجيء الإسلام فدخلت في بيت النبي ﷺ تلعب بها عائشة أيام صباها في جملة من لعب البنات، فلما شاهدها رسول الله قال: ما هذا يا عائشة؟ قالت:

---

(1) **نهاية الأرب**، النويري، ج9، ص346.

(2) ابن كثير، مصدر سابق، ص57.

بناتي. ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع. فقال: ما هذا الذي أرى في وسطهن؟ قالت: فرس. قال: ما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان. قال: فرسٌ له جناحان؟ قالت: أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة؟ فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه[1]. ولا شك أن النبي كان يسخر من هذا المعتقد.

وليست ببعيدة عنّا الصورة التي رسمها الفنان الشعبي للبراق الذي طار بالرسول إلى السماء ليلة المعراج حيث رسمه كفرس له وجه امرأة. وقيل إنه دابة بين البغل والحمار[2]. ونجد في التوراة أن خيلاً من نار تجر مركبة من نار حملت النبي (إيليا) طائرة إلى السماء[3].

الحصان والكوائن الخفيّة:

وقد ورد في المأثورات الشائعة في محيط الحاج حسان أن الحصان يدفع شرّ الجنّ والأرواح الخفية التي تريد أن تصيب الناس بالأذى. فيُعتقد أن هذه الكوائن لا تقرب من بيت فيه فرس. وذكر عن النبي ﷺ قوله: «لن يخبِّلَ الشيطان أحداً في بيته فرس عتيق». وقد روي أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله إني أُرجمُ بالليل. فقال: «ارتبط فرساً عتيقاً». ففعل فلم يرجم بعد ذلك.

ويبدو لنا من ظاهر هذا الخبر أن الرجم كان من فعل تلك المخلوقات الخفية التي أرادت أن تصيب أحداً من مَعيّة الرجل في

---

(1) ابن كثير، مصدر سابق، ص57.

(2) **تاج العروس**، مادة: برق

(3) **قاموس الكتاب المقدس**، جورج بوست، ج2، ص55.

بيته بأذى، فلما شاهدت الفرس ارتعبت ولاذت بالفرار. ولا بد أن شيئاً من هذا التراث الغني كان يعمل في ذهن الحاج حسان فَبَغى أن يستفيد من تطبيقه فعَلّق نعل الحصان على دكانه أو ربما بيته إذ لم يكن عنده مجال لربط حصانٍ فيهما، فعوّض عنه باستخدام بعض متعلقاته وهو (النعل)، فقام وسمَّره على الباب فزال عنه الشرّ وجاءه الخير من كل جانب. وهذا حسبما هو مذكور في سيرة الرجل بين معارفه وأصدقائه.

كيفية تعليق النّعل:

يشترط في النعل أن يكون مستعملاً صدئاً مرمياً في الطريق قد بان عليه أثر الاحتكاك بالأرض مما يومئ إلى أنه قد تماسَّ مع صاحبه فشحن بقدراته. ولا يُفضل الجديد لكونه خالياً من تلك القدرات فلا ينفع. ثم يسمّر على أسكفة الدار أو المحل أو يوضع في رقاب الأبقار كقلادة.

وهذه الكيفية متبعة في الشرق والغرب إلا أن الغربيين فرضوا على من يقوم بتسمير النعل على قائمة الباب أو المحل، أن ينشد هذه الأنشودة أثناء عملية التسمير وهي:

«أيها الأب والابن وروح القدس
سَمِّروا الشيطان على هذه القائمة
أدقُّ ثلاثاً بالصولجان المقدس
واحدة لله (God)
وواحدة لـ(Wod)
وواحدة لـ (Lock)[1]

(1) **A book of Superstition** - R. L. Brown P. 21.

والاسمان الأخيران اسما إلهين وثنيين هما (Woden) وهو الإله الأب في الميثولوجيا الأنكلوسكسونية الذي سمي يوم الأربعاء (Wednesday) باسمه لأنه يوم عبادته، والآخر (Locki) أحد آلهة الجرمان المرعبين[1] وذلك يعطينا دلالة واضحة على أن التعويذة بدأت وثنية في نشأتها ثم (تَمسَّحت) بوصول المسيحية إلى هذا المكان.

أما بالنسبة إلى رجال البحر الذين نشأ الأميرال بينهم فإنّ قاموسهم غنيّ بالتعاويذ الحافظة التي تصون سفنهم من أخطر ما يواجهونه وهو العواصف، حيث يعتقدون بأنها تثور بفعل الشياطين والأرواح الخبيثة. وقد نظم شاعر ألماني عاش في القرن السادس عشر اسمه (ناوجورجيوس) قصيدة يسخر فيها من تلك المعتقدات يقول فيها:

«وإذا أرعد البرق وثارت العواصف العاصفة
اعتقد الناس أن الأرواح الخسيسة تسبّبها
هؤلاء الذين لا دين لهم ولا ثقة في أي شيء»[2].

وهكذا سَخِر ذلك الشاعر الألماني من أولئك الناس المتمسكين بديانة المعتقدات الخرافية وكأني به أراد أن يقول لهم: يا أمة ضحكت من جهلها الأممُ.

الخاتمة:

أقول: واليوم بطل استخدام تلك التميمة في بلادنا، فلن تجد أحداً يقوم بوضعها على واجهة دكانه أو أسكفةِ باب داره دون أن يخزى

---

(1) **A Dictionary of World Mythology, A** Cottrell - P. 168.

(2) **الفولكلور في العهد القديم**، فريزر، ج2، ص237 الترجمة العربية.

ويضحك من عقله. ومع ذلك فإن ما غرس في العقول قديماً لا يمكن محوه بسهولة وسرعة إذ يبقى فاعلاً في الحياة، فإذا واجه صعوبةً عند التعبير العلني تحوّل إلى تعبير آخر مستور تصعب مقاومته. وهذا ما جرى لتميمة نعل الحصان، فإنها لا شك واجهت نقداً من التطوريين لاذعاً وسخريةً واستهزاءً فاختفت في العلن ثم ظهرت في السّر ولكن على صدور الصبايا الحسان كتميمةٍ حافظةٍ من الذهب، فهي الآن هناك في ذلك المكان الحصين الذي أبعدها عن السخرية والاستهزاء.

الفصل السابع

نعل الإنسان بين عقيدتي القداسة والنجاسة

عقيدة القداسة:

يخبرنا المؤرخ المصري المعروف المرحوم أحمد أمين بأنه يوجد في القاهرة مسجد يسمى (مسجد الجلشني) عند مسجد المؤيد فيه نعلُ صغير يزعم الناس أنه نعل الشيخ الجلشني والناس يعتقدون في هذا النّعل ويتبركون به ويشربون به الماء غرفاً من بئره وله يوم مخصوص في الأسبوع هو يوم الأربعاء يزار فيه الجلشني ويتبرَّك بنعله[1].

ولا نريد أن نقول شيئاً عن أولئك الناس البسطاء الذين يطلبون الشّفاء من منبوذات الأولياء، فإن أشباههم كثيرون في العالم المتحضر والمتخلف، ولكنني أحببت أن أروي خبراً شبيهاً بخبر نعل الجلشني وهو أنني صاحبتُ شخصاً في سيارة، فجرى الحديث بيننا عن الوضع السياسي في العراق المكفهر بصراع الأحزاب وقد اشتركت في الصراع (آيات الله المقدسة) كنجومٍ ملتمعة بين الرهج المثار فقلت لصاحبي:

---

(1) أحمد أمين، **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، ص399.

ما رأيك بآية الله (السيد فلان) و(السيد فلان) كان من أشد السياسيين إرهاباً وعنفاً، فقال: نعاله على رأسي!! فعجبت للاتفاق بين هذا الرجل الذي يقدس (السيد فلان) ويجعل نعله على رأسه وبين أولئك الناس الذين يقدسون الشيخ الجلشني فيشربون الماء بنعله. وربما إذا أُجيز لهم إمساكه فإنهم سيضعونه على رؤوسهم.

المهم أنني أردت أن أثبت أن تقديس نعل الشيخ الجلشني ونعل السيد فلان ونعل الحصان كلها تندرج ضمن مبدأ واحد هو: تقديس ما لامس المقدّس، أو حسب رأي فريزر: قانون الاتصال والتلامس أو (السحر التلامسي Contagious)، وقد شرحنا ذلك في فصل تقديس نعل الحصان ومفاده أن مخلفات المؤثر تكون مؤثرةً مِثله فإن مَسَّت شيئاً انتقل التأثير إليه بالمساس.

ولا شك أن الشيخ الجلشني كان يقوم في حياته بإشفاء الناس بطرقه الخاصة، باللمس أو بالبصاق أو غيرها، فلما مات خلّفَ هذا النعل الصغير فانتقلت قدرة الشيخ الشفائية إليه فحوّله المؤمنون إلى مِغرفةٍ يغرفون به الماء من البئر التي تكون مقدسة كذلك بالمجاورة لأنها في مسجده، فيشرب المؤمنون من هذا الماء المَمْتُوح من البئر وقد اكتسب قدرة شفائيةً مركبّة من عدة مقدسات.

أما لماذا في يوم الأربعاء بالذات؟ فلأنّ يوم الأربعاء مخصّص في التقاليد الشعبية لتناول الدواء. قال الشاعر من قصيدة قسّم فيها الأعمال على عدد أيام الأسبوع:

إذا ما رُمتَ أن تُسقى دواءً

فنعم اليوم يوم الأربعاءِ

وقد ينتقل تأثير نَعْل المقدَّس إلى التراب الذي وطأه فيكون التراب شافياً كذلك قال الشاعر:

إذا ما مقلتي رَمِدَتْ فكُحلي
ترابٌ مَسَّ نَعْلَ أبي ترابِ

وأبو تراب كنية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[1].

وروي أن أحد العلماء الزهاد دخل خراسان فخرج أهلها بنسائهم وأولادهم يمسحون أردانه ويأخذون تراب نعله ويستشفون به[2]. وهكذا يصبح التراب مقدساً كذلك بالمساس فيطلب كتميمةٍ شفائيةٍ لكثير من الأمراض.

عقيدة النجاسة:

هذا جانب ... ومن جانب آخر وجدنا أن بعض الدور والدكاكين قد علق أصحابها على واجهاتها فردةَ نعال قديمة، فهل يندرج مفهوم هذا التقليد مع مفهوم النماذج السابقة؟

الجواب.. لا.. إذ إن هذا التقليد له وجهٌ مختلف. فالنعل الأول يعتبرُ (مانحاً) للخير بسبب ملازمته للقداسة، بينما النعل الثاني يعتبر (مانعاً) للشّر بسبب ملازمته للنجاسة، حيث إن التنجيس استخدم كمبدأ لحماية الممتلكات من الأرواح الشريرة والعيون الحاسدة، إذ يعتقد الناس أن هذه الكائنات تكره النجاسة فتترك البيت أو المحل أو الإنسان إذا نُجس ولا تصيبُهُ بالأذى فيسلم، فعندما تأتي إلى هذه

---

(1) تاج العروس، مادة: ترب.
(2) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ج2، ص125.

البنايات وتشاهد النعل القديم الذي كان حتماً ملامساً للنجاسة فإنها تتقذّر فترحل إلى مكان آخر.

عقيدة التنجيس في التاريخ:

وعقيدة التنجيس قديمة التاريخ في تقاليد الشعوب والأمم، وقد ورد في الأخبار أن العرب كانوا إذا خافوا على الرجل الجنون وتَعّرض الأرواح الخبيثة (نجَّسوه) بتعليق الأقذار عليه كخرق الحيض وعظام الموتى. وذكر أنهم يفضلون أن تعـلَّقَ عليه امرأةٌ (طامث) عظام الموتى على اعتبار أن المرأة الطامث عندهم نجسة[1].

ولا يستطيع كلُّ من هبَّ ودبَّ أن يقوم بعملية التنجيس، فإن هناك أشخاصاً يتعاطونه حيث إنه (فنٌّ) أو ربما (علم).

ويطلق على الشخص الذي يقوم به اسم (المُنجِّس) وهو في الوقت نفسه (مُعَوِّذ) يقوم بقراءة التعاويذ على الشخص منعاً للأرواح الشريرة أن تصيبه بالمرض، ولذلك يكون المعوذ هو المنجس والمنجس هو المُعوّذ من حيث إن عَمَليهما متشابهان وهو طرد الأرواح الشريرة ومنعها من إصابة المريض بالمرض.

وكان أهل الجاهلية يعلقون على الصبيِّ ومن يُخاف عليه الجنَّ الأقذار وخرق المحيض ويقولون إن الجنَّ لا تقربها.

قال الشاعر:

وعَلَّـــق أنجاســـاً علـــيَّ المنجـــسُ[2]

---

(1) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج4، ص44.

(2) لسان العرب، مادة: نجس

وعندما يُعلّق النجسُ على الشخص يُسمّى ذلك الشخص مُنجَّساً بفتح الجيم وتشديدها.

ولا يزال التنجيس مستعملاً في القرى والأرياف العراقية، حدثني الصديق الأستاذ عبد العباس نور الأسدي (العمر 50 سنة) أنهم في قريتهم (أبو رويّة) في مدينة الهندية، عندما يريدون إلباس أولادهم ثياباً جديدة في العيد يطرحونها على ظهور الكلاب ثم يلبسونهم إياها بعد ذلك. ولا شك أن هذه هي عملية تنجيس واضحة في مفهومها حيث تكتسب الثياب الجديدة نجاسة الكلاب. فتشعر المخلوقات الشريرة بهذه النجاسة فتترك الصبي وترحل.

وفي مصر إذا أريد شفاء العين من (الشحّاتة) وهي دُمَّلة تصيب جفن العين ونُسميها في العراق (دُگدگة) يقومون بتثبيت قُطنَةٍ على طرفِ عود ثم يغمسونها في أحد الأحواض التي يشرب فيه الكلاب في شوارع القاهرة وتمسح العين بها[1]. وهذه عملية تنجيس أخرى يكون الكلب فيها أحد عناصر التنجيس.

وبمقارنة هذه النماذج بالحذاء البشري العتيق نجده يمثل خير مادةٍ من مواد التنجيس المانعة للشّر والأذى.

يقول أحمد أمين: ومن عوائد المصريين أن النعل القديم يُعلِّقونه على رؤوس الخيل أو على باب الدكان أو يعلّقونه على إبط الأطفال، ويعتقدون أنه يمنع تأثير العين، ويشترط في مثل هذا النعل أن يكون مُلقى في الطريق ولا يُعرفُ له صاحب وأن توجد إحدى الفردتين فقط[2].

---

(1) المصريون المحدثون. شمائلهم وعاداتهم، إدورد لين، **مجلة الرسالة المصرية**، العدد 47، ص687، السنة 1942.

(2) أحمد أمين، **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، ص47.

الفصل الثامن

ظهور كَفن المسيح المفقود

يتقنُ الكثير من مرتزقة الدين في جميع ديانات العالم سبل خداع الناس السذَّج وتطويعهم لأغراضهم الخاصة، حيث إنهم يدركون تعلُّق الإنسان من الفطرة بالمعاجز والغيبيات والكرامات الخرافية، فيأتونهم عن هذا الطريق يثقفون عقولهم بها. وأخطر شيء على تطور المجتمعات عندما تدخل هذه الخرافات عقول الناس فيؤمنون بها ويتعصبون لها ويحاربون دفاعاً عنها. فكم من الحروب حدثت بسبب بقرةٍ مقدسةٍ يعبدها أناسٌ فيأكلها آخرون كما يحدث ذلك في الهند دائماً . . وليست ببعيدة عنا ما قرأناه في التاريخ عن ثورة المصريين على الفرس عندما طعن (قُمبيز) ملك الفرس عجلهم المقدس (أبيس).

ولسنا ندري ماذا فَعَل المصريون المحدثون بعد أن علموا بذبح السلطان عنزة السيدة نفيسة المقدسة عندهم إذ ليس من البعيد أنهم حزنوا لذلك حزناً عظيماً[1].

كما لا شك أنهم فرحوا كثيراً عندما جاءهم أحد الأشخاص بحافر حمار وقال لهم هذا هو حافر حمار سيدنا المسيح، فعلقوه

---

(1) راجع: **كوميديا عنزة السيدة نفيسة**، الفصل الثاني.

فـي محراب كنيسـة الحافر وراحوا يطوفون حولـه ومعهم جمٌّ غفير من المسـلمين كما أسـلفنا في فصل تقديس حوافر الحمير.

ومن تلك الأشكال «حَمِّل جمال» كما يقول المثل الشعبي العراقي إذ المسألة لا تتعلق بعصر من العصور، ففي كل القرون من البدائية إلى الوسطى إلى المعاصرة نلقى أناساً يتعلقون بخرافة مثل تلك الخرافات ويتعصبون لها، ومن هذه الخرافات التي عَمّت العالم المسيحي هذه الأيام خرافة (كفن النبي عيسى) المعروض في إحدى كنائس مدينة (تورينو) الإيطالية، فمنذ أن عرض في المكان المذكور سنة 1389 وحتى هذا اليوم صار موضع جدال ومعركة بين الذين يؤمنون بأنه الأصلي وبين الذين يشككون في أصليته وأهمهم المؤرخ (بول أريك بلانرو) الذي قال بأن الكفن ليس مقدساً لكن يستحيل إقناع الجميع بهذه الحقيقة العلمية[1].

أقول: ومَنْ يستطع أن يقنع الطائفين حول حافر حمار المسيح بأن الحافر مزور دون أن يتعرض للإهانة أو الضرب أو حتى القتل؟

كفن المسيح الأصلي في الأناجيل:

بالرجوع إلى الأناجيل المعتمدة التي شاهد أصحابها عياناً حادثة صلب المسيح وما حلّ بالمسيح بعد الصلب، نجد أن ذكر الكفن قد ورد في إنجيل (متّى)[2] على هذه الصورة:

---

(1) كفن المسيح.. أسطورة أم حقيقة علمية، تقرير من باريس، **صحيفة المدى عدد** 427 في 2 يوليو/ تموز 2005.

(2) متى: من رسل المسيح الاثني عشر، كان عشاراً في كفر ناحوم له (إنجيل متى) كتبه لمسيحيي فلسطين اليهوديي الأصل باللغة الآرامية حوالي (50م). **(أعلام المنجد)**.

«ولما حلّ المساء جاء رجل غنّي من بلدة (الرامة) اسمه يوسف وكان أيضاً تلميذاً ليسوع، فتقدّم إلى بيلاطس يطلب جثمان يسوع، فأمر بيلاطس[1] أن يُعطى له. فأخذ يوسف الجثمان وكفَّنه بكتان نقيّ ودفنه في قبره الجديد الذي كان قد حفر في الصخر ودحرج حجراً كبيراً على باب القبر ثم ذهب»[2].

ولم يذكر (متى) شيئاً عن الكفن بعد هذا.

وفي إنجيل (مرقس) قال:

«وجاء يوسف الذي في الرامة وهو عضو محترم في المجلس الأعلى، وكان هو أيضاً ينتظر ملكوت الله ودخل على بيلاطس وطلب جثمان يسوع، فوهب يوسف الجثمان، وإذ اشترى يوسف كُتّاناً وأنزل الجثمان ولفّه بالكتان ودفنه في قبر كان قد نحت في الصخر ثم دحرج حجراً على باب القبر»[3].

وفي إنجيل (لوقا) تتكرر الحكاية مع يوسف نفسه بأنه أنزله من على الصليب وكفنه ودفنه في قبر منحوت من الصخر وبعد ثلاثة أيام جاؤوا إلى القبر فلم يجدوا السيد المسيح فقد قام من الموت.

وإذ لم يصدق (بطرس)[4] بذلك ركض إلى القبر وإذ

---

(1) بيلاطس البنطي حاكم اليهودية الرومانية (26ـ36) أسلم المسيح للموت وغسل يديه قائلاً (أنا بريء من دم هذا الصدّيق) (**أعلام المنجد**).

(2) متى: 27 / 57

(3) إنجيل مرقس: 15/ 46.

(4) بطرس هو بطرس القديس (نحو 10ق.م ـ 67 ب.م) اسمه سمعان بن يونان كان صياد سمك فدعاه المسيح وسمّاه (كيفا) أو الصخرة وأقامه رئيساً للرسل استشهد في عهد نيرون (**أعلام المنجد**).

انحنى رأى الأكفان ملفوفةً وحدها ثم مضى متعجباً مما حدث[1].

وفي يوحنا نقرأ شيئاً من التفصيل حيث إن يوسف المذكور مع رجل آخر اسمه (نيقو ديموس) أخذا معهما حوالي ثلاثين لتراً من طيب (المرّ) المخلوط بالعُود، فأخذا جثمان يسوع ولفاه بأكفان والطيب استعملاه كحنوط على عادة اليهود في الدَّفن ودفناه في بستان فيه قبر جديد لم يدفن فيه أحد من قبل. وبعد قيام المسيح من الموت ومغادرته القبر جاء بطرس ومعه شخصٌ آخر وتوجها إلى القبر وكانا يركضان، ولكن التلميذ الآخر سبق بطرس ووصل إلى القبر قبله وانحنى فرأى الأكفان ملقاة على الأرض ولكنه لم يدخل بل جاء بعده بطرس ودخل فرأى الأكفان ملقاة على الأرض والمنديل الذي كان على رأس يسوع وجده ملفوفاً في مكان منفصل عن الأكفان[2].

ولدى بحثنا في الأناجيل المذكورة عما حدث للكفن بعد ذلك فلا نجد شيئاً، الأمر الذي يدلل على عدم اهتمامهم بالكفن وإنما صار تركيز الأناجيل على ظاهرة قيام المسيح من الموت وصعوده إلى السماء للالتحاق بأبيه.

كفن تورينو المزيّف:

ومرت القرون على الحادثة المأساوية دون أن يرد شيءٌ عن الكفن، حتى جاءت سنة 1578م فظهر كفنٌ في إحدى كنائس مدينة (تورينو) الإيطالية وهو طولٌ من الكتان زعموا بأنه ثوب الدفن لسيدنا

---

(1) لوقا، 24/ 50 باختصار.

(2) إنجيل يوحنا: 18 / 38 وما بعدها بتصرف.

المسيح مقاسه أربع عشرة قدماً وثلاثة إنجات طولاً وثلاث أقدام وسبعة إنجات عرضاً، قيل إنه عثر عليه في مقبرة على أطراف مدينة القدس القديمة[1].

وكان الكفن يحمل صورتين بنّيتي اللون باهتتين في الأمام والخلف لشخصٍ هزيل غائر العينين طوله خمس أقدام وسبعة إنجات وصورته كانت بوضعيّةٍ تبدو كما لو كان مطروحاً على الأرض ومغطى بنصف الكفن، بينما النصف الآخر قد طوي فوق الرأس ليغطّي جميع الجزء الأمامي من الجسم والوجه إلى القدم.

وتحتوي الصورة على علامات زُعِمَ أنها تطابق جروح المسيح كما تحتوي أيضاً على آثار شوكٍ على الرأس وعلامات ضرب بالسياط ورضّات وكدمات في الكتف وبُقعٌ مُلطخة بمادة يعتقد أنها دماء.

وقد ظهر الكفن هذا لأول مرة في التاريخ سنة 1354م عندما سجّل في ملكية أحد الفرسان المشهورين اسمه (جيوفروي دي كارني) وفي سنة 1389م عندما عرض قالوا إنه كفن مُزوّر. وقال الأسقف العام في مدينة (Troyes) إنه مرسوم بمهارة والحقيقة يمكن أن يؤكدها الرسام الذي رسمه. أما البابا كليمنت السابع (1378 ـ 1394م) فصادق على أنه رُسِمَ تمثيلاً للكفن الحقيقي، أما الباباوات اللاحقون اعتباراً من جوليوس الثاني فأخذوه على أساس أنه حقيقي. ولست أدري كيف يؤكدون ذلك والنصوص الإنجيلية لم يرد فيها مثل ذلك الوصف لكفن يسوع الذي رآه بطرس رأي العين.

ثم تَعَرّض الكفن سنة 1453م لتلف بالنار ثم بالماء سنة 1532م

---

(1) **موسوعة ويكيبيديا الحرة**، مادة: كفن تورينو.

ثم أرسل إلى ساڤوراي الجديدة عاصمة تورين سنة 1578م ومُنذ ذلك الوقت صار يعرض للجمهور أحياناً. وفي الوقت الحاضر عرض في زواج الأمير (لاميرتون) سنة 1931م ثم في تورينو سنة 1978م.

وقد خضع الكفن للتحليل العلمي لإثبات أو نفي أصليته منذ بداية القرن التاسع عشر، وفي البداية لوحظ أن الصّورة البنية على الكفن تظهر أنها الصورة السلبية للشخص (النيكاتيف) وليست الحقيقية.

وفي سبعينيات القرن الماضي أجريت عليه اختبارات أخرى فيما لو أن الصورة كانت نتيجة صبغ، ثم فحصّت بعد ذلك بالكاربون المشع في المختبرات فأثبتت الفحوص أن القطعة صنعت في زمنٍ بين 1260 و1390 بعد الميلاد.

وقد وافقت الكنيسة الرومانية على النتائج وأعلنت بأن كفن تورينو لم يكن حقيقياً ولكن الكنيسة حثّت المسيحيين بأن يستمروا على توقيره والتبرّك برؤيته[1] فجاءت بهذه الفكرة التوفقية لإرضاء الجماهير المتعلقة بالخرافات فهل رأيت أمراً كهذا الأمر المثير للضحك؟ رجال دينٍ يدفعون رعاياهم للمجيء عبر المسافات للتبرك برؤية رمزٍ مزور، ورعايا خاضعون يأتون عبر المسافات للتبرك برؤية رمزٍ وهم على علمٍ بأنه مزور؟

---

(1) **Ency. Britanica**. Shroud of Tunino item.

الفصل التاسع

المسيح المنتظر في صورة دجّال

مرَّت القرون على الشعوب المضطهدة المتطلعة إلى الخلاص على يد المسيح المختفي في السماء أملاً أن يظهر ويقمع الظلم ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ولكنه لم يظهر ولن يظهر كما الحال عندنا في مسألة المنقذ الموعود.

وكان المسيح قد وعد تلامذته ومُريديه قبل موته (بأنه لا بد أن يمضي إلى أورشليم ويتألم على أيدي الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل، وفي اليوم الثالث يقام)[1].

وذكرت الأناجيل أنه قام فعلاً في اليوم الثالث من القبر ورُئِي في منطقة الجليل. رآه تلامذته فسجدوا له[2]. ورُئِي في إحدى القرى[3] ثم إنه التحق بعد ذلك بأبيه (الله) في السماء ولم يعد حتى اليوم.

وقد أصبح راسخاً في عقائد الشعوب المضطهدة أنه لا بدّ أن

(1) متّى: 16/ 21.

(2) متّى: 16 / 28.

(3) مرقس: 16 / 12.

يظهر ولكن سيظهر قبله مسيحون دجالون كثيرون يخدعون الناس بفنونهم الخلابة وطرق التحايل عليهم حيث يموّهون على أعينهم ويجعلونهم سائرين خلفهم بلا وعي.

الدجَّال في المأثورات الإسلامية:

وقد اشتهر في الروايات الإسلامية مسيح من هذا النوع أطلق عليه اسم (الدَّجّال) أو (الأعور الدجّال) لأنه ممسوح العين حسبما قيل وسماه البعض (المسيح الدجّال)، وقالوا إنه سيأتي راكباً حماراً على أساس أن المسيح الحقيقي عندما يظهر يظهر راكباً حماراً وقد دَخل حمار المسيح الدجال في الميثولوجيا الإسلامية كأكبر حمار في العالم!! فقاسوا المسافة بين أُذنيه فكانت أربعين ذراعاً. وأكّد بعضهم أن أذنيه تستطيعان أن تظلّلا سبعين ألف إنسان. كما قاسوا خطوته فكانت مسيرة ثلاثة أيام بين خطوة وخطوة ولكنهم لم يقيسوا حَجمَ راكبه الدجال سوى أنهم قالوا عنه: يخوض البحر على حماره كما يخوض أحدكم الساقية على فرسه، يقول: أنا ربُّ العالمين وهذه الشمس تجري بإذني أفتريدون أن أحبسها؟ فيحبس الشمس... وتأتيه المرأة فتقول له: يارب.. أحيي ابني وأخي وزوجي. ويأتيه الأعراب فيقولون: ربنا أحيي لنا غَنَمنا وإبلنا فيفعل. وإلخ من هذه الخزعبلات ويقوم بأعمال إعجازية أخرى[(1)].

وقد ورد في الأثر تحذيرات شديدة من فتنة هذا المسيح الدجال. ويبدو لي أن هذه الشخصية قد خُلقت لترمز إلى الحاكم الطاغية الذي يحكم بشريعة المسيح العادلة ولكنه يحكم بعين واحدة هي مصلحة

---

(1) **المصنّف**، ابن أبي شعبة الكوفي، ج8، ص655.

نفسه. أما العين الأخرى التي يفترض أن تنظر إلى مصلحة الشعب فهي ممسوحة عوراء. وما أكثر الحكام في بلادنا الإسلامية كهذا المسيح الدجال.

دجَّال اليهود (داود روبيني):

وأكثر الناس تشوّقاً لظهور المنقذ هم اليهود بسبب ما عانوه من اضطهادات وإبادات على مرّ تاريخهم الطويل. لذا هم أكثر الشعوب حساسية لأيٍّ نبأ يبشرهم بظهور (المسيا) (المنقذ). فإذا سمعوا أحداً بالصفات المأثورة في كتبهم هرعوا إليه وأمدُّوه بالمال والرجال والسلاح ليعيدهم إلى أرض الميعاد فلسطين.

ويعتقدون أن (المسيا) يظهر راكباً حصاناً أبيض دلالة على الحرب، ولا يركب الجحش الذي يرمز إلى السلام.

وقد استغلّ هذه العقيدة كثير من الدجالين أشهرهم (داود روبيني) وهو شاب يهودي عربي وسيم، امتطى سنة 1524م جواداً أبيض وعَبَر شوارع روما إلى الفاتيكان وقدم نفسه إلى البابا كليمنت السابع على أنه شقيق ورسول ملك يهودي قال إنه يحكم بلاد العرب. وقال داود إن مليكه لديه ثلاث مئة ألف جندي غير كامِلي العتاد وإذا أمدَّهم البابا وأمراء أوروبا بالسلاح فإن القبيلة تستطيع عندئذ أن تطرد المسلمين من فلسطين.

واهتمّ كليمنت بالأمر وعامل داود بالحفاوة التي تليق بمقامه بوصفه سفيراً. وسُرَّ يهود روما أن يروا يهودياً يلقى مثل هذا التكريم وأمدّوه بكل ما يحافظ به على صفته الدبلوماسية الساميّة. ولما تلقى

دعوة من (جون الثالث) ملك البرتغال أبحر مع حاشيةٍ كبيرة على سفينة تحمل العلم اليهودي ذا النجمة السداسية.

وسُحر جون بمقترحات داود إلى حدّ أنه أوقف اضطهاد اليهود المتنصّرين وجنّ من الفرح جنون يهود البرتغال الذين (عُمِّدَ) معظمهم ومُسِّحوا ضد إرادتهم. وأعلن كثيرون منهم عن اعتقادهم بأن داود هو (المخلص). ولم يكن روبيني قد ادّعى أنه (المخلص) أو البشير وإنما كان دجالاً حالماً أراد مالاً وسفناً وأسلحة. وأخيراً بان قصده السيّىء وألقت القبض عليه محكمة التفتيش وألقي في غيابة السجن ومات حوالي سنة 1536م. والظاهر أنه مات مسموماً وزحف يهود أوروبا كسيري القلوب إلى مغازلهم وتصوّفهم ويأسهم[1].

* * *

وقد يبدو للقارئ أن يتساءل: كيف استطاع داود روبيني أن يخدع اليهود الأوروبيين ويجعلهم يصدقون بأنه شقيق ملك يهودي يحكم بلاد العرب؟ وأين تقع هذه البلاد؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول إن فكرة وجود ملك عربي يهودي يحكم بلاد العرب كانت راسخة في أذهانهم، حيث إنهم يعرفون من خلال تواريخهم - وهم أكثر الشعوب ارتباطاً بتاريخهم - أن اليهودية كانت منتشرة في بلاد العرب ولهم فيها مستوطنات، وأن العربية الجنوبية كان يحكمها الكوشيون وهم اليهود الأحباش. وقد جاء ذكرٌ عن ملك كوشي كان يحكم في الجنوب أشار إليه أحد الأحبار اليهود يدعى (رابي عقيبة Rabbi Aquiba) وقال إنه زاره حوالي سنة

---

(1) **قصة الحضارة**، وُول ديورانت، ج26، ص166.

(130م) وتكلم معه ومع زوجته الكوشية. وقد يكون هذا الملك في مكانٍ آخر من العربية الجنوبية كأن يكون في اليمن مثلاً[1].

وعلى هذا فإن اليهود الأوروبيين عندما سمعوا الدجال ينتسب إلى ملك عربي يهودي يحكم بلاد العرب لم يستبعدوا ذلك وتوقعوا أن يكون الدجال من سلالة ذلك الملك لذلك آمنوا به إيماناً أعمى.

---

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ج6، ص538.

الفصل العاشر

(أستير ستانهوب) في انتظار المنتظر

أستير ستانهوب امرأة إنكليزية غريبة الأطوار ليست كسائر النساء، أستطيع أن أشبّهها بالسيدة الإيرانية الشهيرة (زرين تاج) المعروفة بـ(قرّة العين) فكلتاهما كانتا تبحثان عن منتظر مع فارق أن الثانية كانت تبحث عن المهدي الموعود بينما كانت الأولى تبحث عن المسيح الموعود[1].

(1) ولدت قرة العين في قزوين عام 1814م وقَضَت جُلَّ حياتها في البحث عن الموعود حسب الفكر الشيعي فاهتدت عن طريق أستاذها الذي لم تره الشيخ أحمد الأحسائي إلى الباب الممهد للإمام المهدي الغائب وهو السيد علي محمد الشيرازي المولود عام (1813م) فاعتنقت البابية على يده. ولما صار الأمر إلى تكفير البابيين أصبحت قرة العين من الكافرات ولكنها لم تأبه لذلك واستمرت على دعوتها ثم صار إعدام الباب في 9 يوليو/ تموز عام 1850م بناءً على فتاوٍ صدرت من علماء الشيعة المناهضين للشيخية. وعندما قام اثنان من البابيين، بمحاولة فاشلة لاغتيال الشاه ناصر الدين أخذاً بثأر الباب حدثت حملة شرسة في جميع أنحاء إيران لاستئصال البابيين فألقي القبض على الآلاف منهم ووزعوهم على الأهالي حيث قاموا بتعذيبهم وقتلهم بالفؤوس في الشوارع. أما قرة العين فألقي القبض عليها وجيء بها إلى الشاه فطلب منها التبرؤ من الباب فرفضت، فأمر الشاه بإلقائها في بئر كانت في قصره وهيلّ عليها التراب. وقيل =

ولما كان المسيح الموعود يعتقد أنه يظهر في الشرق فقد رحلت أستير ستانهوب ذات الحسب والنسب الإنكليزي العتيد إلى الشرق وسكنت في بعض أقطاره بأُبهةٍ عظيمة كأبهة قرة العين ذات الحسب والنسب الإيراني العتيد.

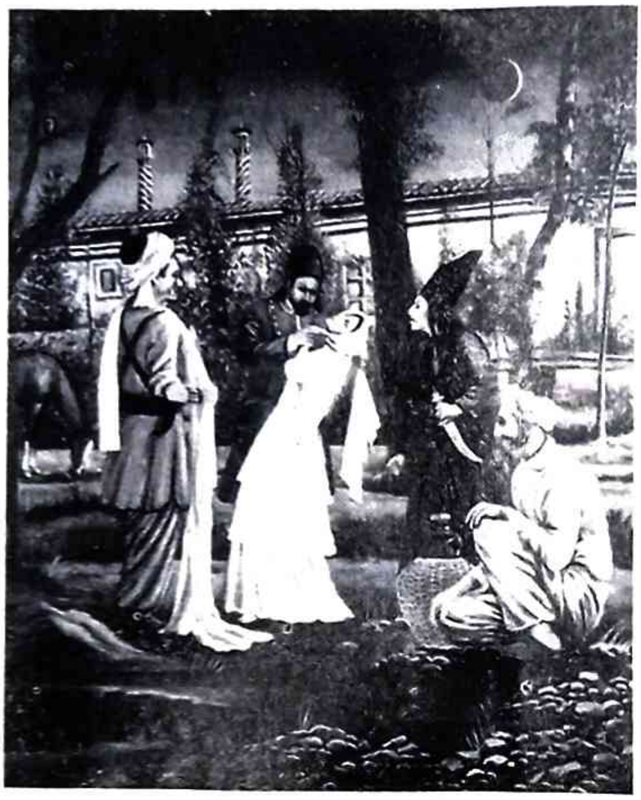

زرين تاج (قرة العين)
تعدم خنقاً بالمنديل

ولدت السيدةُ أستير ابنة كارلوس الثالث من عائلة ستانهوب الثريّة في لندن في 12 مارس/آذار سنة 1776م وتوفيت في (جون) التابعة لإقليم (الخَرُّوب) من جبل لبنان في 23 يونيو/حزيران سنة 1839 فقيرة مدقعة بعد أن صرفت جميع أموالها على أعمال السحر والشعوذة، حيث كانت لديها مبادئ دينية مؤذنة بالشطط وكان في تلك المبادئ ما يدل على أنها جمعت بين الحقائق وعادات شرقية خرافية ولا سيما غرائب فن التنجيم وعجائبه، وكانت عقائدها الدينية غامضة فهي مقتطعة بِحذْقٍ من أديان مختلفة، فقد جمعت بين أسرار الدروز

= إنها خُنقت بمنديل من الحرير قدَّمته هي إلى جلادها فخنقها به وألقاها في البئر وأهيل عليها التراب (للتفصيل راجع: **هكذا قتلوا قرة العين**، د. علي الوردي، منشورات الجمل).

وتسليم المسلمين في اعتقادهم بالقدر وانتظار اليهود مجيء المسيح وعبادة النصارى للمسيح.

وقصارى الكلام عنها أنها حَصلت بأعمالها على شهرة عظيمة في الشرق، وكان الأهالي عموماً يسمونها بالست الإنكليزية، أما الإفرنج فعرفت عندهم بلاري ستنهوب، وأطلق عليها العرب في الأُردنِّ لقب (ملكة تدمر) حيث كانت تسير بينهم بموكب ضخم من العبيد والحاشية والحراس يقدر عددهم بخمسين ألفاً. ولما عزم (إبراهيم باشا) خديوي مصر على فتح سورية سنة 1833م اضطره الأمر إلى أن يطلب إليها أن تكون على الحياد.

ومما يدلّ على أن عقلها لم يخلُ من الاختلال في بعض الأمور أنها رَبّتْ فرسين جميلين في إسطبل وأعدتهما ليركب المسيح أحدهما وهو ذو اللون الكميت وتركب هي الآخر ذا اللون الأبيض.

أستير ستنهوب على صهوة مهرتها

وكانت تنتظر المسيح بشوق وتعتقد أن العالم يحتاج إلى الإصلاح ولا بدّ من ظهور مصلحٍ يُقوِّم المسالك ويرشد الناس إلى سواء السبيل وهو الذي تُسَميه (المسيح) أي المنقذ، وإنه سيظهر قريباً وفي هذه الأيــام، ولذلك أعدت له تلك المهرة ومعها المهرة التي ستركبها هي معه.

ولما زارها الشاعر الفرنسي المشهور (لامارتين) في سورية سنة (1832م) دعته إلى بستانها العجيب الذي أنشأته في الدير المهجور في (جون) ثم أرته المهرتين وبدأت بالمهرة الأولى التي سيركبها المسيح وكانت مُسرَّجةً بالولادة. يقول لامارتين عنها: «فرأيتُ فيها من غرائب الطبيعة ما يقوّي ذلك الاعتقاد عند قوم لم يَزح عنهم الجهل ستارته، لأن لها في مكان المنكبين تجويفاً عميقاً واسعاً يشبه السرج وشيئاً أشبه بركابين في مكان ركوبها من دون سرجٍ صناعي. وكانت هذه المهرة لم تُركب البتةَ وقد عهدت سياسَتها إلى سائسَين عربيين يسهران عليها ليلاً ونهاراً لا يفارقانها لحظة، وبالقرب منها مهرة أخرى بيضاء أجمل منها تشاركها فيما لها من منـزلة عند اللاري المذكورة، وهي كأختها لم يركبها أحد.

وبقيت السيدة تصرف على هذه الخزعبلات وأمثالها أموالاً عظيمة حتى ركبتها الديون وحُجر على أموالها وممتلكاتها، ثم ماتت مُدقعة كسيرة حسيرة دون أن تكتحل عيناها برؤية الحبيب العائد من السماء، ثم نُهبَ قصرها وبستانها أما المهرتان فلم يذكر التاريخ عنهما شيئاً[1].

❋ ❋ ❋

ومهما يكن الأمر فقد استطاعت تلك السيدة الأسطورة أن تدخل تاريخ العرب والمسلمين مع جملة الأساطير التي دخلته وهي كثيرة.

ولكن ثمة سؤالاً يبرز في الذهن لا يمكن التخلي عنه دون إجابة،

---

(1) باختصار عن، **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، زينب بنت فواز العاملية، ص 28 وما بعدها.
وينظر للتفصيل:
The Ency. **Americana** 1960 Edition P. 182 Vol. 25 Lady Hester lucy Stenhope item.

هو: كيف تمكنت من حشر نفسها ضمن هذا التاريخ وبثّ أفكارها الخرافية في عقول العرب؟

يذكرُ أنها استطاعت جذب الدُّهماء إليها فأحاطوها بالتبجيل. وكانت تُسَيِّر هدايا نفيسة على ظهور الجمال فتوزعها على البدو. وطافت أنحاء سوريا كلها. ولما وصلت تدمر اجتمع إليها كثيرون من قبائل البدو ومكّنوها من الوصول إلى تلك المدينة وكان عددهم من (40 إلى 50) ألفاً وكانوا يعاملونها كملكة، وكانت تحاول بحذاقتها أن تضاهي (زنوبيا) ملكة الشرق. وأحاطت نفسها بتراجمة سوريين وأوروبيين وحاشية كبيرة من النساء وجماعة من العبيد السود. وكانت تلبس لبس أمير وتتقلد السلاح وتدخن.

وذُكر أنها كانت تتدخل في حكم البلاد وكانت لها علاقات حبيّة وسياسية مع الباب العالي في اسطنبول، وإبراهيم باشا في مصر وعبد الله باشا والأمير بشير الشهابي حاكم لبنان والشيخ بشير جان بلاط (جنبلاط) ومشايخ البدو في براري سورية والعراق[1]. فكيف استطاعت ذلك؟

في الواقع إن الجواب على هذا التساؤل يكمن في طبيعة الأرض التي غزتها، حيث كانت صالحةً لاحتضان مثل هؤلاء المغامرين الشواذ. هذه الأرض العذراء التي غفل عنها أهلوها وتركوها للغزاة يؤسسون فيها اللبنات الأولى لركيزة الاستشراق الغربي. يقول الشاعر الفرنسي لامارتين - حبيب السيدة:

(هي أرض المعجزات. كل شيءٍ يزدهر هنا. وكل رجلٍ ساذج أو متعصب يمكن أن يصبح بدوره نبياً)[2].

---

(1) **الدر المنثور**، المصدر السابق، 29

(2) **الاستشراق**، إدوارد سعيد، 192

الفصل الحادي عشر

ارتباط المنتظرين بالخيول

بالرجوع إلى الأخبار المتعلقة بالمنتظرين نجد أن ظهور المنقذ يكون مقدمة لإعلان حرب ضروس على المفسدين والطغاة وجاحدي الحقوق وغيرهم، لذلك يكون ركوب المنقذ حصاناً بمثابة رمز لمباشرة هذه الحرب. وقد رأينا ذلك في حالة الدّعيّ (داود روبيني) الذي امتطى حصاناً أبيض وراح يجمع الأسلحة من ملوك أوروبا ليحارب بها العرب ويطردهم من أرض فلسطين.

أما السيدة أستير ستانهوب فقد ربَّت فرساً (مهرةً) وأعدّتها بشكلٍ لائق ليركبها المسيح ويدخل بها أورشليم فاتحاً، ولم تربِّ حماراً أو برذوناً أو جحشاً لأن هذه الفصائل من المركوبات لا تستطيع الصمود في الحرب، وبالتالي لا يستطيع المنقذ أن يحارب بها الطغاة، الذين هم في موقفهم قادرون قدرة عظيمة من الصلابة والعناد على الغيّ. وقد جاء في القرآن الكريم في شأن الحصان قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1].. الآية. لذلك تحتّم على مريدي المنتظر الغائب

(1) سورة الأنفال، الآية 60.

أن يعدوا له حصاناً أو فرساً أو مهرة ليركبه أو يركبها ويحارب الطغاة وقد فعلت ذلك الليدي ستانهوب كما أسلفنا.

ومثل دعوى مريدي المسيح الذين يعتقدون بأنه سيعود ويركب الحصان يعتقد (القرامطة) كذلك، فيروى أنه عندما مات مؤسس مذهبهم (حمدان قرمط) اعتقدوا بأنه لم يمت وسيعود ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وفسقاً، فكانوا يقيمون على باب البيت الذي فيه قبره فرساً بسرجٍ ولجام ولا يغادر مكانه لا ليلاً ولا نهاراً ويقولون إن المهدي سيركبه متى ظهر. وهذه هي رواية الرحالة الفارسي ناصر خسرو عندما زار الإحساء عاصمتهم سنة 443هـ[1].

على أنه ينبغي أن نلاحظ أن غالبية زعماء القرامطة يدّعون بالحلول كما هو الحال في المسيح. وفيهم من قال بإلهية أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي وأبنائه بعده، ومنهم من قال بإلهية أبي القاسم النّجار القائم باليمن في بلاد (هَمْدان) المسمى (المنصور) وقالت طائفة منهم بإلهية أبي الخطّاب بن أبي زينب مولى بني أسد بالكوفة وقد كثر عدد أتباعه حتى تجاوزوا الألوف. وقالوا: هو إله وجعفر بن محمد إله وكانوا يقولون إن جميع أبناء الحسن أبناء الله وأحباؤه وكانوا يقولون إنهم لا يموتون ولكنهم يرفعون إلى السماء[2].

وهكذا ترى أن فكرة المهدي لم تنفصل عن فكرة مهدوية المسيح (ابن الله) الذي لم يمت. إلا أن الأمر الذي يثير الاستغراب والتأمّل هو كثرة الناس المتكالبين على عبادة هؤلاء الأدعياء والإيمان

---

(1) **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، آدم متز، ج2، ص71 .

(2) المصدر السابق، ج2، ص72.

بحرارة بأنهم خالدون لا ينالهم الموت. وإذا نالهم الموت فعلاً قالوا: إنهم اختفوا وينتظرون في مكان اختفائهم المزعوم مسرجين خيولاً مطهمةً ليلاً ونهاراً ليركبها المختفي عندما يعود ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وفسقاً.

الفصل الثاني عشر

اختفاء المنتظرين

وعلى اعتبار أن المنتظرين هم آلهةٌ ـ كما أسلفنا ـ أو أناس حلَّ فيهم اللاهوت لذلك هم خالدون لا يموتون. ولكنهم عندما يموتون يموّه تلامذتهم على الناس بأنهم إمّا صعدوا إلى السماء ثم منها يرجعون أو إنهم اختفوا داخل مغارة أو في جبل انشق وابتلعهم أو نفق في أعماق الأرض.

وأشهر المكانات المأثورة لاختفاء المنتظرين جبل (رضوى)، حيث امتاز هذا الجبل الكائن في اليمن بارتفاعه السامق، وهو ذو شعاب وأودية ونهايته من ينبع أخطر، وقال من طاف في شعابه إن به مياهاً كثيرة[1].

ولذلك اعتقدت الكيسانية أن محمداً بن علي بن أبي طالب المشهور بـ(محمد ابن الحنفية) قد اختفى فيه.

وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته ويزعم أنه المهدي. وكانت الكيسانية (من الفرق الإسلامية) تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم

---

(1) **معجم البلدان**، ياقوت، 3، 51

بالجبل المذكور وهو في الحقيقة مولده ووفاته في المدينة (21 ـ 81هـ = 642 ـ 700م)[1].

وقد اعتقدت هذه الفرقة أن الإمامة بعد الحسين بن علي هي لابن الحنفية وأنه هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وقالوا إنه حيٌّ لا يموت، ولكنه عندما مات كرِهَ أصحابه أن ينقضوا قولهم ويرجعوا عنه فقالوا إنه لم يمت وهو في غار في جبل رضوى وفي ذلك يقول الشاعر السيد الحميري وكان يتولاه:

ألا قُـل للوصـيِّ فدتـكَ نفسـي
أطلـت بـذلـك الغـار المقامـا[2]

وذكرت الأخبار أنهم كانوا يجتمعون ليلة الجمعة ويقومون بالعبادة. أقول: ولعلهم كانوا في هذه العبادة يستنهضونه للظهور حيث أطال الغيبة ونفد صبرهم كما يبدو ذلك من بيت السيد الحميري السابق.

وقد يؤدي مقتل البطل الشعبي إلى ظهور خرافة الاختفاء ثم الرجعة حيث إن العقلية الشعبية تتأثر بالحكايات التي تُحاك حول ذلك البطل، فإذا شاعت عنه الأفعال العظيمة والبطولات قُدِّسَ حدّ التأليه. وقد شاعت عن أحد القرامطة وهو (أبو الفوارس) مثل تلك البطولات، فلما قتل ببغداد (عام 289هـ = 901م) وصُلب جسده، أخذت العامة تخوض في تمجيده ـ وقد كان كثيرٌ من الناس قد علقوا بحب القرامطة في ذلك العصر إعجاباً بأفكارهم ـ فيقول المسعودي:

«وقد كان لأهل بغداد في قتـل أبي الفوارس هذا أراجيف

(1) ينظر: **الأعلام**، الزركلي، ج6، ص270.
(2) **شرح الأخبار**، القاضي النعماني المغربي، ص 396.

كثيرة، وذلك أنه لما قدّم لتضرب عنقه أشاعت العامة أنه قال لمن حضر قتله من العوام: هذه عمامتي تكون من قِبَلِكَ فإني أرجع بعد أربعين يوماً. فكان يجتمع في كلّ يوم خلائق من العوام تحت خشبته ويحصون الأيام ويقتتلون ويتناظرون في الطرق في ذلك. فلما تمت الأربعون يوماً وقد كان كثر لغطهم واجتمعوا فكان بعضهم يقول: هذا جَسَده. ويقول آخر: قد مَرَّ وإنما السلطان قتل رجلاً آخر وصلبه موضعه كي لا تفتن الناس. وكثر تنازع الناس حتى نودي بتفريقهم فترك التنازع والخوض فيه»[1].

أقول: أرجو أن يتبين القارئ لتلك الأقاويل أن العامة كانوا متأثرين بروايتي الإنجيل والقرآن في عملية صلب المسيح حيث أشار بعضهم إلى الرواية الأناجيلية بقولهم: إنه مَرَّ من هنا. كما أشار البعض الآخر إلى الرواية القرآنية وهي رواية (الشبيه)[2]. وخلاصة أقوالهم أنهم لم يؤمنوا بموت أبي الفوارس بل إنه سيعود رغم وجود جثته المعلقة فوق رؤوسهم، فانظر إلى هذا العناد والإصرار الشديد ورسوخ الخرافة في عقولهم.

وإذا انتقلنا إلى الغرب وجدنا كثيراً من أمثال هذه الخرافات التي تحكي قصصاً عن ملوك اختفوا في الجبل وسيعودون لأنصارهم مرة ثانية. وأشهر أولئك الملوك (فردريك الثاني) أول ملك في ألمانيا. وكان هذا الملك مكروهاً عند الألمان لاستئثاره بالأموال وقضاء وقته

---

(1) **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، المصدر السابق، ج2، ص142 نقلاً عن **مروج الذهب** للمسعودي، ج8، ص204.

(2) قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (سورة النساء، الآية 175)

بالعناية بها ولكنه كان محبوباً لدى الإيطاليين في جبال الألب. فتأسف الكثير منهم على موته. وإذن فعودته ثانيةً جديرة أن تكون هبةً إلهية في نظر الجبليين الذين ناصروه. وقد نشأت بينهم أسطورة (الملك في الجبل) في المناطق الواقعة شمال الألب[1].

وبالإضافة إلى ذلك كان الإيطاليون يعرفون الملك (آرثر) الذي يعيش داخل جبل (أثينا). وكانت العودة الثانية للملك آرثر يترقبها باشتياق شديد الشعب (الكلتي) في (ويلز وكورنوول وبريتاني).

ويُعتقد حتى يومنا هذا أن الملك آرثر نائم في أكثر من جبل في ويلز. فإذا تساءلنا كيف دخل الملك آرثر جبل أثينا، وجدنا الردّ يسيراً، فقد كان النورمانديون هم الذين حملوا هذه الخرافة إلى تلك المنطقة وحملوا معها بقية السيرة الآرثرية. وقد ذُكر عن أهل (ويلز) أنهم كانوا على استعداد أن يشنقوا أي إنسان على جذوع الشجر إذا أنكر وجود آرثر أو أنكر عودته ثانية ليحرر الكلتيين البريطانيين من قبضة السكسون[2].

أقول: تأمل أيها القارئ هذا وقارنه بما يفعله المؤمنون بعودة المنتظرين عندنا وبمن ينكر عودتهم أو وجودهم حتى.

يقول (كراب): ولعلنا نرى أن الاعتقاد في عودة ملك عظيم قديم إلى الحياة ليستردّ شعبه عصره الذهبي، هذا الاعتقاد يضرب بجذوره في النفس الإنسانية بما يكفي أن نفترض نشوءه تلقائياً في أماكن متباعدة وفي عصور مختلفة[3].

---

(1) **علم الفولكلور**، الكسندر كراب، ص181.

(2) المصدر السابق نفسه، ص182.

(3) **علم الفولكلور**، الكسندر كراب، ص181.

الفصل الثالث عشر

ظهور المنتظرين

تواصل الظهورات:

في الواقع يظهر لنا أن قول عالم الفولكلور (ألكسندر هجرتي كراب) الآنف الذكر هو قول سليم، حيث الاعتقاد بظهور المنتظر ما يزال يعمل في لاوعي البشر المضطهدين كوسيلة من وسائل الراحة النفسية والتنفيس عن الضيق المتسبب عن القهر المتسلط على الشعوب من قبل الحاكم الظالم أو من جهة القوانين الوضعية الجائرة التي يسود فيها الباطل ويمحق الحقّ. وسوف لن يختفي ذلك الاعتقاد ما دام العدلُ غائباً وسيظهر منتظرون جُدد في كلِّ زمان ومكان بين كلِّ شعب يتطلع إلى الخلاص من الظلم والاضطهاد.

أقول: وسيبقى المُضطَهدون يرتعبون من كلّ شخصٍ يتلبَّس بلبوس المنتظر وينجح في تأليب الناس عليهم بوسائله التي تمنيهم بتأسيس الدولة اليوتوبية (دولة المهدي المنتظر) حيث ينام فيها الراعي مع الرعية والشاة في حضن الذئب والأسد يجاور الثور في الحقل وغير ذلك من أمور تشير إلى انعدام الصراع والتناقضات في تلك الدولة التي لا يمكن تأسيسها إلا بالثورة الماحقة والتضحيات الكبيرة.

صعوبة الظهور:

ومن خلال استقصاء تواريخ ثورات المنتظرين نجد أن عملية الظهور لا يمكن أن تكون بالسهولة التي يتصورها الإنسان، فدونها خرط القتاد وطريقها مليء بالخطورات والعقبات والأوتاد، حيث إنه ليست كل بيئة تصلح للظهور أو لولادة المنتظر. فالبيئة التي يعمُّ فيها العدل وتسود المساواة وتكافؤ الفرص لجميع الأفراد لا ينجح فيها المنتظر ويكون فيها كحامل التمر إلى (هَجَر)، وإنما ينجح في البيئة التي يعمُّ فيها الظلم ويستشري الفساد فهي التي تحتاج إلى (مهديٍّ) أو (مخلّص) يخلّص الناس من ظالميهم وسارقيهم وخادعيهم ومستعمريهم. وفي هذه الحالة يواجه المنتظر وسائل هؤلاء في القضاء عليه وهي أقوى من وسائله وعندها تستجِرُّ الحرب بينه وبينهم وذلك هو الصراع الأزلي بين الظالم والمظلوم، هذا الصراع الذي ولَّد أعداداً غفيرة من المنتظرين من العسير إحصاؤهم وخلف ضحايا لا يمكن تخمين أعدادهم وكان المنتظرون من ضمنهم ومع هذا الإخفاق فإن مسيرة المنتظرين ستستمر إلى أبد الدهر. وعلى هذا يصبح توفر البيئة شرطاً واجباً ليتم الظهور.

هوية المنتظر في الديانتين اليهودية والمسيحية:

ولكن كيف يقنع المنتظر الناس بكونه منتظراً حتى يلتفّوا حوله؟

هنا توجَّب أن يمتلك المنتظر هويةً خاصة به تتعلّق باسمه ونسبه وتاريخ أصله. وهذه الهوية لا يمكن أن يصنعها المنتظر بنفسه أو يشتريها من السوق وإنما هي مثبتة في دساتير الأديان كشرطٍ واجب الوجود في المنتظر، فإذا توفرت في ذلك الشخص استطاع أن يقول للناس: أنا هو.

وتحتفظ الديانتان اليهودية والمسيحية بصورة لهوية المنتظر. فاليهود أوجبوا أن يكون منتظرهم حاملاً اسم (مَسَيًّا) ونسباً متصلاً بملكهم (داود)[1]. وقد خُدعوا ذات مرة بشخص دجال اسمه (داود روبيني) ادّعى أن اسمه (مَسَيّا) وأن نسبه يتصل بالملك داود فتبعوه وقد ذكرنا ذلك. ولتوضيح المسألة أنهم كانوا قبل ظهور السيد المسيح مؤمنين إيماناً قاطعاً ثابتاً بأن خلاصهم من الاضطهاد الروماني سيكون على يد رجلٍ منهم اسمه (مَسَيّا) وله نسب متصل بملكهم القومي (داود) وأنه سيقود إسرائيل ويخلصهم من العبودية ويرجعهم إلى عصرهم الذهبي. وعندما ظهر يسوع المسيح قال لهم إن اسمه (مَسَيّا) فاستبشروا به وبشّر بعضهم بعضاً، فجاء في (سِفر يوحنا): إن (أندرواس) أخو (سمعان) أحد اللَّذين تبعا يسوع بعدما سمعا كلام يوحنّا، فما إن وجد أخاه سمعان حتى قال له: وجدنا المَسَيّا أي المسيح[2].

ونستشف من خبر آخر أن السيد المسيح قد ادّعى لنفسه هذا الاسم لما أظهر نفسه كمحرّر لليهود وذلك عندما قابلته إحدى النساء اليهوديات وكلمته قائلة:

- إني أعلم أن المسيّا الذي يدعى المسيح سيأتي ومتى جاء فهو يُعلن لنا كلَّ شيء.

---

(1) داود ملك بني إسرائيل (نحو 1010 ـ 97 ق.م) وهو ثاني ملوكهم ووالد سليمان الحكيم وأحد أجداد السيد المسيح، ابن (يَسّى) خلف الملك (شاول) (شاؤول) في الحكم. أسس مملكة يهوذا ووطّد أركانها وأعطاها أورشليم عاصمة لها ورغم ورعه قتل (أوريا) أحد قواده ليتزوج امرأته ثم ندم ندماً يضرب به المثل. (**المنجد**/ قسم الأعلام)

(2) يوحنا: 1 / 40 وما بعدها.

فأجاب - إني أنا هو الذي يكلمك[1].

المَسَيّا:

أما اسم (المسيّا) فمعناه: الممسوح بالزيت المقدس وهي اللفظة اليونانية للمسيح والتي تقابل (م ش ي ح) في العبرِيّة والآرامية وتعني أيضاً: الممسوح بالزيت[2].

واللفظة في العبرانية (مشياح Mashiah) أي الممسوح بالزيت. وقد صار المصطلح (مَشيا) يرمز إلى أي مخلص (Savior)[3] مثلما صارت لفظة (المهدي) عند المسلمين تطلق على المهدي الحقيقي الذي هو الإمام المعصوم الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري وتُطلق تجاوزاً على المهدي الدجال الذي يشبه (داود روبيني) وأمثاله وهم كثيرون في تاريخ المسيحية نذكر منهم اليهودي (شبتاي تسيفي) الذي ظهر في تركيا وأسس جماعة (الدونمة) ومعناها (المتنسكون) باللغة التركية وادّعى أنه (المسيح المنتظر) ولما قُدم للمحاكمة أعلن إسلامه في (أضنه) وأطلق على نفسه اسم (محمد أفندي) وكان يقوم

---

(1) يوحنا: 4 / 25.

(2) الزيت الذي كانوا يمسحون به الأشخاص لتبريكهم هو (زيت الزيتون) هذه الشجرة المباركة المقدسة عند جميع الأُمم القديمة. وفي أيام الرومان كانوا يهتمون اهتماماً خاصاً بتهيئة الزيت المقدّس لشعائر العبادة في الهيكل. وكانوا يخلطونه بالعطر لعمل (زيت المسحة) التي يمسحون بها الملوك عند تكريسهم للمنصب. وزيت المسحة هو زيت مقدس جداً بشكل خاص. وقد مسح الملك (شاوول) بزيت المسحة وداود وسليمان وغيرهم ومسح كذلك السيد المسيح فسمي مسيحاً. (المحيط الجامع، مصدر سابق، 1192)

(3) **Ency. Britanica** - Messiah Item.

بالصلاة في المساجد ويرتاد المعابد اليهودية في سِرِّيةٍ ليتَلّقى منها التوجيهات الهدّامة[1]. وبهذا أصبح هذا الدجال واحداً في ثلاثة دجالين: يهودي ومسيحي ومسلم.

شروط الظهور وفق الديانة الإسلامية:

توجد هذه الشروط في أحاديث نبوية كثيرة أوردها الرواة سماعاً عن رسول الله ﷺ أو عن الصحابة أو سماعاً عن الأئمة المعصومين عند الشيعة الإمامية أو نقلاً معنعناً عمن سمع منهم.

وقد لُقِّب المنتظر في هذه الأحاديث بـ(المهدي) وهو لقب تشريف وامتياز جاء من معنى (الهدى) وهو تبيان الطريق. يقال: هديتَه الطريق بمعنى عرّفته الطريق. والهدى ضِدّ الضلالة وهو الرشاد ويطلق عليه كذلك لقب (الهادي) أي الذي يبصّر الناس ويعرفهم الطريق. والمهدي هو الذي قد هداه الله إلى الحق وقد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة وبه سُمّي المهدي الذي بَشَرَ به النبي ﷺ أنه يجيء في آخر الزمان[2].

والزمان الذي عناه ﷺ هو زمان مطلق ليس مُحدداً بتاريخ، لذلك صار كلّما استشعر الناس في زمانهم بفداحة الظلم توقعوا ظهور المهدي. ولما كان الظلم قائماً منذ بدء الخليقة وحتى هذا اليوم وهو أمر لازم لطبيعة السياسات أصبح ظهور المهدي متوقعاً أيضاً ولكن بشروط هي أن يكون اسمه كاسم النبي ﷺ واسم أبيه كاسم أبي النبي

---

(1) خفايا الطائفة البهائية، د. محمد أحمد عوف، ص9.

(2) لسان العرب، هدى

ونسبه متصل بنسب النبي. وأن يكون عربياً وبذلك أخرج أدعياء النسب وأخرج غير العرب، ومع ذلك استطاع أدعياء النسب وغير العرب من البربر والسودان والعجم والهنود الولوج إلى حظيرة المهدي بالادعاء والتزوير.

قال ﷺ عن ابن مسعود:

«لا تغيب الأيام والليالي حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسـمه اسمي واسـم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً»[1].

وقال في حديث آخر:

«المهدي من ولد فاطمة».

وفي لفظ آخر:

«المهدي من أهل البيت يُصلِحهُ الله في ليلة».

وللحافظ أبي نعيم كتاب في نحو ست وعشرين ورقة جمع فيه أربعين حديثاً وسماه (كتاب ذكر المهدي ونعوته وحقيقة خروجه).

استنتاج:

ومن خلال تلك الأحاديث نستنتج أن النبيَّ ﷺ كان يتطلع بما يمتلك من ثاقب بصر وبعد نظر إلى القرون والعصور التي ستأتي (آخر الزمان) فيراها معتمة مظلمة قد تضاءلت فيها أشعة الإسلام وأنوار الشريعة وما عاد الناس يهتدون في تلك الدياجي إلى الصورة

---

(1) **الدرُّ المنثور**، السيوطي، ج6، ص58.

الواضحة التي كان الإسلام عليها، لذلك رأى وجوب ظهور مهديٍّ يقوم بتجريد الديانة من الانحرافات والتجاوزات التي ألصقها بها المغرضون والهدامون والمعادون والمرتزقة والمتاجرون وغيرهم ثم ألزم الناس بطاعته ونصرته بالمال والسلاح والأرواح إذا ظهر بعد اختباره بالمقاييس التي حدّدها في الأحاديث السابقة.

كما نستنتج أيضاً أن دعوة المهدي ليست مقصورة على شيعة معينة أو أرض محددة، وإنما دعوته دعوة عامة شاملة (تملأ الأرض) أي إنها أممية كما هو حال الإسلام فهي امتداد له، وللناس كافة.

ونستنتج كذلك أن في تلك الأحاديث شروطاً تعجيزية وضعت لتمنع المحتالين والمزيفين من خداع الشعوب وتوظيف النّبوءة لصالحهم. ومع ذلك فقد استطاع المزيّفون بما لديهم من فنون أن يتسلقوا على تلك الشروط ويحوّلوها لصالحهم. فكثر المتمهدون ومدّعو المهدوية عبر التاريخ الإسلامي.

المهدي والمتمهدي:

وقد اعتاد المؤرخون والباحثون إطلاق لقب المهدي على كلِّ مدَّعٍ بالمهدوية وبذلك خلطوا بين المهدي المنصوص عليه في الأحاديث النبوية وبين المدّعي.

ومن أجل توخّي الدقّة في التفريق بين الاثنين استخدم بعضهم كلمة (المهدي) للحقيقي الذي أكدت عليه الأحاديث النبوية وانطبقت عليه أوصافها وهو الإمام محمد بن الحسن العسكري مهدي الشيعة الاثني عشرية، واستخدم كلمة (المتمهدي) لمدّعي المهدوية وهي

أكثر دقة في الانطباق عليه حيث تعطي معنى اتصاف الشخص بالشيء والشيء ليس أصلاً فيه.

ويبدو لنا أن أول من استخدم هذا الأسلوب في التفريق بين الأصلي والمزيف هو المعلّم العالم (بطرس البستاني، 1234 ـ 1300هـ = 1819 ـ 1914م) وذلك في دائرة معارفه عندما تحدث عن المتمهدي السوداني فقال عنه (إنه محمد أحمد المتمهدي)(1) ثم تبعه المؤرخ والروائي الأديب المشهور (جرجي زيدان 1278 ـ 1332هـ = 1861 ـ 1914م) وذلك في روايته (أسير المتمهدي) التي تدور أحداثها حول سيرة البطل السوداني (محمد أحمد بن عبد الله 1259 ـ 1302هـ = 1843 ـ 1885م) محرر السودان من الاحتلال المصري والإنكليزي ومؤسس (دولة المهدي) في السودان على غرار (دولة المهدي) الحقيقي وسوف نقوم بدورنا في اتباع هذا التفريق.

أشباه المهدي:

وقد ظهر إلى جانب المهديين والمتمهدين رجال دين سياسيون فرضوا على الناس سلطانهم من هذا الجانب ولكنهم لم يدّعوا المهدوية وإنما سلكوا سلوك المهدي في إرشاد الناس وتوجيههم وفرض طاعتهم ووجوب اللجوء إليهم في الأمور الدينية والدنيوية. ويمثلهم أحد الباحثين(2) بجماعة الإخوان المسلمين بمصر حيث يكون رئيسهم

(1) انظر: **دائرة معارفه**، ج10، ص168.

(2) لم يذكر الباحث اسمه ومقاله منشور في (**ميدل إيست أونلاين**) بعنوان: آخر تجليات الإسلام السياسي : ظهور مهدي منتظر جديد في المغرب، 28 / 11 /2012.

الذي يطلق عليه اسم (المرشد) هو (صاحب الأمر) ولذلك هو يشبه المهدي ولكن لم يدّع المهدوية. ويطلب المرشد من أصحابه (البيعة) على السمع والطاعة وكل من يخالف له أمراً يفصله من الجماعة.

ويقول الباحث: فإنه في حقيقة الأمر يلعب دور المهدي كاملاً دون أن يتسمّى باسمه ويعطي لنفسه كافة سلطاته وأما المؤسسات الداخلية في تنظيمه مثل مكتب الإرشاد ومجلس الشورى فشكلية طالما الأعضاء فيها ممن يلتزمون بالسمع والطاعة، فأمره في النهاية هو النافذ على الجميع حتى لو كان أخطأ فيه. وقد رأينا ـ والقول للباحث ـ دعاة في مصر لبعض المرشحين للرئاسة يقول للجمهور (من يتَّقِ الله ورسوله عليه أن ينتخب فلاناً ومن لم ينتخبه فقد عصى الله ورسوله).

أقول: إن هذا الذي جرى في مصر قد جرى في العراق بحذافيره خلال الانتخابات الأخيرة حيث أوجب بعض المفتين على الناس انتخاب (فلان) أو انتخاب القائمة الإسلامية المرقمة كذا، ومن لم ينتخب هؤلاء يخرج من الإسلام وتحرم عليه زوجته وتبطل صلاته وصيامه وله عذاب شديد يوم القيامة، فهل رأيت ـ أيها القارئ ـ مسخرة كهذه المسخرة التي تضحك العالمين؟

ومن المضحك أنني رأيت كثيراً من الناس المثقفين انتخبوا أولئك الأشخاص رغم عدم إيمانهم بأهليتهم لهذا المنصب الخطير وذلك خوفاً من أن تحرم عليه زوجته. هكذا قال لي أحد الناخبين. وكان أن صعد إلى المجلس أشخاص لا يمتلكون من الكفاءة غير كفاءة الوعظ على المنابر وإرشاد الناس طرق الحرام والحلال وهم أنفسهم غير ملتزمين بها وكان أن حلَّ الخراب بالبلد فصارت الحاجة إلى مهدي حقيقي ضرورية لإنقاذه من هؤلاء.

كثرةُ المتمهدين وتباين أهدافهم:

يحكي فيلسوف (المعرّة) أبو العلاء روايةً عَمّن سافر إلى اليمن أن بها في عهده جماعة (كلهم يزعم أنه القائم المنتظر فلا يعدم جبايةً من مالٍ يصل بها إلى خسيس الآمال)[1].

وقد نقل أبو العلاء هذه الرواية عن (ناصر خسرو) الذي حدّثه فيها عن هؤلاء عندما زار منطقة الإحساء في اليمن[2].

ويمكننا أن نفهم من خلال هذه الرواية أن أولئك المتمهدين كانوا من المتمهدين المرتزقة يعتاشون على ما يعطيه لهم تابعوهم من ضريبة (الخُمس) المخصصة للإمام المهدي. ويمكننا اعتبار هذه الطبقة من المتمهدين من أوطأ طبقاتهم لأنهم فقدوا خصيصة المهدي المنصوص عليها في الأحاديث النبوية وهي (الثورة) وحمل السلاح وتأسيس (دولة المهدي) اليوتوبيّة التي هي أمل راود أفكار الأمم منذ القدم. وقد حاول فلاسفة اليونان تحقيقها فلم ينجحوا وبقيت في الأحلام البعيدة المنال. ولو تحققت ـ لا سمح الله ـ لذهب رونق الحياة وفُقدت اللذاذة في العيش وانطفأت مباهج الدنيا ودارت الحروب وذبح الناس وانفرط التناسق في المجتمع كما يحدث الآن في (دول أشباه المهدي) من تكفيرٍ لجميع المخالفين وقتلهم مع شيوخهم وأطفالهم واغتصاب نسائهم شرعياً وليست بعيدة عنا دولة شبيه المهدي (أسامة بن لادن)[3] اليمني وتلميذه المصري (أيمن

---

(1) **تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، آدم متز، ج2، ص69.

(2) المصدر السابق، ج2، ص71.

(3) أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة التكفيري. قتل على أيدي القوات الأمريكية في الثاني من مايو/ أيار عام 2011.

الظواهري)[1] وقد جعلناهم ضمن طبقة أشباه المهدي لأنهم لم يدَّعوا المهدوية وإنما انتهجوا منهج المتمهدين في تكفير المخالفين وتفريق المسلمين، فمثلهم التاريخي هو المتمهدي (حمدان قرمط) وجماعته (القرامطة) الذين ظهروا في منتصف القرن الثالث الهجري وعاثوا في البلاد الإسلامية فساداً وذبحاً للناس في العراق والشام وجزيرة العرب، حتى مكة لم تسلم من فتك أصحاب حمدان. ففي عام (317هـ = 949م) وافى أبو طاهر القرمطي أحد قواد حمدان مع جيش القرامطة، وافوا الحجاج في مكة لما فتحوها وذلك في يوم التروية فقتلوهم في المسجد الحرام وفي البيت نفسه وقلعوا باب البيت وقلعوا الحجر الأسود وأنفذوه إلى هجر عاصمتهم. وأخذ أبو طاهر كسوة الكعبة ففرّقها بين أصحابه ونهب دور أهل مكة. لقد كانوا يهدفون إلى تطبيق المشاعية الاشتراكية في دولتهم.

وعندما مات حمدان قال أصحابه إنه لم يمت وإنه سيعود ويبدو أنه عاد متمثلاً برئيس القاعدة وأصحابه الذين فعلوا بالحُجاج فعل أصحاب حمدان نفسه، ففي سنة 2011 تصدّوا لقافلة من الحُجاج العائدين من الحج في الطريق الصحراوي بين (عرعر وكربلاء) فقتلوهم عن آخرهم.

المتمهدي إلهاً:

وفي بعض الحالات قد يتحول المتمهدي إلى إله ويتصاعد عنده

---

(1) أيمن الظواهري: الساعد الأيمن لأسامة بن لادن ورئيس تنظيم القاعدة خلفاً لأسامة بن لادن ولد في 19 يونيو/ تموز 1951 في القاهرة. درس الطب في جامعة القاهرة وتخرج جراحاً للعيون 1974 ثم انخرط في التنظيمات التكفيرية مع أسامة بن لادن وهو لا يزال حياً.

الغرور فيتصرف كتصرّف الآلهة، يهب ويمنع ويميت ويحيي. ومن الغريب أن بعض أصحابه يؤمنون بكونه إلهاً ويقدّسونه كما يقدسون ربّهم ويضحّون بأنفسهم في سبيله. نذكر من هؤلاء على سبيل المثال أبا جعفر محمد بن علي الشلمغاني ـ نسبةً إلى شلمغان، قرية في واسط جنوب العراق ـ وهو المعروف بابن أبي العَزاقر المقتول سنة 322هـ. قال بالتناسخ وبحلول الألوهية فيه، وكان له قومٌ يدّعون بأنه إلههم وكان أصحابه يبيحون له حُرمهم زوجاتهم وأمهاتهم وبناتهم فيتبركون بذلك.

وذكروا أن ابن أبي العزاقر كان يدّعي أنه حَقُّ الحق وأنه إله الآلهة والأول القديم، الظاهر، الباطن، الخالق، الرزاق التامّ الموصى إليه معنى ويدعى بالمسيح.

وقد أباح الشلمغاني للمؤمنين به ترك الصلاة والصوم كما حلَّل لهم إصابة الفروج دون تمييز.

وكان يقول بألوهية علي بن أبي طالب (ولم ينسب الحسن والحسين رضي الله عنهما إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه) لأن من اجتمعت له اللاهوتية لم يكن له والد ولا ولد). فتأمل ـ أيها القارئ ـ هذه الفلسفة المضحكة. وكان أصحابه لا ينكرون أن يطلب أحدهم من صاحبه حرمته ويردُّها إليه. وقد اتبعه من الطبقة الفقيرة رجالٌ ذكر منهم (مرزوق الثلاج) الفقير المسكين الذي كان يرتزق ببيع الثلج. وآخر يُعرف بابن أبي شيث الزيّات وكان بائع زيت، كما اتبعه من الطبقة المثقفة إبراهيم بن محمد بن أبي عَون الكاتب وكان من أهل الأدب والتآليف. واتبعه من المسؤولين الوزير القاسم بن عبد الله بن وهب وزير المقتدر فيما قيل وبسطام وإبراهيم ابنا أبي عون فطُلبوا فتغيّبوا. فلما كان في شوال من سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة ظفر

الوزير ابن مقلة بهم واستفتى القضاة والفقهاء في أمر ابن أبي العزاقر وصاحبه إبراهيم بن أبي عون وسائر من على مذهبه ممن وجدت له كتب ومخاطبة، فأفتوا بقتلهم وإباحة دمهم فأمر الخليفة الراضي بالله بإحضار ابن أبي العزاقر وابن أبي عون وأن يجلدوا ثم أوعز الخليفة بصلبه وصلب ابن أبي عون فَصُلبا في أحد جانبي مدينة السلام ثم قتلا ونُصِبَ رأساهما وأُحرقت جثتاهما.

وقيل إن الوزير لما أحضر العَزاقري وابن أبي عون، أمر ابن أبي عون أن يَصفَع العزاقري فَمدّ إليه يَدَه فارتعدت ثم قَبّل لحيته ورأسه وقال: إلهي ورازقي وسيدي. فقال الراضي للعزاقري: زعمت أنك لا تدّعي الألوهية فما هذا؟ قال: وما عليَّ من هذا؟ الله يعلم أنني ما قلت إنني إله قط. فقال ابن عبدوس: إنه لم يَدَّعِ الألوهية وإنما ادّعى أنه (الباب) إلى الإمام المنتظر[1].

الباب:

ويظهر لنا من كلام (ابن عبدوس) السابق، أن الشلمغاني هو أحد الجاعلين أنفسهم باباً للمهدي المنتظر، وأن هذه الوسيلة استخدمها متمهدون قبله وهو واحدٌ منهم. ويبدو لنا أن هذه الوسيلة تمثل تكتيكاً تنظيمياً الغاية منه جمع الناس حولهم حيث لا يستطيع الشخص أن يعلن للناس رأساً أنه المهدي وإنما يمهِّد لذلك تمهيداً لطيفاً فيقول إنه (الباب) جاء ليمهّد للمهدي ويبقى يجمع الناس عليه فترة حتى إذا أنسوا إليه واستمكن من عقولهم بثقافته الواسعة ادعى أنه (المهدي)

---

(1) المصادر: **معجم الأدباء**، ج1، ص230 وما بعدها، و**معجم البلدان**، ج3، ص359 و**فهرست ابن النديم**، ص507 و**الفرق بين الفرق** للإسفراييني، ص249 ـ 250.

فإذا حصل له ذلك وآمن الناسُ به، وجههم حين ذاك لما يريد وقال بالحلول وإن الله حلَّ فيه ثمّ ادعى أنه الله تعالى.

ولا يتمّ هذا الأمر بالسهولة التي يتصورها الإنسان وإنما يجب أن يتوفر للداعي قدرٌ كبيرٌ من الثقافة وقسط وافر من الاحترام والإجلال مع نَسب مقدس فيجذبهم بذلك بسلاسة ورفق ولين ثم يعبر بهم إلى الطريق الأوعر وهم راضون.

ولا بدّ أن نذكر في هذا المجال أن الإسماعيلية والقرامطة استخدموا وسائل معينة في جذب المريدين إلى دعوتهم طبقاً لخطةٍ تكتيكية دقيقة روعي فيها تقديم مبادئ الدعوة في رفق ولين وتدرّج وذلك في تسع مراحل ذكرها كل من الغزّالي في (فضائح الباطنية) والديلمي في (قواعد عقائد آل محمد) وهي:

التفرّس والمؤانسة والتشكيك والتعليق والربط والتدليس والتلبيس والخلع والسَّلخ حيث ينسلخ المستجيب من كلّ إيماناته السابقة[1]. ولا شك أن الحقد المتولد عند الناس على السلطة الجائرة المتكلمة باسم الإسلام يرفع درجة السخط ويجعل الناس ينسلخون من دينهم ويدخلون في مثل هذه التنظيمات وهذا هو ما يحدث اليوم في العراق والبلدان الإسلامية.

باب البابية:

وخير مثال نستطيع أن نتمثّل به لهذا الباب هو السيد علي محمد

---

(1) انظر: **قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين**، محمد عبد الفتاح عليان، ص166 وما بعدها.

الشيرازي المتمهدي والمتأله الإيراني المولود سنة 1813م الذي ادعى أنه الباب تطبيقاً لقول الرسول ﷺ المأثور (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها) حيث جعل نفسه باباً لإيصال الناس إلى المهدي المستور المنتظر (محمد بن الحسن العسكري) وكانت فكرة وجود شخص معين يلعب دور الباب الموصل إلى الإمام الغائب معروفة لدى الشيعة الاثني عشر ولها تاريخ طويل في تراثهم، لذلك كان ادعاؤه مقبولاً لديهم فآمنوا به ولم يطل به الأمر حتى ادعى أنه المهدي نفسه وأن جسم المهدي اللطيف قد حلَّ في جسمه المادي وأنه ظهر الآن ليمحو الظلم ويؤسس دولة المهدي المذكورة في الأخبار. وكان إعلان دعوته في ليلة الخميس 23 مارس/ آذار عام 1844م ويصادف 5 جمادى الأول عام 1260هـ وقد اعتبر هذا اليوم عند البابية عيداً أسموه (عيد البعث) وكان هذا اليوم يصادف مرور ألف عام على ظهور الإمام المهدي عليه السلام وكان قد شاع بين الشيعة في إيران أن الإمام المهدي سيظهر بعد مرور ألف عام فاستغلّ الشيرازي هذه النبوءة وأعلن أنه الإمام نفسه.

وفي هذه الفترة ادعى الباب بأن الله أعطاه حقّ التشريع وتبديل أحكام الإسلام القديمة إذا صادفت صعوبة في تطبيقها في العصور اللاحقة، ثم اشتط في الدعوة ونسخ القرآن الكريم ووضع قرآناً لأصحابه أسماه (البيان).

وقد قرأته فوجدته مليئاً بالأغلاط النحوية رغم أنه سماه (البيان العربي) وعَلَّل سبب وجود تلك الأغلاط في كتابه بقوله: (إن الله خفَّفَ عنّا قواعد النحو فأباح لنا اللَّحنَ).

وفي الكتاب أبواب تناقض ما جاء به القرآن الكريم تُمكِّننا قراءتها الوقوف على مجريات مجتمع (دولة المهدي) حيث آخى بين

كافة أنواع البشر وأجناسهم وساوى بين الرجل والمرأة في الميراث ورفع عنها الحجاب فأسفرت البابيّات وكانت أولاهن داعيته الشهيرة المعروفة بـ(قرة العين) وقد مرَّ ذكرها[1].

ثم نادى بعالمية الأديان وجعل الصوم تسعة عشر يوماً والصلاة خفّفها للمؤمنين به فجعلها ركعتين. والقبلة في أي اتجاه تشاء عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾[2] وما إلى ذلك من أمور أثارت عليه جماهير الشيعة في إيران، فألقي القبض عليه بعد اتهامه بتدبير مؤامرة لقتل الشاه وحوكم وأعدم بالرصاص وقيل شنقاً في 27 شعبان سنة 1265هـ = 1849م.

ما بعد الباب:

غير أن حركته لم تمت بموته فظهر (البهاء) بعد مقتله مباشرة مكملاً لمسيرته. والبهاءُ هذا هو (ميرزا حسين علي)[3]. أعلن نَفسه بلقب البهاء وأن (الباب) هو بداية لظهوره وعلى هذا اعتبر نفسه بأنه (مظهر الله الأكمل وجماله البهيّ الأبهى وأن الرسل والأنبياء الذين سبقوه والباب معهم أتوا ليبشروا بمجيئه. وهو الإله لا إله إلّا هو ولا قيامة ولا آخرة ولا دين إلّا دينه).

ولم يصف الجوّ لميرزا حسين علي فقد نازعه في الألوهية أخوه

---

(1) راجع: الفصل العاشر (استير ستانهوب) في هامش الفصل.

(2) سورة البقرة، الآية 115.

(3) (الميرزا) لقب تشريف يُعطى للشخص المنتسب إلى الإمام علي عن طريق أمه. وإذا كان أبوه علوياً أعطي لقب (سَيّد) حسب تقاليد الشيعة. أما السنَّة فيكرمون السيد بلقب (شريف).

(ميرزا يحيى) الذي كان الباب لَقَّبهُ قبل موته بلقب (صبح أزل) وأوصى أن يكون خليفته. فدبّ الخلاف بين الأخوين وزادت حدّته. وأخذ كل واحدٍ منه يظهر بالقول بأن الوحي هبط عليه. واتهم البهاء أخاه صبح أزل بأنه سرق كتاب الوحي وأخفاه. وهكذا انشطرت البابية بين الاثنين، كلٌّ منهما يدّعي وصلاً بليلى . . وليلى لا تقرّ لهما بذاكا.

ويبدو أن (ليلى) التي خبَّلت قيساً كانت حاضرة في شخصية (قرّة العين) المذكورة حيث خبَّلت هذه الداعية الجميلة جماعة من البابيين انتصروا لها وسمَّوا أنفسهم بـ(القُرَّتية) وكثر أتباعها وأنصارها بالتدريج وانتشرت آراؤها وآثارها بسرعة.

وقد أصبح لهذه الفرق اليوم مؤسسات ومعاهد في الشرق والغرب[1].

نقضُ وجود المهدي

(بين أحمد الكاتب والمتمهدي ضياء عبد الزهرة):

وإذا كان الإسلام قد واجه نقضاً من قبل أولئك المتمهدين المرتدّين وغيرهم، فإن المهدي الحقيقي الذي هو الإمام المعصوم الثاني عشر لدى الشيعة الإمامية محمد بن الحسن العسكري قد تعرّض للنقض كذلك. وتمثّل هذا النقض بإنكار وجوده أصلاً حسبما ادعى

---

(1) المصادر: **البابيون والبهائيون**، السيد عبد الرزاق الحسني؛ **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، ج2، د. علي الوردي؛ **خفايا الطائفة البهائية**، د. أحمد محمد عوف؛ **الروحانية في أرض النبلاء**، ريتشارد فولتز؛ **الشيخية**، السيد محمد حسن آل الطالقاني؛ **هكذا قتلوا قرّة العين**، د. علي الوردي.

ذلك الباحث الكربلائي المعاصر (أحمد الكاتب) عن طريق أدلة عقلية ونقلية صحّت عنده وذلك في كتابه الذي أثار ضجة بين المسلمين وعنوانه (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه)[1] ولكن الرجل لم يدّعِ المهدوية وإنما أنكر المهدي فقط.

أما من أنكره إطلاقاً وادعى المهدوية فهو شاب ظهر سنة (2007م). اسمه الكامل ضياء كاظم عبد الزهرة الكَرعاوي وعرف بين أصحابه بأبي قمر اليماني، فقد أنكر هذا وجود المهدي المنتظر صاحب الزمان ودعا الثورة على الاحتلال الأمريكي للعراق وعلى السلطة الحاكمة الموالية للأمريكان.

والشاب هذا من مواليد مدينة الديوانية سنة 1967م قال بأنه هو المهدي المنتظر أرسله الله ليحرّر العراق من الاحتلال الأجنبي، وكانت جيوش الأمم المتحدة بقيادة أمريكا قد احتلت العراق سنة (2003م) وادعى كذلك بأنه سيخلّص العراق من الحكومة المؤقتة الموالية لأمريكا ومن رجال الدين المزيفين حسب قوله.

بدأ ضياء دعوته بشكل سرّي في مدينة الثورة شرقي بغداد عام 1996م وكان شعب العراق في ذلك الوقت يرزح تحت حكم الدكتاتور صدام حسين مما أوجد له جَوّاً ملائماً ليلتفّ حوله الناس تخلّصاً من حكم الطاغية. وكان أول المؤمنين به شخص يكنى بـ(أبي المهيمن) واجتمع لهما خلق لا يستهان بعددهم وهم من مقلّدي (الصدر الثاني)[2] وقرّرا إعلان (الصيحة) بالظهور في (9 إبريل/ نيسان 2003م)

---

(1) صدرت أول طبعة للكتاب في لندن عن دار الشورى سنة 1997. وطبع في بيروت ثانية سنة 1998 عن دار الجديد.

(2) الصدر الثاني هو المرجع الشيعي الثوري محمد صادق الصدر. حثّ أتباعه على =

وأمر بعدم قتال الشرطة العراقية في محافظة العمارة مما يدل على أنه كان يروم مقاتلة المحتلين وليس قتل العراقيين[1].

وقد بدا أنه كان يهدف إلى تأسيس مدينة على غرار مدينة (المختارة) التي أسسها في البصرة المتمهدي علي بن محمد الورزنيني مدعي النسب إلى الإمام علي بن الحسين وهو صاحب ثورة الزنج المقتول سنة (270هـ) على يد الخليفة الموفق. ومن هذه المدينة ينطلق لتحرير العراق وربما العالم بأسره، لذلك اشترى عدداً كبيراً من المزارع الواسعة في منطقة (الزرگة) (الزرقاء) في الطريق بين النجف وكربلاء.

وقد جاء في التقرير الحكومي أن ضياء كاظم اشترى هذه المزارع (بريالات آل سعود وكرمهم الحاتمي مع كل من يخدم مصالحهم، وكان يسعى إلى تطبيق الرواية القائلة إن الإمام المهدي يظهر في العاشر من محرم وستكون معركة يقتل فيها العلماء وهي من الدلائل المؤكدة لظهور المهدي الحقيقي)[2].

= الثورة ضد صدام ولبس الكفن وتقلّد السيف إشارة لما سيفعله صاحب الزمان عندما يظهر ولكنه اغتيل على يد مخابرات صدام يوم الجمعة رابع ذي القعدة الموافق في التاسع من فبراير/ شباط سنة 1999م.

(1) عن تقرير موسوعة (بيضيبيديا) الشبكية وهو تقرير يمثل رأي السلطة حيث جاء فيه بأنه دجال عميل لآل سعود). وكل معلوماتنا عن هذا الرجل مستقاة من الصحف المحلية ومن التقارير الشبكية، وهي تتضارب في المعلومات، وليست لدينا دراسة موضوعية عنه لحدّ الآن لأن الحكومة المؤقتة بعد أن قضت عليه وأسرت بعض أصحابه تكتمت على حقيقة أمره ولا تزال الحقيقة عنه خافية عدا ما حاولنا استقصاء أخباره سماعاً من الأفواه.

(2) تعمل الحكومة العراقية والقوى المساندة لها بربط أي حركة معادية للحكومة بقوى أجنبية والسعودية هي الأقرب في توجيه الاتهام دون أن يكون هناك أي دليل. [الناشر].

وبالفعل في فجر 29 يناير / كانون الثاني ظهر المتمهدي مع (200 ـ 300 مسلح) في مدينة النجف. واستناداً إلى مصادر حكومية عراقية فإن المتمهدي ضياء كان يخطط لمحاصرة النجف والاستيلاء عليها واغتيال رموز دينية شيعية من بينها المرجع الشيعي الأعلى آية الله السيد علي السيستاني. وأضاف المصدر أن الخطط كانت تستهدف تفجير مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقتل الحُجاج الشيعة في آخر يوم من احتفاليات عاشوراء.

ويستشف من هذا التقرير شدة تحامل السلطة عليه حيث اتهمته بالعمالة لآل سَعود وتطبيق مذهبهم الوهابي الذي ينصّ على تهديم المراقد المقدسة وقتل أئمة الشيعة وإبادة عمومهم.

إلا أن الوقائع التي ظهرت أخيراً عكست تلك الأقوال وأذهبت حجّيتها إذ كيف للداعية أن يجمع تلك الجماهير على تهديم ضريح رمز الشيعة الإمام علي وجميعهم يتفانون في تكريمه واحترامه. هذا من جانب ومن جانب آخر فإن كل الذين انضموا إليه كانوا من الشيعة المنتسبين إلى المرجع الديني الثائر المرحوم محمد صادق الصدر الملقّب بالصدر الثاني وهو والد رجل الدين الشاب السيد مقتدى الصدر.

وكان الصدر الثاني ينافر المرجع السيستاني ويطلق على مرجعيته اسم (المرجعية الصامتة) بمعنى أنها خانعة وطيعة أمام النظام الصدامي ولم تُفتِ بالثورة عليه، بينما أطلق على مرجعيته هو اسم (المرجعية الناطقة) لكونه تجرأ وأفتى بالثورة على نظام صدام الظالم فاغتاله صدام واعتبر المرجع شهيداً.

وعلى هذا الأساس فإن الحملة العسكرية على المتمهدي ضياء وقتله مع جماعته كان سببها صراع المرجعيات الدينية.

النهاية البشعة لضياء عبد الزهرة:

وعلى أية حالٍ فإن صوت السلطة كان هو المُلَعلع في إعطاء أخبار تلك المعركة غير المتكافئة وكذلك وكلاء المرجعيات وبقية الأحزاب الدينية المناهضة والعلمانية وغيرهم ، فكل هؤلاء وجَّهوا أسلحتهم الدعائية نحوه ونحو جماعته مبررين ذلك بإنقاذ الوطن من الدّعي العميل. فجردت السلطة أسلحتها المتمثلة بالدبابات والمدافع والمصفحات، وقد اشترك سلاح الجو الأمريكي في المعركة باتجاه (المدينة) التي كانت غاصّة بعوائل أتباع المتمهدي من نساء وأطفال وشيوخ، فأبيدت الجماعة عن آخرها تقريباً بنسائها وأطفالها وشيوخها، وقد قتل المتمهدي نفسه فيها وظهرت صورة جثته في التلفزيون مع صور مؤلمة لأطفال صغار يبحثون عن أمهاتهم بين الجثث. وقد صوّر تلك المناظر أحد مراسلي وكالة الأسوشيتد برس وهو الوحيد من المراسلين الذين سمح لهم بالدخول إلى (مدينة المهدي الموعودة) وقال المراسل إنهم لم يكونوا مسلحين.

يقول محرّر مقالة (المهدي المنتظر) في شبكة (بيضيبيديا):

(وقد أسف الأمريكان - ولو كذباً - في بياناتهم الرسمية على سقوط ضحايا مدنية أو أطفال أو نساء أو شيوخ، أما الحكومة العراقية وممثلوها ومحافظ النجف وحاكموها والمرجعيات الحكيمة فلم يبدُ منها ولو إشارة على هذه المذابح. إن تصرفات قادة الأحزاب الإسلامية - يقول المحرّر الذي لم يذكر اسمه - أثبتت أنهم مستعدون مثل (عيدي أمين) بناء عروشهم من جماجم ضحاياهم.

ثقافة المتمهدي ضياء:

وربّ سائل يسأل: كيف استطاع ضياء الگرعاوي أن يحشد

تلك الأعداد الغفيرة من الناس في مدينته؟ وكيف استطاع إقناعهم وفيهم كثير من المثقفين والأساتذة والأطباء فآمنوا به إيماناً أعمى ونقلوا عوائلهم إلى المدينة وهم يعلمون الخطر الذي سيواجهونه؟ ثم كيف كان يجري ترتيب الحياة في المدينة؟

يمكننا أن نجيب بأن الرجل لم يكن شخصاً عادياً بل كان يمتلك ثقافة تاريخية واسعة وكان خطيباً بارعاً ومناظراً قويّ الحجّة استطاع أن يخلب ألباب الناس وخاصة المثقفين بصحة مقولاته، ويعتقدون اعتقاداً جازماً بأنه هو المهدي المنصوص عليه في الأحاديث النبوية المأثورة، وأنه سينتصر في المعركة. حدثنا بذلك من ذهب إليه واستمع إلى محاضراته.

وكانت محاضراته تطبع في كراريس وتوزع على الناس مجاناً. ومن أهم مطبوعاته كتاب كبير يحتوي على أكثر من أربع مئة صفحة عنوانه (قاضي السماء) يعني بذلك نفسه حيث أشاع بأن لقبه هو (قاضي السماء) وقد أثبت فيه بطلان عقيدة الشيعة الاثني عشرية بوجود المهدي المعروف عندهم باسم (محمد بن الحسن العسكري). أما الأحاديث عن الرسول ﷺ حول ظهور المهدي المنتظر فلا تؤكد على أنه محمد بن الحسن العسكري وإنما تؤكد على ظهوره هو، حيث إن الإمام الحسن العسكري عليه السلام الإمام الحادي عشر للشيعة الإمامية لم يخلف ولداً. اسمعه يقول:

(إن الأحاديث المستفيضة للرسول الأعظم ﷺ وأئمة البيت عليهم السلام تتنافى تماماً في تأويلها الظاهر والباطن مع أطروحة وجود ولد مزعوم للإمام الحسن العسكري عليه السلام ثم يهاجم معتنقي هذه الفرقة الضالة ـ حسب قوله ـ وهم فقهاء الحوزة الدينية في النجف (الذين طمعوا في

الوجاهة الاجتماعية بين المجتمع الشيعي)، وبقيت العقيدة المهدوية عرجاء يكتنفها الغموض في المجتمع الشيعي، وما كان لأحد التطاول على الفقهاء من أهل الضلالة في محاورة أو مناقشة هذا الأمر السماوي خوفاً من ردود الأفعال الحوزوية باتجاههم، فاستوجب علينا طرح هذا الكتاب بين أيدي المسلمين ليكون بياناً وإظهاراً للحقيقة الإلهية الكبرى التي طمسها أشرار هذه الأمة[1].

ثم يعلن بشجاعة فريدة هذا الإعلان دون خشية مما سيؤول إليه مصيره فيقول:

(لذا أعلن لكم أنا قائم آل محمد في هذا الكتاب وأظهر لكم عن شخصيتي الحقيقية الموصوفة بلسان رسول الله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام من صفات جسمانية وتكوينية وعلامات ثبوتية وعلوم علوية إفاضية واكتسابية وصورة للسنّخية[2] لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وشهادة مبنية على أسس علمية وأدلة ثبوتية ومعرفة حقيقية لأصحابنا أعزّ الله مقامهم الثلاث مئة وبضعة عشر فاكتمل العدد واكتملت العدّة والحمد لله)[3].

ويظهر لنا تأكيده على زعمه بأنه (قاضي السماء المنتظر) من خلال اتصال جرى بينه وبين ضابط شرطة طوارئ النجف بواسطة

---

(1) كتابه: **قاضي السماء**، المقدمة، ص1، دون مكان الطبع وبدون تاريخ، توزيع الكتاب: مجّاني للخاصة

(2) السِّنخيّةُ : بكسر السين مشتقة من السِّنخ ومعناه الأصل من كل شيء . والسِّنْخُ والأصلُ واحد. وسَنَخَ في العلم سنوخاً : وسنخ فيه علا (**لسان العرب / سنخ**) ويبدو أنه يريد أن يقول أن أصله يعود إلى الإمام علي عليه السلام.

(3) **قاضي السماء**، المصدر السابق، ص2 وما بعدها

(الموبايل) وهو آخر اتصال له أثناء المعركة حيث سأله الضابط عن اسمه فقال:

ضياء: ـ أنا المهدي المنتظر.

الضابط: ـ دگوم بيه (لفظة فاحشة) انته رسول آل سعود.

ضياء: ـ أنا قاضي السماء.

الضابط: ـ تعال مُصّه (لفظة فاحشة).

ضياء: ـ أنا صادق وما عندي اتصال بالسعودية.

الضابط: ـ راح تشوف بعد تشريح جثتك.

وانقطعت المكالمة..[1].

الحياة اليومية في مدينة أحلام عبد الزهرة:

نعود إلى الإجابة عن السؤال الثاني الذي توقعنا أن يطرحه القارئ وهو: كيف كانت الحياة تسير في مدينة الأحلام التي أسسها المتمهدي ضياء الگرعاوي في (الزرگة)؟

نقول: ليست لدينا وثائق معتمدة تشرح كيفية ذلك. وكلُّ ما نستطيع ذكره هو ما سمعناه من أفواه الرواة الذين زعموا أنه اشترى في أواخر حكم صدام أراض صحراوية زراعية خارج النجف كانت الحكومة قد وزعتها على من يبغي استثمارها في تربية الحيوانات وزراعة المحاصيل النباتية باستخدام المياه الجوفية المستخرجة بطريقة حفر الآبار. وهذه المزارع عادة تُسيَّج بحفر خندق عميق يحيطها فتصبح كإقطاعيات القرون الوسطى وخاصة إذا ما بنيت داخلها البيوت للفلاحين وزرائب للحيوانات وزرعت بالأشجار الصحراوية.

---

(1) نقلاً عن تقرير شبكي في، **beidipedia.Wikia.com** بعنوان: المهدي المنتظر.

وكل هذه الأشياء كانت متوفرة في المزارع التي اشتراها (الموعود) ولكنه أضاف إليها ما يهيئها لصدٍّ هجوم متوقع فعمق خنادقها وبنى فيها مخازن للغلال والطعام وأبنية لسكنى العائلات وملأ هذه المخازن بالمواد الغذائية التي كان يحصل عليها من تبرعات الأتباع وهي كثيرة.

وكانت العوائل التي هاجرت إلى هذه المستعمرة تجد فيها وسائل الراحة متوفرةً من كهرباء تكاد لا تنقطع تنتجها المولدات إلى مطابخ وغير ذلك.

وكان ثمة مطبخ كبير يطبخ فيه الطعام للرجال العزاب وكانت حصص الطعام توزع عليهم بالتساوي مجاناً. وهكذا سارت الحياة في المدينة. إلا أن الغلط الذي وقع فيه بطلنا هو أنه لم يجعل في ذهنه حساباً للطائرات الأمريكية التي هاجمته من الجو فقضت عليه مع عدد كبير من أصحابه وهكذا انتهى أمر هذا المتمهدي في العلن إلا أنه في السِّر لم يتنه حيث إن البقية الباقية من أصحابه يعتقدون أنه حيٌّ وأنه رفع إلى السماء وأنه لم يقتل والمقتول شخص يشبهه وسوف يعود مرّةً أخرى ليعيد الثورة ويخلص الناس من الظلم[1]. وهكذا تستمر ظهورات المتمهدين ولن تنقطع حتى يزول الظلم ولن يزول.

الحياة اليومية في دولة المتمهدي السوداني:

وفي الواقع إننا لن نستطيع أن نقف على مسيرة الحياة اليومية التي كانت تجري في دولة المتمهدي ضياء وذلك لكونها وئدت وهي في المهد، ولكننا نستطيع أن نتلمسها في دولة مهدوية أخرى غير بعيدة

---

(1) عن مقال بعنوان (مراحل نمو حركة مدعي المهدوية) منشور في إحدى الشبكات الفضائية (**البابلي 2**) (October 21st 2003).

العهد هي دولة المتمهدي السوداني محمد أحمد بن عبد الله التي أعلن تأسيسها في السودان في أغسطس/ آب سنة 1881م وكان أول ما فعله أن رفع المذاهب الأربعة التي كانت تحكم السودان وتفرّد بمذهب اجتهادي خاص فرضه على أتباعه مدّعياً أنه هو الواسطة العظمى بين الشعب وبين النبي في تبليغ الأحكام الإسلامية، بمعنى أنه اتخذ موقفاً شبيهاً بموقف الباب علي محمد الشيرازي المتمهدي الإيراني المذكور سابقاً مع فارق هو أن المتمهدي السوداني جعل نفسه (باباً) للوصول إلى أحكام النبي محمد بن عبد الله بينما المتمهدي الإيراني جعل نفسه (باباً) للوصول إلى تعاليم المهدي محمد بن الحسن العسكري.

ثم إنه اختار مجموعة آيات من القرآن الكريم والحديث الشريف تُتلى في كلّ يوم بعد صلاة الصبح وصلاة العصر وسهَّل طرق الوضوء وعلَّم الزهد في الدنيا والجهاد في الآخرة وأبطل الرتب والألقاب الرسمية وغير الرسمية وساوى بين الغنيّ والفقير ووحّد اللباس ففرض على أصحابه لباساً واحداً يدل على تزهدهم وهو الجُبَّة المرقّعة، ويذكرنا توحيد اللباس هذا بما فعله (ماو تسي تونغ) بهذا الخصوص في جميع أنحاء الصين فتساوى به الحاكم والمحكوم والفلاح والرئيس.

ثم أمر أهل البادية بحلق شعر الرأس ولبس العمامة بعد أن كانوا يرخون شعورهم ويدهنونها بالشحم فتمتلئ بالوسخ والقمّل وهو أحسن شيء صنعه. وحرّم التدخين وشرب الخمّرة وفرض على المخالف الجلد بالسياط وعلى السارق أن تقطع يده ورجله من خلاف. وحرّم الاحتفال بالأعراس احتفالاً يدعو إلى النفقة. وخَفّض مهر الزواج فجعله عشرة ريالات وبدلتين للبكر وخمسة ريالات وبدلتين للثيّب، وعاقب من يخالف ذلك بمصادرة أمواله لبيت المال. وأبدل

ولائم الأعِراس بطعامٍ من التمر واللبن لتسهل بذلك وسائل الزيجة على الفقراء.

ثم إنه أعاد قصاص الرجم للزاني والزانية. وكان إذا غاب زوج المرأة ولم يعد خبره بعد سبعة شهور يسمح لها بالزواج. ثم منع الحج إلى الحرمين بحجّة أن الجهاد بإخراج المحتل المصري والإنكليزي من السودان أشد لزوماً من الحج. وضرب نقوداً من الفضّة والذهب في أم درمان عاصمته.

وكان يبثُّ تعاليمه ووصاياه في مناشير ينسخها النسّاخ ويطبعونها بمطبعة الحَجَر التي كانت بالخرطوم ويوزعها على الأنصار، وأمر قضاته باتخاذها أساساً للأحكام وقال لهم أن احكموا بالمناشير فإذا عرضت لكم مسائل لم ترد فيها فاحكموا بالكتاب والسنّة.

وكان إذا أنكر عليه أحدٌ مهديته يقاضيه إما بالقتل أو بقطع اليد والرجل من خلاف.

أما حياته الخاصة فقد كان محبّاً للنساء وقد مات عن مئة وخمسين منهن جعلهن كلهنّ في منزله الكبير بأم درمان، ولم يسمح لهن بالزواج بعد موته حيث جعلهن أمهات المسلمين وتدعى كبراهن بأم المؤمنين تماماً كما فعل النبي ﷺ مع زوجاته.

وكان يحلق شعر رأسه ويحسنُ لحيته، ولباسه الجبّة المرقعة وهي اللباس التقليدي للدراويش الصوفية كما لبس العمامة وجعل لها ذؤابة.

وكان مع شدّته وبأسه سهل الخلق لين الجانب، وكيف لا وقد زعم أنه من آل البيت وأن أباه عبد الله من ولد الإمام الحسن بن علي أماً وأباً. وأمُّه من جهة أمها حسنية وأبوها عباسيّ وكان اسم أمّهِ (آمنة).

ولقد كان هَمّه أن يقوم بأمر الله فيفتح مصر وجميع الأمصار ويخضع الملوك والسلاطين ولا يموت إلا بعد فتح الحرمين وبيت المقدس ثم ينـزل بالكوفة فيموت فيها - ولعله كان يبغي أن يدفن بقرب قبر جده علي - ولكن لم يكن ذلك أمر الله فإن محمد أحمد لم يكد يفرح بالنصر الذي ناله في السودان حتى داهمته منيته في 22 يونيو/ حزيران سنة 1885م على أثر حمى شديدة فدفن في الغرفة التي مات فيها. وكان عمره عند وفاته (45) سنة. قال المؤرخ (بطرس البستاني) ومهما يكن من أصل محمد أحمد هذا فليس فيه ما ينطبق على ما جاء في كتب القوم من علامات المهدي ولكن الأقدار ساعدته وصدّقه أهل السودان خاصتهم وعامتهم[1].

المتمهدي السوداني محمد
أحمد بن عبد الله

(1) كتابه: دائرة المعارف، 10، 184 وما بعدها.

الفصل الرابع عشر

من مخاريق المفتين المضحكة

لم يَخلُ تاريخ الفتاوى على مرّ العصور من مخاريق مضحكة نقص عليك منها ما ورد عن العصر العباسي عندما تصدّر كثير من الجاهلين بأحكام الدين مجالس الإفتاء أُسوةً بكبار المفتين في ذلك العصر. فيروي الجاحظ عن أحدهم وهو أبو عبد الله الكرخي هذه الحكاية الطريفة قال:

«تَحوّل أبو عبد الله الكرخي اللحّياني إلى الحربية ـ محلة كبيرة مشهورة ببغداد ـ فادّعى أنه فقيه وظنّ أن ذلك يجوز له لمكان لحيته وسمته[1] فألقى على باب داره بارية ـ وهي حصير من القصب ـ فجلس وجَلَس إليه بعض الجيران. فأتاه رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله، رَجُلٌ أدخل

(1) يقصد بـ(سمته) هيأته وكانوا في ذلك العَصر يحكّون جباههم بالثوم لتصبح كالثفنة علامة على كثرة السجود، وفي عصرنا يكوون جباههم بحديد محمى. وفي العامية العراقية تعبير يقول (چاوي گصته) أي كاوي جبينه كناية عمّن يتظاهر بالتقوى وهو محتال، وتشير الكناية إلى المرائي الذي يكوي جبهته ليتغضَّن موضع الكي فيظهر كأنه من أثر السجود ويُسمّى أثر السجود في الجبين (سجادة).

إصبعه في أنفه فخرج عليه دمٌ أيَّ شيء يصنع؟ قال: يحتجم. قال له: قعدتَ طبيباً أو قعدت فقيهاً؟[1].

ونلاحظ من خلال هذا الخبر أن المفتين أمثال هذا الأخرق كانوا يفتحون مكاتب لهم على قارعة الطريق ويُجلسون بقربهم أشخاصاً من الجيران أو ربما من أقاربهم لإضفاء الأهمية والهيبة على مجلسهم بكثرة روّاده.

وينجرُّ الحديث بنا إلى أبي يوسف القاضي، بينما كان يسير بظهر الكوفة وذلك بعد أن كتَبَ كتابه (الحِيَل)[2] إذ عرض له شخصٌ فقال له: يا أبا يوسف، قد أحسنت في كتاب (الحِيَل) وقد بقيت عليك مسائل في الفِطن فإن أذنتَ لي سألتك عنها. قال: قد أذنتُ لك فَسَل. قال: أخبرني عن (الحِرِ)[3] كافرٌ هو أوِ مؤمن؟ قال أبو يوسف: دينُ الحِرِ دينُ المرأة ودينُ صاحبة الحِرِ. إن كانت كافرة فهو كافر وإن كانت مؤمنة فهو مؤمن. قال: ما صنعتَ شيئاً. قال: فقل أنت إذن إذ لم ترضَ بقولي. قال: الحِرُ كافر. قال: وكيف علمت ذلك؟ قال: لأن المرأة إذا ركعت أو سجدت استدبر الحِرُ القبلة واستقبلت هي القبلة، ولو كان دينه دين المرأة لصنع كما تصنع، هذه واحدة يا أبا يوسف. قال: صدقت. قال: أفتأذن لي في أخرى؟ قال: نعم . . فسأله مسألة تركناها لشناعتها[4].

---

(1) **الحيوان**، ج3، ص8، تحقيق عبد السلام هارون.

(2) هي الحِيَل الشرعية التي يُتخلَّص بها من بعض الأحكام أو من بعض المحظورات. ومن نماذج ذلك ما كتبه ابن دُريد في كتابه (الملاحن) المطبوع بمصر سنة 1347. (**الحيوان**، ج3، ص11، الهامش).

(3) الحِرِ: قُبُل المرأة.

(4) للتفصيل ينظر: كتاب **الحيوان**، ج3، ص12.

وأخبرنا الجاحظ بأن الإفتاء صار جائزاً في ذلك العصر لكل مَن تُطرح عليه مسألةٌ في الفقه. فباستطاعته أن يجيب حسب اجتهاده ورأيه. وجاء بأنموذجٍ عن أحد هؤلاء وهو عريف الكناسين (نوفل) الذي كان يقف للإفتاء وعنده كل كناسٍ بالكرخ فأتاه ذات يوم مستفتٍ موسوس وسأله عن مسألة فأجاب إجابةً لم تعجب زميله الكناس (مُسبّح) فغضب مسبح وأفتى برأيٍ آخر اقتنع به الموسوس[1] ولم نورده هنا لبشاعته.

فصار مألوفاً في ذلك العصر أن يفتي الإنسان لنفسه برأيه الخاص ويسير على تلك الفتوى. فمن ذلك ما تحدث به (ابن أبي ليلى) القاضي لبني أمية ثم لبني العباس قال:

(إني لأساير رجلاً من وجهاء أهل الشام إذ مرّ بحمال معه رمان، فتناول رمانةً منه فجعلها في كمه، فعجبت من ذلك، ثم رجعتُ إلى نفسي وكذبت بصري حتى مرّ بسائل فقير فأخرجها فناوله إياها. فقلت له: رأيتك قد فعلت عجباً. قال: وما هو؟ قلت: رأيتك أخذت رمانة من حمال وأعطيتها سائلاً؟ قال: وإنك ممن يقول هذا القول؟ أما علمت أني أخذتها وكان أخذها سيئةً وأعطيتها فكانت عشر حسنات؟ فقال ابن أبي ليلى: أما علمت أنك أخذتها فكانت سيئةً وأعطيتها فلم تقبل منك؟)[2]

وكان الطواغيت يفتون لأنفسهم فيحللون دماء الناس بفتواهم. ومن تلك الفتاوى ما حدثنا بها (أبّان بن عثمان) قال: قال الحجاج بن يوسف: والله لَطاعتي أوجبُ من طاعة الله لأن الله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُوا

(1) **الحيوان**، ج3، ص13.

(2) المصدر السابق، ج3، ص17.

ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[1] فجعل فيها مثنوية[2] وقال: ﴿وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾[3] ولم يجعل فيها مثنوية! ولو قلت لرجل: ادخل من هذا الباب فلم يدخل لحل لي دمه[4].

---

(1) سورة التغابن، الآية 16.

(2) المثنوية: الاستثناء في قوله تعالى: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

(3) سورة التغابن، الآية 16.

(4) **الحيوان**، ج3، ص66.

الفصل الخامس عشر

من سخريات الصراعات الطائفية

إيضاح مهم:

شهدت عصور الصراع الطائفي بين الفرق الإسلامية منافرات طويلة من الجدل الحاد الذي قام على أساس المحاججة المعتمدة على آيات من القرآن الكريم وعلى الأحاديث النبوية.

وقد امتلأت آلاف الكتب بها وكانت كل فرقة تجاهد أن تلوي الأدلة لصالحها لتفوز بمكسب (الفرقة الناجية) الذي يخوّلها الدخول إلى الجنة مع كافة منتسبيها بينما تُلقى بقية الفرق الأخرى إلى النار وبئس القرار مع كافة منتسبيها.

ولسنا نحن بصدد ذلك في موضوعنا هذا وإنما سنقوم بالتحري بين زوايا تلك المنافرات على المنابزات والمهاترات بشكل خاص، تلك التي قامت على استخدام الخرافات الشعبية وعلى الأباطيل والترهات، وعلى الابتكارات الخيالية للمتعصبين من جميع المذاهب وهي منابزات ومهاترات مضحكة نعرضُ بعضاً منها للتفكّه ولكي يُعْلَمَ مدى ما وصل إليه الصراع الطائفي من خِفةِ حُجةٍ وسُخف منطق.

وإننا نرجو بعرضنا هذه الأباطيل على العَلَن أن نكونَ كمَنْ يعرضُ المرضَ الاجتماعي على المسرح بشكل كوميدي للوصول إلى نبذه وتركه عن طريق الهزء والسخرية منه.

وقد أشار إلى هذه الطريقة الفيلسوف اليوناني أرسطو (- 384 322 ق.م) في بحثه عن المسرحية وأسماها (التطهير Cantharisis) وهو دواء وطب من حيث إنه يُطَهِّر الجسم من العواطف السيئة بإثارتها على المسرح فيتخلص الجسم منها وما يتصل بها من انفعالات ضارة في تطرّفها، كما يُتخلَّصُ من خطر انفجارها في الحياة العامة بمشاهدتها على المسرح بطريقة لا ألم فيها ولا ضرر[1].

وقد استخدم هذه الطريقة المفكر المعتزلي المشهور أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (163 ـ 255هـ = 775 ـ 868م) في أسلوب كتاباته الساخرة فهو عندما يشعر بأنَّ قارئه مَلَّ الجِّدَّ وسئم الاحتجاجات الصحيحة والمروّجة فإنه يقوم بتنشيطه ببعض البطالات وبذكر العِلَلَ الظريفة والاحتجاجات الغريبة[2].

(فَربَّ شِعرٍ يبلغ لفرطِ غباوة صاحبه من السرور والضحك والاستظراف ما لا يبلُغه حَشدُ أَحَرِّ النوادر وأجمع المعاني).

ثم يقول: وأنا أستظرف أمرين استظرافاً شديداً أحدهما استماع حديث الأعراب، والأمر الآخر احتجاج متنازعين في الكلام وهما لا يُحسنان منه شيئاً، فإنهما يثيران من غريب الطّيِّب ما يضحك كل ثكلان وإن تَشَدَّد وكل غضبان وإن أَحرقه لهيبُ الغضب.

---

(1) **المدخل إلى النقد الأدبي**، محمد غنيمي هلال، ص324.

(2) كتابه: **الحيوان**، ج3، ص5، تحقيق عبد السلام هارون.

ثم يقول: (وسنذكر من هذا الشكل عللاً ونورد عليك من أحاديث الأغبياء حُججاً، فإن كنتَ ممن يستعمل الملالة وتَعْجَلُ إليه السَّآمة كان هذا الباب تنشيطاً لقلبك وجِماماً لقوّتك)[1]. ثم يأخذ بإيراد كثيراً من هذه الحجج السخيفة نأخذ منها هذه الحجج كمثلٍ لأسلوبه الساخر النقدي.

حجّةُ الشيخ الإباضيِّ في كراهية الشيعة:

ذكر الجاحظ في كتابه المذكور[2]:

«قال الشيخ الإباضيّ - وقد ذهب عني اسمه وكنيتُهُ وهو خَتَنُ أبي بكر بن بريرة - وجرى يوماً شيءٌ من ذكر التشيع والشيعة فأنكر ذلك واشتد غضبه عليهم، فتوهمتُ أن ذلك إنّما اعتراه للإباضية التي فيه وقلت: وما عليَّ إن سألته؟ فإنه يقال إن السائل لا يَعْدُمُه أن يسمع في الجواب حُجَّةً أو حيلةً أو ملحةً فقلت: وما أنكرت من التشيّع ومن ذكر الشيعة؟ فقال: أنكرتُ منه مكان الشين التي في أول الكلمة، لأني لم أجد الشين في أول كلمةٍ قط إلا وهي مسخوطة مثل: شؤم وشَر وشيطان وشغَب وشجَّ وشمال وشجن وشَيب وشين وشراسة وشنَج وشك وشوكة وشبث وشِرك وشارب وشطير وشطور وشِعرة وشآفي وشتم وشتيم وشيطرج (نبتٌ ينبت في القبور الخراب) وشنعة وشناعة وشآمة وشوصة وشرّ وشجوب وشجَّة وشطون وشاطن وشَنٌّ وشلل وشيص وشاطر وشاطرة وشاحب.

---

(1) **الحيوان**، ج3، ص8.

(2) المصدر السابق نفسه، ج3، ص22.

قلت له: ما سمعتُ متكلماً قطُ يقول هذا ولا يبلغُهُ ولا يقوم لهؤلاء القوم قائمة بعد هذا».

وأرجو أن يلاحظ القارئ ما في جواب الجاحظ من تهكّم وسخريةٍ من منطق الشيخ الإباضي هذا.

والإباضية أتباع عبد الله بن إباض فرقة من الخوارج (وتُقرأ أحياناً بفتح الهمزة) في شمال أفريقيا. والخوارج انفصلوا عن الإمام علي عندما قَبِل التحكيم مع معاوية. وقد دخل مذهب الخوارج إلى المغرب في النصف الأول من القرن الهجري الثاني في صورة الإباضية والصُّفرية وانتشر بسرعة بين البربر حتى أصبح المذهب القومي لهم، اتخذوه ذريعة لنضالهم مع أهل السنة من العرب[1].

غلاة الشيعة في بغضهم الشيخين:

ولم يَفُت الجاحظَ أن يذكر شيئاً من سخافات غلاة الشيعة عن الشيخين أبي بكر وعمر وذلك طلباً لتسخيف أفكارهم بين قرائه. وقد قصد الغلاة ولم يقصد أئمة الشيعة لكونهم يجلّون الشيخين وأشهرهم الإمام علي بن أبي طالب والإمام جعفر الصادق.

فنضرب مثلاً لأولئك الغالية بشيخ منهم هو الشيخ (خُشنَام بن هند)[2]. قال: وإذا أراد خُشنام أن يسمّي أبا بكر وعمر قال: الجبتَ

(1) ينظر: **دائرة المعارف الإسلامية المترجمة**، ترجمة: محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، ص12.

(2) يبدو من اسمه أنه فارسي ومعناه مركب من خُش أو خوش ومعناها: حَسَنٌ أو جيد، ونام أي اسم فيصبح معناه: الاسم الحسن.

والطاغوت ومنكر ونكير وأفٌ وتُـفٌ وكُسير وعوير، وكان لا يزال يدخل دارَهُ حمارَ كساح (كنّاس) ويضربه مئة عصا على أن أبا بكر في جوفه[1].

أقول: وفي هذه المناسبة أذكر شيئاً شبيهاً بهذا من سخافات بعض عامتنا من الجهلة وليس الكل حيث يعتقد هؤلاء أن الله خلق السِّلاء في سعف النخيل بعد أن قام عمر يسرق التمر، وأن عائشة وفاطمة الزهراء اشتهتا لحماً بلا عظم فخلق الله لعائشة الذباب وخلق لفاطمة الكمأة. وقد أخبرني بعضهم أن تلميذاً شيعياً في المدرسة الابتدائية اسمه (حسنين) فكانت معلمته السُّنية تناديه (قندرتين) والقندرة بالعامية العراقية الحذاء. وكان جيراننا من السنة يسمون الباذنجان (. . . علي) فكنّا نسمع ذلك ونضحك من تلك التفاهات.

عمر وعلي في ألفية ابن مالك:

وقد اعتاد الطلاب في المدارس العليا وكذلك في المدارس الدينية أن يقرؤوا كتاب ألفية ابن مالك في النحو بشرح ابن عقيل. وهو كتاب تعليمي مشهور في أقطار العالم العربي جمع فيه ابن مالك قواعد النحو في ألف بيت فقط.

جاء في المقدمة:

قــال محمـــدٌ هـــو ابــنُ مـالـك
أحمَـــدُ ربــيّ اللّـــه خيـــرَ مالـك

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية المترجمة، ص30.

صليــاً علــى النبـــيّ المصطفى

وآلــــه المنتـجـبيــــن الظـــرفا

وأستعيــــــن اللّه فـــي ألفيـــــة

قواعـــــد النحـــــو بهـــا محويَّة

ثم يأخذ بتفصيل علم النحو إلى أبواب وعندما يصل إلى باب كان وأخواتها يقول:

ترفــع كـــان المبتـــدا اسماً والخَبَــر

تنصبـــه ككـــــان ســــيداً عمـــــر

أي: كان عُمر سيداً فيكون عُمر اسماً لكان مرفوعاً وسيداً خبراً لكان منصوباً.

هكذا قرأناها في كلياتنا وفي دار المعلمين العالية، ولكن بعض طلبة العلم في المدارس الدينية في النجف يرفضون أن يقرؤوا البيت كما جاء في المصدر ويغيرونه ويقرأونه هكذا:

ترفـــعُ كـــان المبتـــدا اسماً واليَلــي

تنصبــــه ككـــــان ســــيداً علــي

والـ(يلي) معناه الذي يلي فأدخلوا الألف واللام على الفعل المضارع وهو من شاذ اللغة وكلّ ذلك تخلصاً من أن يكون عمر سيداً.

وقد حدّثت أحَدَ أصدقائي المصريين بهذا الخبر فأخذ يضحك كثيراً وينقله لأصحابه كنادرة من النوادر وملحة من الملح. أقول: إن الشيعة والسنّة في العراق توأمان رضعا من ثدي واحد هو الإسلام لا يستطيع أحدهما أن يعيش بدون الآخر ولكنهما شقيان كثيرا الخصام.

الفصل السادس عشر

أطرف فتاوى العصر الحديث

تحريمُ أكلِ السنبوسة:

نَعم.. حُرّمت بفتوى أصدرها أحد المراجع الدينية لطائفةٍ من الطوائف الإسلامية. ألا يضحكك هذا؟

لا شك أنك أكلت السنبوسة وَوَلعت بمذاقها اللذيذ ورائحتها المضمّخة بعطر الأبزار والأفاويه فكيف ستتركها؟

أجزمُ أنك سوف لن تفعل ولكن على إصرارك سوف يجري عليك عِقاب كسر المحرّمات والاستخفاف بنواهي الدين ولست تدري ماذا يكون عقابك فالمفتي هو الذي سيقرّر.

ولأجل أن نفهم الدواعي التي قادت هذا المفتي إلى تحريم السنبوسة، لا بدّ لنا من النظر إلى تلك المادة نظرة دقيقة فلعلّ شكلها أو تكوينها أو تاريخها فيه علة تقتضي التحريم. وربما يتأتّى لنا من خلال ذلك وجهة نظر تجعلنا نتلمس للمفتي العذر في التحريم. والمفتي ـ بحسب قواعد السنّة ـ معذور حتى إن أخطأ حيث له حسنة واحدة يُبَرَّرُ له بواسطتها حتى قطع الرقاب.

أ. وصف السنبوسة:

السنبوسة: رُقاقة من العجين تُحشى بحشوةٍ من اللحم والبصل والتوابل أو من الجوز والسكر ثم تطوى طيّة خاصة بحيث تكون على شكل مثلث متساوي الأضلاع ثم تقلى بالدهن وتؤكل هكذا إذا كان حشوها لحماً أو يصبُّ عليها القطر (الشيرة) فتؤكل كحلوى. إذا كان حشوها الجوز أو اللوز أو الفستق.

وهذه الأكلة عريقة في التاريخ ولا يعلم البطل الذي اخترعها ولكن المعروف عن الطباخين الهنود أنهم برعوا فيها، ولعلهم هم الذين قاموا بنشرها في العالم كما نشر الإيطاليون أكلة السباگيتي.

جاء ذكرها بلفظة (سنبوسجة) في الأغاني في خبر أبي الحارث جُميَّن أو (جميز): أنه دعا أضيافاً للأكل على مائدته التي فيها «سنبوسجة مغموسة في الخلّ»[1] قال شارح كتاب الأغاني: السنبوسج - ورد بالقاف والكاف بدل الجيم أي سنبوسق وسنبوسك - ما يُحشى بقطع اللحم والجوز والأفاويه ونحوه من الرقاق المعجون بالسمن والشيرج (عن أقرب الموارد). وفي (محيط المحيط): السنبوسق والمشهور السنبوسك بالكاف، فطائر (مثلثة) تُعمل من رقاق العجين المعجون بالسمن أو الشيرج، يُحشى بقطع اللحم والجوز. فارسيتها: سنبوسة والواحدة سنبوسقة.

والسنبوسكة أيضاً حلوى إذا وضع فيها السُّكَر والجوز والأفاويه. والسنبوسقي: الحلواني[2].

---

(1) انظر: كتاب **الأغاني**، ج1، ص83.

(2) انظر: **تكملة المعاجم العربية**، دوزي، مادة سنبوسج.

ب. دواعي التحريم:

تلك هي السنبوسة وذلك هو تاريخها فهل وجدت فيه ما يدعو إلى تحريمها؟ بالطبع لا ولن تجد . . غير أن رئيس لجنة الإفتاء في (حركة الشباب المجاهدين في الصومال) وهي حركة قاعدية تكفيرية تحرم وتحلِّل للمسلمين أمور دنياهم، نظر إليها من جانب آخر . . من جانب أضلاعها التي تشبه أضلاع المثلث، فقال: إنها تحوي أضلاعاً تشبه أضلاع الثالوث المسيحي (أي الأب والابن وروح القدس) فإذا أكلها المسلم فكأنما أكل الثالوث وحلَّ الثالوث في بطنه وهذا لا يجوز، ولهذا السبب فقط حرم المفتي أكلها وكان ذلك في أغسطس/ آب (سنة 2011م).

وقد تناولت القنوات المرئية الفتوى ونشرتها الصحف وذكرتها قناة (العربية) مع فتاوى أخرى سنأتي عليها لاحقاً كأغرب الفتاوى التي صدرت عن المفتين المسلمين (سنة 2011م).

ج. عقيدة تحطيم الثالوث في الخرافات المسيحية:

وفي الواقع إن تحطيم الثالوث المسيحي بهذا الشكل الذي يدعو إلى السخرية موجود في التقاليد الخرافية لدى المسيحيين أنفسهم فقد أُثِر عنهم تحريمهم المرور تحت السلم (Don't pass under the ledder) ومعنى هذا أن السُّلَّم إذا وجدته مركوناً على الجدار فلا يجوز لك المرور من تحته وسبب ذلك أن السُّلَّم إذا ركن بتلك الصورة فإنه يشكّل مع الجدار والأرض مثلثاً يرمز إلى الثالوث المقدّس، فمرورك من تحته يعني أنك خرقت الثالوث أو حطمته.

ويبدو لنا أن مفتي الجماعة على علم بهذا التحريم وأراد أن يبتدع شيئاً يفاجئ به المسلمين فأداره على رقاقة السنبوسة المسكينة. وكان المفروض بالمسيحيين أنفسهم أن يحرّموا أكل السنبوسة وليس مفتي الإسلام والمسلمين هذا.

تحليل ذبح الجنّي المتحوّل وأكل لحمه:

هذه الفتوى صدرت عن مُفتٍ إسلاميٍّ مصري هو الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي داعيةٌ إسلامي وإمام وخطيب بمسجد الزغبي، وإمام وخطيب بمسجد (مطلق الخزام) في الكويت بالفحيحيل، حاصل على الإجازة العلمية باللغة العربية من جامعة الأزهر. ولد بقرية (دي مش لت) مركز (دنكرس) بمحافظة الدقهلية بمصر يوم 4 يوليو/ تموز 1964م وله عشرات الكتب ومئات المقالات في شتى العلوم.

قال الشيخ مفسراً الفتوى: إن للجنّ قدرة على التشكل في الأشياء والمخلوقات، وهو في صورته الطبيعية لا يراه الإنسان وعندما يتشكّل في صورة إنسان أو حيوان هنا يمكن رؤيته، فإن قوانين الصورة التي تشكّل عليها تحكمه، فإذا ظهر جنٌّ في صورة بقرة مثلاً يمكن ذبحها وفي هذه الحالة يجوز أكلها.

واستشهد في ذلك بما ذكره الشيخ الشعراوي في كتابه (السحر والحَسَد) عن أن الجنّ له القدرة على التشكل لكنه يحكمه قانون ما تَشكلَ به. فإذا تشكل كإنسان أمكنك أن تمسكه وتقتله ولا يستطيع الإفلات من هذا القانون، ولذا فإنّ شياطين الجنّ إذا تشكّلت في شكل ما يكون للحظات حتى لا يستطيع الإنسان أن يمسك بها، إذ الثابت في

سُنّة النبيّ تشكّل الشياطين في صور عديدة. وبالتالي فإنّني لن أتراجع عن فتواي لأنني استندت فيها على السُّنة والأحاديث النبوية[1].

أقول: إن التشكل المزعوم فيه مطاعن، إذ كيف يجوّز لك القانون الجنائي إمساك إنسان وقتله بحجّة أنه كان جنّياً؟ ثم كيف تفرق بين الإنسان الطبيعي والإنسان المنقلب؟ كما إنك كيف تثبت أن البقرة التي ذبحتها كانت جنّيةً فأجاز لك الشرع أكلها، ثم كيف تقنع أهلها بذلك؟

في رأيي إن تحليلك هذا شبيه بتحليل أهل (وَبار) اليمنيين أكل النسانيس في الغابات بحجة أنها كانت كائنات بشرية من بقايا قبيلة (عاد) التي بغت في الأرض فقلبها الله نسانيس.

على أية حال إنني أرجو لك الفوز في الانتخابات التي تزمع الدخول فيها عسى أن تجعل لحوم الجنّ متوفرةً في الأسواق لكي يشبع فقراء الله من اللحم الذي افتقدوه.

وفي الواقع إن أمثال هذه الفتاوى كثيرة بين (علماء) المسلمين كهذه الفتوى التي تقول: لو تزوج الآدميُّ جنيةً جاز له وطؤها وإن تَطوَّرت في صورة كلبةٍ مثلاً[2]. كما جوّز القموني للآدمي نكاح الجنية[3].

وفي عقيدة يؤمن بها المصريون ـ وربما غيرهم من الشعوب ـ إن الجنيَّ يتحوّل إلى حذاء قديم إذا ضرب بسلاح أو رصاصة تصيب منه

---

(1) عن صحيفة **الأمّة**، يوليو/ تموز، 18، 2011.

(2) **حواشي الشرواني**، الشرواني والعبادي، ج1، ص137.

(3) **فتح الوهاب**، زكريا الأنصاري، ج2، ص70.

مقتلاً، فلذلك يكثر استعمال النعل القديم بتعليقه في رقاب الحيوانات وعلى واجهات الدور والدكاكين لتنفير المخلوقات الأخرى فلا تصيب الحيوان أو أهل الدار بالضرر[1].

فهل هذا هو الإسلام أيها الشيخ الكريم؟

أسطورة التحوّل:

إذن، فإن مفاد نظرية الشيخ الزغبي هو الإيمان بعقيدة التشكل أو بالأحرى (التحوّل) من هيئة إلى أخرى حيث يفقد المتحوِّل خصائصه التي عليها في الهيئة الأولى ويتخذ خصائص الهيئة الثانية، فإذا تحوّل الجنيّ إلى بقرة حَلَّ أكلها أو إلى إنسان حَلَّ قتله.

والعقيدة هذه يطلق عليها مصطلح (Transformation) أي الانمساخ أو التحوّل وهي تغيير صارخ في المظهر والصفة، وهذه العقيدة قديمة تولدَّت في أذهان البشر بعامّةٍ وهي على ضربين، إما أن تكون اختيارية كأن يختار المتحوّل الصورة التي يريدها لسببٍ خاصٍّ به أو تكون عقابية يوقعها الله على فردٍ وحده أو قومٍ بأسرهم عقاباً لهم على آثام ارتكبوها كما في حالة نسانيس (وَبار).

ومن الشائع في عمليات المسخ أن يحوّل المعاقَبُ إلى حجر كما حدث لإساف ونائلة اللذين ارتكبا الفاحشة في الكعبة فمسخا حجرين حسب زعم الإخباريين.

ويعتبر ارتكاب الفاحشة مع المحارم داعيةً لتحوّل المرتكبين إلى حجر، ففي المعتقدات الشعبية الشائعة عندنا عن تمثال (أسد بابل)

---

(1) قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، أحمد أمين، ص42.

المشهور، أن الأسد كان رجلاً ارتكب الفاحشة مع أخته التي تُرى في التمثال مضطجعة تحته فمسخا حجرين في الحال أثناء الممارسة.

ومن المألوف كذلك في عملية المسخ أن يتحوّل المعاقب في غالب الأحوال إلى حَيَوان كريه المنظر. وكانت القرود من أولى الحيوانات التي جُعلت في حكم المُسوخ وكذلك الخنازير والكلاب والحيّات والضباب والجرّي والأرانب والقنافذ وغيرها. وهذه قائمة ببعض الممسوخات وأسباب مسخها:

1 ـ الفيل كان ملكاً زنّاءً

2 ـ الذئب كان أعرابياً ديّوثاً أي يقوّد على أهله.

3 ـ الأرنب كانت امرأةً تخون زوجها ولا تغتسل من حيضها.

4 ـ الوطواط كان يسرق تمور الناس، ويبدو أنه من الصنف المسمى وطواط الفواكه وليس وطواط الحشرات.

5 ـ القردة والخنازير قوم من بني إسرائيل اعتدوا يوم السبت. (أي خرقوا محرمات السبت المنصوص عليها في التوراة).

6 ـ الجِرِّيث (الجرّي) والضبّ: فرقة من بني إسرائيل لم يؤمنوا حيث نزلت المائدة على عيسى ابن مريم فتاهوا فوقعت فرقة في البحر وفرقة في البرّ فالذين تاهوا في البر صاروا ضِباباً، والذين وقعوا في البحر صاروا جرّيثاً.

7 ـ الفأرة كانت امرأة فاسقة لذلك تسمى الفأرة (الفويسقة).

8 ـ الدبُّ كان بائع لحم فسرق في الميزان.

9 ـ العقرب كان نَمّاماً.

10 ـ الطاووس كان رجلاً جميلاً فكابر امرأة رجلٍ مؤمن فأحبَّته فوقع بها ثم راسلته فمسخهما الله طاووسين ذكراً وأنثى لذا لا يؤكل لحمه ولا بيضه.

11 ـ القنفذ: كان خياطاً يسرق من قماش الناس. وقيل إنه خاط للإمام علي ثوباً فسرق من القماش، فدعا الإمام الله أن يمسخه بشكل مِغْرز إبره وهي المخدّة التي يغرز فيها الخياط إبرَهُ فمسخه الله قنفذاً[1].

ونظراً لكون هذه الحيوانات ذوات أصول بشرية فإنها لا تؤكل غالباً، وقيل إن بعض الأعراب كان لا يأكل الضبَّ لأنه كان يظنه شخصاً إسرائيلياً. وذكر الجاحظ أن أعرابياً أكله فقيل له: ربما أكلت شيخاً من شيوخ بني إسرائيل. وقد أورد الجاحظ هذه الرواية تسخيفاً لنظرية المسوخ أو التحوّل أو التشكّل وهي النظرية التي يؤمن بها الشيخ الزغبي ويدعو إليها.

فتاوى تخصّ المرأة:

ولما لم يجد المفتون الأصوليون بُـدّاً من مسايرة العصر والخضوع لمتطلباته وأهمها وجوب مشاركة المرأة الرجل في العمل معه في الدوائر والمؤسسات والمعامل، فقد راحوا يرسمون لها أفضل الطرق التي يجب عليها اتباعها مع زملائها الذكور بالشكل الذي لا يخالف السنّة (الصحيحة) ولا يثير غضب حراس الشريعة. فإذا كان العمل يقتضي وجود النساء مع الرجال في غرفة واحدة فلكي تسقط

(1) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، ج3، ص466؛ **وفروع الكافي** للكليني، ج6، ص246 وما بعدها.

الحرمة بينهم وجب أن يتراضع الموظفون من الموظفات حتى يصبحن كأمهات للموظفين من الرضاعة وبالتالي يحلّ الاختلاط بينهم.

وقد أعلن هذه الفتوى شيخٌ أزهري وهي معروفة في المصطلح الفقهي برضاعة الكبير[1]: أن يرضع الموظف من الموظفة حتى تصير أمه من الرضاعة وبالتالي يحل الاختلاط بها في العمل[2].

أقول: ولكن المشكلة تبقى في الاتفاق على عدد الرضعات، وقد اختلف فقهاء المسلمين في عددها فقال بعضهم، إنها رضعة واحدة تكفي، فجاء عن ابن عباس قال: المرة الواحدة تحرم ورَفَعها بعضهم إلى خمس وآخرون إلى عشر، ولكن الطامة الكبرى تحدث إذا كان الموظفون من الشيعة حيث إن الإرضاع المحرم عندهم يوم وليلة أو خمس عشرة رضعة متواليات من امرأة واحدة من لبن فحل واحد لم يفصل بينهما مرضعة امرأة أخرى[3].

وعلى هذا يتوجب على الموظف أن يذهب إلى بيتها ويستأذن من (فحلها) طبعاً ويبقى عندهم يوماً وليلة يرضع أو يتَرَدّد على بيتها

(1) كانت عائشة رضي الله عنها تفتي بها. تأمر بنات أخواتها وبنات أخوتها يرضعن من أحبت عائشة أن يراها ويدخل عليها وإن كان كبيراً. وأبت ذلك أم سلمة وسائر أزواج رسول الله ﷺ أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة أحد من الناس حتى يرضع في المهد وقلن: والله ما ندري لعلها رخصة من النبي ﷺ لعائشة دون الناس. رواه النسائي وأبو داود وغيرهما. وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام» (**الشرح الكبير**، ابن قدامة، ج9، ص198).

(2) **موقع أهل القرآن**، يحيى فوزي النشاشيبي، ج1، 4، ص187.

(3) **جامع المدارك**، السيد الخوانساري، ج4، ص187.

خمس عشرة مرة وفي كل مّرة تنيمه على فخذها فيقوم بالمصّ. فتصور أيها القارئ إلى أي درجة من السخف وصلنا؟

ثم استمرت فتاوى الاضطهاد تنصب على رأس المرأة فلم يكتفوا بحبسها داخل (الحجاب الأفغاني) بل حرّموا عليها الجلوس على الكراسي أو الأريكة المخصصة للاضطجاع وخوفوها بأنها لو فعلت ذلك فإن الجنيّ سيدخل في حِرِها.

وقد جهرت بهذه الفتوى (العلامة الداعية المباركة أم أنس) والفتوى موجودة على موقعها الالكتروني ووردت تحت عنوان (حرمة الكراسي وما أشبهها من مقاعد وأرائك) وقد جاء في نص الفتوى:

تنبيه.. إن من أخطر المفاسد التي بليت بها أمتنا العظيمة ما يسمى بالكرسي وما يشبهه من الكَنَبات وخلافها مما هو شرٌّ عظيم يخرج من الملة.

وتورد الداعية أم أنس أسباباً لهذا التحريم فتقول وبألفاظها هي:

أولاً: إن السلف الصالح وأوائل هذه الأمة وهم خير خلق الله كانوا يجلسون على الأرض ولم يستخدموا الكراسي ولم يجلسوا عليها ولو فيها خير لفعله حبيبي وقرّةُ عيني وروح فؤداي المصطفى عليه الصلاة والسلام ومن تبعه بإحسان.

ثانياً: إن هذه الكراسي وما شابهها صناعة غربيّة وفي الإعجاب بها واستخدامها ما يوحي بالإعجاب بصانعها وهم الغرب، وهذا والعياذ بالله يهدم ركناً عظيماً من الإسلام وهو الولاء والبراء نسأل الله العافية . . الأمر جَلَل يا أمة الإسلام فكيف نرضى بالغرب ونعجب بهم وهم العدو.

ثالثاً: ما يجلبه الكرسي أو الأريكة من راحة تجعل الجالس

يسترخي وتجعل المرأة تفتح رجليها وفي هذا مدعاة للفتنة والتبرّج، فالمرأة بهذا العمل تمكّن نفسها من الرجل لينكحها وقد يكون الرجل من الجنّ أو الإنس، والغالب أن الجنَّ ينكحون النساء وهن على الكراسي وكم من مرّة شعرت المرأة بالهيجان والشبق الجنسي المحرّم وذلك بعد جلوسها على الكرسي.

أقول: كيف غاب عن المفتية العلّامة المباركة (أم أنس) قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾[1] وقوله: ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[2] وقوله: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾[3] وقوله: ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[4].

ثم كيف غاب عنها قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ﴾[6].

فهل كانت تلك الكراسي والأرائك من صنع الغربيين الكفّار؟ ثم قالت أشياء أخرى قذرة تأبى أخلاقنا أن نذكرها. ونكتفي بهذا القدر من نماذج الفتاوى المضحكة.. قارئين السلام على شعوب يقودها مثل هؤلاء الطواغيت الذين يتكلمون باسم الإسلام ويعتبرون من العلماء الأعلام.

---

(1) سورة الكهف، الآية 31.
(2) سورة يس، الآية 56.
(3) سورة الإنسان، الآية 13.
(4) سورة المطففين، الآية 23.
(5) سورة البقرة، الآية 255.
(6) سورة ص، الآية 34.

الفصل السابع عشر

دخول النباتات في الصراعات الطائفية

مأساة (الملوخية) بين الفاطميين والمصريين:

الملوخيةُ أشهر الأطعمة المصرية على صعيد العموم والخصوص مادتها الأساسية أوراق نبتةٍ برية أو بستانية يطلق عليها الاسم نفسه من فصيلة الزيزفونيات من أصل هندي لها ثمار مستطيلة وأزهار صغيرة صفراء تشبه أزهار (الرجلة) التي سنتكلم عنها بعد قليل.

اسمها في الانكليزية (Jew's mallow) واسمها العلمي (Corchorus Olitorius) وهي من الخضار المفضلة في الشرق الأوسط. وخاصة في مصر ومرقتها ثخينة جيلاتينية[1].

أقول: وفي العراق تنمو هذه النبتة بشكل برّي وكثيراً ما اعتدتُ مشاهدتها ناميّةً في الحدائق والبساتين في كربلاء ويعتبرها الفلاحون دغلاً ولا يأبه أحدٌ بها.

وعندما انتشرت العمالة المصرية في العراق في سبعينيات القرن

---

(1) ينظر: **المنجد:** مادة (ملخ) و **Ency. Britanica.** Jews Mallow Item.

الماضي جلب الفلاحون المصريون بذورها وزرعوها في البساتين التي يعملون فيها وأنزلوها إلى الأسواق وبيعت لعامة المصريين الساكنين في العراق. ولما غادر المصريون العراق لم نعد نراها لأن العراقيين لم يأخذوا تقليدها منهم. ولعل السبب يعود إلى المادة الصمغية في مرقتها بكثرة. وقد ذقتها مجففةً في بيت أحد أصدقائي المصريين في الكويت عندما كنت مدرّساً فيها فلم أستسغها وكانت مطبوخة بلحم الأرنب المحرّم عند الشيعة.

يقول الشيخ يوسف الشربيني الذي أورد تفصيلات عنها وعن كيفية طبخها:

«وينفق الشخص المصري على طعام الملوخية في ابتداء أمرها جملة من الدراهم ويدعوا أعز أصحابه يأكل منها. وتكون عندهم ألذّ طعام في الأعياد ويتحدّثون بهذه النعمة ويقولون: عزمني فلان وأطعمني الليلة الملوخية الجديدة بركة السنة. وربما أكلوها بالخبز النظيف المقطّف المُقَمَّر المخبوز بالحبّة السوداء فيفتونه فيها حتى يتشرب بتلك الدسومات العظيمة. وتلقب بالخضيرة وتكنى بأم الأدهان وأم الأفراح وقد صنّف بعض العلماء في منافعها كتاباً جليلاً»[1].

وبعد هذا الوصف وإزاء هذا التعلق الروحي للمصريين بهذه النبتة هل يستطيع أحدٌ أن يحرمهم من أكلها؟ أو يحرم عليهم زرعها وبيعها في الأسواق؟ طبعاً لا يستطيع أحد أن يفعل ذلك وإلَّا رماه المصريون

(1) كتابه: هزُّ القحوف في شرح قصيد أبي شادوف، ص148، ط. المطبعة الأميرية ببولاق، سنة 1308هـ.

بالكفر أو الجنون. ولكن التاريخ يخبرنا أن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله قد فعل ذلك فقد أصدر أمراً بمنع طبخ الملوخية وزرعها وكان ذلك في المحرّم سنة 395هـ[1].

وقد كان السببُ في ذلك لِما أُشيع عنها بأنها كانت أحبَّ الأطعمة إلى معاوية بن أبي سفيان. ولمّا كان الخليفة فاطمياً فقد كره أن يأكل الناس في مملكته طعاماً يحبّه خصمه معاوية، لذلك أجبر الفلاحين على عدم زرعها وبيعها وطبخها فكان ذلك كارثة على المصريين الذين اتهموه بالجنون.

وبعد أن اختفى الحاكم بأمر الله بصورة غامضة عادت المياه إلى مجاريها وعادت الملوخية ملكةً على الأطعمة المصرية كلها.

حيرةُ (البقلة الحمقاء) بين عائشة وفاطمة الزهراء:

(البقلة الحمقاء) هذا هو اسم هذه النبتة المتعارف عليه عند العرب منذ العصر الجاهلي، سُمّيت بذلك لأنها تنبت بمَمَرّات الناس ومدارج الحوافر فتداس ولا تطول[2] ويرى (ابن سِيَده) أنها سُمّيت بذلك لأنها مُلعبة (لها لعاب) فشبهت بالأحمق الذي يسيل لعابه وقيل لأنها تنبت في مجرى السيول.

وهي تجود في كل أنواع الترب حتى المالحة وشحيحة الماء وتجود وتخضرُّ في الدِّمَن (وهو السرقين المتبلّد والبعر) وقد مثّل بها

---

(1) **البداية والنهاية**، ابن كثير، ج12، ص12، والهامش بقلم المحقق علي شيري.

(2) **معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس**، محمود مصطفى الدمياطي، مادة: بقلة الحمقاء.

رسول الله ﷺ المرأة الجميلة في المنبت السوء فقال: «إياكم وخضراء الدِّمن».

واختصر أهل الموصل اسمها فقالوا (حمگة) أي حمقاء وسماها أهالي (شفاثة) القريبة من كربلاء (حمگة) أيضاً ولا يعرف الكربلائيون هذا الاسم ويُسمّونها (لَوَيْنَة) بسكون اللام وفتح الواو وسكون الياء وفتح النون، لأنها تلين المعدة. ويسمونها كذلك (بَرْبين) من الفارسية (بَرْبَهَن) أي عريض الجناح. ويسميها النجفيون (بويرده) تصغير (بارده) لأنها تبرّد الجسم ولعلهم أخذوه عن مأثورة في الطب اليوناني تقول إنها تنفع في الترطيب والتبريد. وقد ذكر أن رسول الله ﷺ وجد حرارة فعضَّ عليها أو أكل منها فوجد لذلك راحة[1].

ويسميها اللبنانيون (بألة) أي (بقلة) والمصريون (رِجْلَة) وهو اسم عربي قديم جاء في قواميس اللغة في مادة (رَجَل) وذلك لكونها تنمو في ممرّ الأرجل ومدارج حوافر الخيل فتداس وجاء في المثل (أحمق من رجلة).

ولها أسماء أخرى في العربية مثل (الحَوك) وهو البقلة الحمقاء وتسمى (الفرفَح) كذلك. وهكذا تعدَّدت أسماؤها وهي واحدة تؤكل نيئة ومطبوخة وهي لذيذة في الطبخ كمرقة فتكون إداماً مع الأرز. وتكثر دائماً في الصيف ويبتردُ الناس الفقراء بأكلها في العراق صيفاً.

هذه النبتة الطيبة دخَلت في معترك الخصام الطائفي بين السنّة والشيعة، فقال قوم يبغضون عائشة: إن البقلة الحمقاء هي بقلة عائشة لأنها كانت تولع بها. قال الصاغاني: وهذا من خرافاتهم ـ يقصد الشيعة ـ

---

(1) **الدعوات**، القطب الراوندي، ص155.

لأن اسمها معروف منذ الجاهلية. وفي مقابل هذا فإن الأُمويين الذين يبغضون فاطمة قالوا إن بقلة الحمقاء هي بقلة فاطمة لأنها كانت تولع بها[1].

وهكذا ترى أن الصراع الطائفي السخيف دخل عالم النبات أيضاً، واستمر حتى هذا اليوم وقد دخل في الفتاوى الدينية فحرّم الفقهاء نباتات اقتصادية مهمة أشهرها الطماطة أو الطماطم أو البندورة كما سنفصل ذلك فيما يلي.

(1) **الدعوات**، القطب الراوندي، ص155.

الفصل الثامن عشر

الحرب الدينية على الطماطم

نعم.. على الطماطم وليس بالطماطم، فهناك فرق بين أن تكون الحرب باستخدام الطماطم كسلاح وبين أن تكون الحرب موجهة نحو الطماطم لتحريمها على الناس. كتحريم استخدام ورق (التبغ) أو (التنباك) كدخان عند بعض المذاهب الإسلامية كالمذهب الوهابي بسبب الضرر الذي يلحقه بالإنسان.

ولا شك أن القارئ سمع أو شاهد استخدام الطماطم كسلاح في التحارب السياسي حيث يرشق الزعيم بها من قبل خصومه ولكنها لا تصيب منه مَقتلاً لأنها سلاح خفيف لا يقتل ولا يجرح ولكنه يبهدل ويهين.

كما أن هناك حرباً بالطماطم نراها في بعض المهرجانات الخاصة بمواسم كثرتها إذ يتراشق الناس بها في الشوارع وهو تقليد شعبي يرمز إلى الخصب.

نعم . . إن القارئ يعرف هذا ولكنه قد لا يعرف أن ثَّمة حرباً قد أعلنت على الطماطم.. حرباً دينية الغاية منها تحريم أكلها بسبب ارتباطها بمحرمات شديدة تستوجب ذلك وسنوردها هنا لغرابتها وطرافتها وسخفها ذاكرين ضعف حجتهم فيها.

ارتباط الطماطم بالشيطان:

يذكر الباحث جورج طرابيشي في كتابه (من النهضة إلى الردّة)[1]: إن الحلبيين عندما وصلت الطماطم (البندورة) إلى بلدهم ولم يكونوا يعرفونها، نفروا منها ومن استهلاكها وزراعتها في بادئ الأمر بسبب لونها الأحمر غير المطابق لأن تكون من (الخضرة)، ولهذا السبب لقّبها الحلبيون: بـ(مؤخرة الشيطان)، وأصدر مفتي حلب فتوى بتحريم أكلها.

ويبدو أن الناس لم يأبهوا بعد ذلك بهذه الفتوى ولعلهم سَخروا منها وبخاصة من اسمها (مؤخرة الشيطان) وبصورة أوضح (إست الشيطان) فمن مِنَ الناس رأى الشيطان؟ ومن منهم استطاع كشف عورته فرآها تشبه الطماطم؟ ولو أنهم قالوا لكونها تشبه مؤخرة بعض القردة لكان ذلك أكثر انطباقاً على الواقع ويصبح التحريم عند ذلك مسألة تتعلق بالذوق. وقد سمعنا أن بعض البدو ينفرُ من أكل بيض الدجاج لاعتبارهم إياه (ذرقاً مُغَلّفاً). أو على حدّ تعبيرهم (الزِّگّ بالحِگ) ومعناه: العَذَرة داخل الوعاء. وكان (رؤبة بن العجّاج) الشاعر الرجّاز البدوي المشهور يتقذّر من أكل الدجاج ويفضل جرذان الصحراء (اليرابيع) عليها ويقول: إن الجرذان أنظف لأنها لا تأكل إلا الحبوب بينما الدجاج أقذر لأنه يأكل العَذَرة[2]. ويدخلنا المورد الأخير

(1) ص192، عن مقال للأستاذ محمد عبد اللطيف آل الشيخ، الجزيرة العربية، الأحد 9 يناير/ كانون الثاني 2011/ 00 : 45 : 2 GMT.

(2) رؤبة بن عبد الله العجّاج (145هـ = 762هـ) راجز من الفصحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية . أخذ عنه أعيان أهل اللغة مات في البادية وقد أسنّ ذكر أنه كان يأكل الفأر فعوتب في ذلك فقال: هي والله أنظف من دواجنكم ودجاجكم (**العين**، 226 والأعلام، 3، 34).

هذا في دائرة ذوق الإنسان. ويعلق الباحث المذكور على سبب ظهور تلك الفتوى هو محاربة المسلمين لكل شيءٍ جديد.

ارتباط الطماطم بالصليب:

وعلى أية حالٍ فقد مضى ذلك الزمان ونسي ارتباط الطماطم أو الطماطة أو البندورة أو القوطة بإست الشيطان، فأكلت نيئة ومقلية ومشوية ومطبوخة وصارت من أهم أطعمة الطبقة البروليتارية والبورجوازية والأرستقراطية في جميع أنحاء العالم..

ومع هذا الانتشار والرسوخ لم تسلم الطماطم من فتوى أخرى دينية تحرّم أكلها على المسلمين . . فتوى إسلامية المصدر تتهمها بأنها نصرانية ليس بسبب مصدرها الذي جاءت منه، وإنما بسبب خلقتها حيث خبّأت في باطنها رسم الصليب المسيحي.

نعم . . لا تعجب أيها القارئ فإن المصدر هو الذي يقول هذا. وقد جاء نصه هكذا:

«تحريم أكل الطماطم (البندورة) لأنها نصرانية تُسَبّح بحمد الصليب بدلاً من الله وتشهد أن الله ثالث ثلاثة والعياذ بالله».

أستحلفك بالله أن تنشرها لأن هنالك أختٌ من فلسطين رأت رسول الله في رؤيا وهو يبكي محذراً أمّتَهُ من أكلها. إن لم تنشرها فاعلم أن الشيطان قد منعك[1].

---

(1) الموضوع الأصلي: تحريم أكل الطماطم لأنها نصرانية، الكاتب: مُرهَف، المصدر: **موقع منتدى الحوار المتمدن**

www.al-7ewar.com/M/t5672O.

وقد أرفق بالنصّ صورة مقطع عرضي لثمرة طماطم وفيه ظهرت صورة الصليب واضحة. وربما تعمّدوا توضيحها فحددوا أضلاع الصليب بالتلاعب باللون فبدا منفصلاً عن غرف البذور التي تحيط به.

كيف دخل الصليب في الطماطم:

أقول: إن مثل هذه الصورة تتشكل اعتيادياً عند تنصيف كل ثمرة تستبطن البذور تنصيفاً عرضياً، وهي عبارة عن الجدران الفاصلة بين الغرف التي تختزن البذور وتكون على صور شتى حسب عدد الغرف. فإذا كانت الغرف أربعاً كوّن القطع صليباً وإذا كانت ثلاثاً صار القطع ذا ثلاثة أضلاع وإذا كانت خمساً أصبح القطع ذا خمسة أضلاع وهكذا يظهر لك ذلك عند تنصيفك ثمرة الخيار أو الكوسى أو البامية أو التفاح وما شابه.

ويبدو لنا أن المفتي العظيم كان ذات يوم يقوم بتقطيع الطماطم عرضياً من أجل الأكل فشاهد تلك الظاهرة فأراد أن يبتكر شيئاً ففجَّر تلك الفتوى لكي يعلي بها ذِكره.

وعلى الرغم من أن الفتوى جاءت بشكل إعلان تحذيري فإنها ذُكرت غفلاً عن اسم صاحبها، إلا أن الدلائل تشير إلى أنه أحد المتزمتين من السلفيين وذلك استناداً إلى ما صدر عن أعلامهم من فتاوى تشبه هذه الفتوى، حيث حرّم بعضهم وهو أحد الدعاة في

المهجر على المرأة تناول الموز والخيار والجزر لكي لا تستثار جنسياً ولكن أجاز لها أكل تلك الفواكه في حال الضرورة شريطة أن يقطعها للمرأة محرمها[1]. وقد ذكرنا سلفاً كيف حرّم أحد السلفيين المتشدّدين أكل السنبوسة لأنها تشكل أضلاعاً مثلثة ترمز إلى الثالوث المسيحي.

وعندما سيطرت القاعدة على منطقة ديالى في العراق بقيادة أبي مصعب الزرقاوي سنة (2005م) فرضوا على باعة الخضار أن لا يجمعوا بين الطماطم والخيار معاً في عرضهم لهما بحجة أن الطماطم أنثى والخيار ذكر الأمر الذي يثير الحساسية الجنسية لدى الناس. كما منعوا بيع (الثلج) بحجة أن النبيّ لم يستخدمه في تبريد الماء ولكنهم أجازوا لأنفسهم قتل الناس بالأسلحة الحديثة والمتفجرات التي لم يستعملها النبي.

النبي محمد لا يعرف الطماطم وكذلك الأنبياء كافّة:

نأتي الآن إلى تفسير الحلم الذي ادّعته الأخت الفلسطينية، ومن الواضح أن المفتي استند عليه في تحريم الطماطم فنراه ضغثاً من أضغاث الأحلام يُظهر فيه النبيّ محمداً ﷺ في صورة لا تليق بنبيّ حيث رأته يبكي محذراً أمته من أكل الطماطم لأنها نصرانية ! !

هل هذا هو النبي العظيم الذي أنار العقول الجاهلية من عبادة الأوثان يبكي على الطماطم التي تسبح بحمد الصليب بدلاً من الله؟ هل الطماطة تعقل حتى تقوم بالتسبيح بحمد الصليب؟ إنها يا سيدتي ثمرة مخلوقة، فإذا أراد خالقها بأن يجعل في داخلها صليب عيسى فلماذا يبكي النبي محمد كالأطفال؟

---

(1) موقع أهل القرآن، يحيى فوزي نشاشيبي في الأحد 1 إبريل/ نيسان 2012م.

يبدو لي أن الأخت وكذلك الأخ المفتي يجهلان أن محمداً وعيسى لم يشاهدا الطماطم في حياتهما وكذلك بقية الأنبياء ابتداءً من آدم. وحتى الموائد التي نزلت من السماء لم تكن فيها الطماطم. ولم يعرفها العجم ولا العرب ولا البربر ولا الأوروبيون إلا بعد القرن السادس عشر الميلادي. وكانت قبل ذلك تنمو في جبال الأنديز في أمريكا الجنوبية بصورة بريّة وزرعها شعب البيرو والأكوادور في حقولهم وقد جاء اسمها من اللفظة الأزتيكية (توماتل Tomatl) ثم زرعت في المكسيك.

ولما استعمر الإسبان المكسيك جلبوا بذورها معهم إلى أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي ثم انتشرت من هناك نحو الشرق في رحلة طويلة لا مجال لذكرها[1]. لذلك لا نجد للطماطم ذكراً في القواميس العربية ولا في الشعر العربي كما لم تذكرها كتب الأطعمة التي صنفت في العصور الإسلامية الماضية حيث كانوا يحمّرون أطعمتهم بالسّماق.

وعلى هذا أرى أن من الواجب على المفتي عندما يتصدر للإفتاء أن يكون واسع الاطلاع بأمور المادة التي يريد تحريمها أو تحليلها لا أن يرمي بالفتوى على عواهنها والسلام.

---

(1) Tomato Item. **Ency. Brita**، انظرها مفصلة في هذه الموسوعة.

الفصل التاسع عشر

التحليل الشرعي لانحراف النيكروفيليا

المحلّل:

لو كان الرجل الذي حَلّلَه مريضاً بهذا الانحراف لما لمناه على ذلك، ولكن من يدري فلعله كان مريضاً به وقد تستَّر بالمنصب الديني الذي أهَّلَهُ للإفتاء.

إنه الشيخ (عبد الباري الزمزمي) رئيس الدراسات والبحوث في فقه النوازل[1] وقد صرَّح لصحيفة الصباح:

---

(1) رجل دين مغربي من أبرز علماء المنهج الوسطي في المغرب العربي. رئيس الجمعية المغربية للدراسات والبحوث في (فقه النوازل) وهو عضو مؤسس في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. كما يشغل منصب عضو في مجلس النواب المغربي وهو النائب الوحيد المنتمي لحزب النهضة والفضيلة وهو من ألدّ أعداء العلمانيين والاشتراكيين في المغرب ورافض لفصل الدين عن الدولة.
حضر مؤتمر الوحدة الإسلامية الذي ترعاه الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وتعتبر فتاوى الزمزمي من أغرب الفتاوى التي شهدها المغرب حيث أحلَّ استعمال القضيب الذكري الصناعي والجزر في التخفيف الجنسي عن النساء وحسب أقواله إن هذا جائز شرعاً ومن جملة فتاواه هذه الفتوى الغريبة. (باختصار عن ويكيبيديا)

«إن جُلّ الانحرافات الجنسية بين الزوجين مباحة باستثناء الإتيان من الدُّبُر».

أقـول: ولست أدري لم حَـرّم هذا الانحراف وحلّل بقية الانحرافات؟ وقال:

«إن الدين الإسلامي يسمح بممارسة الجنس على الجثةِ بشرط إذا كان الطرفان يربطهما عقد القران قبل الموت»

وأضاف الزمزمي الذي كان يتحدث إلى (الصباح) في اتصال هاتفي: إنه لا حرج إذا أراد الرجل (الزوج) ممارسة الجنس مع جثة زوجته بعد ساعات من موتها، معتبراً أن الدين الإسلامي يسمح له بذلك مُبرراً موقفه بالقول إن الزوجة حلال لزوجها حتى بعد مماتها وأن الموت لا يفسخ العلاقة الزوجية باعتبار أنه جاء في القرآن أن الزوج والزوجة يمكن أن يكونا في الجنة معاً أي بعد الموت حسب تعبيره.

ونفى أن يكون الموت يعادل الطلاق حسبما يؤكده بعض علماء الدين الإسلاميين، وأن لا دليل سواء في القرآن أو في الأحاديث النبوية يؤكد ذلك معتبراً أن الزواج يبقى قائماً حتى بعد الموت.

وأكّد عبد الباري الزمزمي أن الدين الإسلامي أباح للزوج أن يفعل بزوجته ما يشاء وكيف شاء وقت ممارسة الجنس بشرط ألا يأتيها من الدبر، مؤكداً أن الزوجة أيضاً لها حرية اختيار أو رفض تلك الممارسات الانحرافية واعتبار أن رضا الطرفين شرط أساسي في العملية.

وأضاف الزمزمي أنه إذا أحبّ الرجل أن يشمَّ رائحة كريهة من

الزوجة مثلاً فلا عيب في ذلك ما دام أنها لا تمانع وأنه لن يأتيها من الدّبر مشدّداً على أن (كل الانحرافات مستحبّة في إطار العلاقة الزوجية).

اشتهاء رائحة الإفرازات الكريهة:

ويلاحظ القارئ أن الشيخ أضاف إلى شذوذ ممارسة الجنس مع جثة الزوجة شذوذاً آخر هو اشتهاء الرائحة الكريهة المنبعثة منها، كأن يشم رائحة صنان عرقها أو بولها أو دم حيضها أو غير ذلك مما لا يستحب أن نذكره. وقد ذكر الباحثون النفسيون في دراساتهم أن ثمة رجالاً تهيجهم رائحة البول من زوجاتهم فيأتونهن وفي حالة نظافة الزوجة تنطفئ عندهم الرغبة الجنسية.

إن هذا الشذوذ يطلق عليه علماء النفس اسم (الانحرافات الإفرازية) حيث تكون اللذة مرتبطة بالإفرازات الجسمية على اختلاف أنواعها[1].

ويعترف الشيخ الزمزمي بأن كل ما ذكره من ممارسات إنما هو من باب الانحرافات الجنسية ويؤكد بأن هذه الانحرافات مستحبّة في إطار العلاقة الزوجية، فأية علاقة زوجية هذه التي تقوم على استحباب القذارة والارتماس في الروائح الكريهة الصادرة من الزوجة سواء أكانت حَيّة أم جثة هامدة تنتن بعد دقائق من موتها؟

أين الزمزمي من الحديث النبوي المشهور: «حُبّب إليّ من دنياكم ثلاث، الطيبُ والنساء وجعلت قُرّةُ عيني الصلاة»[2] وأين هو

---

(1) الجنس والنفس في الحياة الإنسانية، د. علي كمال، ص213.

(2) سنن النسائي، الحديث 3878 ومسند أحمد، الحديث 11845 و11846.

من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[1].

لا شك أن الشيخ في فتاويه الغريبة هذه يمتح من رسيس العوالق البدائية المتأصّلة في طبيعة الإنسان القديم وهي عوالق لا تزال فاعلة في الإنسان الحديث المتطور، ومن جملة هذه العوالق شغفه بممارسة الجنس مع الجثث وهو ما يسمى في علم النفس (انحراف النيكروفيليا).

معنى النيكروفيليا:

الـ(Necrophilia) مصطلح لمرض انحرافي قديم من الأمراض الجنسية الشذوذية، وقد ترجمه الدكتور علي كمال إلى العربية باسم (الجثمانية) نسبة إلى الجثمان الذي هو جثة الميت وهي في الواقع ترجمة موفقة صحيحة مطابقة للمصطلح المذكور الذي جاء من اللغة اليونانية والذي يطلق عليه كذلك (Thanutophilia) وهو الانجذاب الجنسي نحو الجثث. وترجمت النيكروفيليا إلى الإنكليزية بـ(Dead Love) حبُّ الموتى. وفي قاموس ويبستر (الحب الجنسي نحو الجثث)[2].

يقول الدكتور علي كمال:

«في هذا الانحراف يميل الفرد إلى المواقعةِ الجنسية مع جسم الميّت ذكراً كان أم أنثى، وقد يدفع بهم انحرافهم إلى نبش القبور لتحقيق ذلك أو القيام بأعمال القتل لتحقيق الاتصال مع جثة المقتول. وهناك

---

(1) سورة المائدة، الآية 87.

(2) **Free Wikipedia Ency**. Necropilia item and **Webester Dic**.

ما يُبرِّرُ الاعتقاد أن بعض الناس الذين يعيشون بين المقابر يتصفون بهذا الانحراف. ومن الصعب تعليل أسباب هذا الانحراف غير أن إحدى النظريات التحليلية تردّه إلى التعلق الشديد وغير الطبيعي بين المنحرف وبين أحد والديه المتوفين وتكون الممارسة مع جثة الميت بمثابة تحقيق التوحّد معه.

ويرى آخرون في هذا الانحراف شكلاً من أشكال الفكر التسلطي الذي يطغى على فكر المنحرف ويدفعه قسراً إلى تحقيق ما يمليه الفكر[1].

أقول: ويظهر هذا الفكر التسلطي عند شيخنا في قوله: يباح للزوج أن يفعل بزوجته ما يشاء وكيف شاء وقت ممارسة الجنس. حتى بعد الموت يبقى متسلطاً عليها.

إحصائيات استبيانية:

وقد يسمى المرض أيضاً: الانجذاب الجنسي نحو الجثث. ويصنّف على أنه (خطلٌ جنسي) وهذا حسبما عرّفته الجمعية الأمريكية للطب النفسي.

وقد قام العالمان (روزمان وريسنك Rosman and Resnick) بإجراءٍ استبياني لـ(34) حالة من هذا النوع فكانت النتائج كالآتي:

68 ٪ الدافع: الرغبة في مجامعة الميت.

21 ٪ الدافع: حالة الحب الرومانسي.

15 ٪ الدافع: الخطل الجنسي (الانجذاب إلى الموتى).

---

(1) كتابه: **الجنس والنفس في الحياة الإنسانية**، ص219.

15 ٪ الشعور بالراحة والتغلب على العزلة.

11 ٪ الإعراب عن التسلط واحترام الذات.

وفي نهاية التقرير أكد الباحثان أن الدراسة يجب أن تكون انطلاقةً لبحوثٍ أخرى أكثر شمولية وعمقاً.

وفي دراسة قصيرة حديثة صدرت في إنكلترا نستطيع من خلالها أن نرى أن مجامعة الميت تأتي نتيجة الفشل في الحبّ الرومانسي مع الحيّ[1].

التاريخ والانتشار:

وقد أثبتت الدراسات أن ثَمَّة حالات من مجامعة الموتى سُجّلت في مدونات قديمة، وقد جاء فيها أن هذه الممارسة كانت موجودة في مصر القديمة. وقد أشار إلى ذلك المؤرخ اليوناني المشهور (هيرودوتس) في كتابه (التاريخ) وكان زار مصر بحدود سنة (400ق.م.) فذكر أنه شاهد جثة امرأةٍ مصرية جميلة تركت حتى تسوَّست لمدة ثلاثة أو أربعة أيام قبل أن تقدم للمحنطين ليقوموا بتحنيطها. كانوا طول هذه المدة يمارسون الجماع معها.

وفي بعض المجتمعات يسود الاعتقاد بأن جماع الفتاة الميتة غير المتزوجة سيجعلها ترقد بسلام وأنها ستشعر بالراحة عند جماعها[2].

أما في أوروبا فهناك ممارسات مماثلة موجودة في بعض

---

(1) **Wick. Ency**. Necrophilia Item

(2) .Ibid

مجتمعاتها وخصوصاً عندما تتوفى المرأة قبل الزفاف الرسمي حيث يتم ممارسة الجماع معها عند موتها ولا شك أن من يجامعها هو الزوج.

وفي (البيرو) وشعبها من أصول الهنود الحمر الذين لديهم اعتقادات بالسحر والشعوذة فتكون الممارسة بمثابة وسيلة للتواصل مع الموتى[1].

عشتار في ممارسة النيكروفيليا:

ونستطيع أن نستنتج من خلال الأمثلة والشواهد السابقة أن الممارسة النيكروفيلية تكاد تقتصر على الرجال وحدهم دون النساء. إذ لا تستطيع المرأة مزاحمتهم في ذلك نظراً لما هو معروف عنها من طبيعة الخوف من الموتى المترسخة عندها، ولكن النصوص الأسطورية المقدسة لدى سكان وادي الرافدين تفيد بأن إلهتهم (عشتار) تجرأت ونزلت إلى عالم الموتى بعد أن أُخذ حبيبها (تموز) إلى هناك.

وكان التقليد يقضي عليها أن تتعرى من جميع ملابسها عند نزولها قطعة قطعة حتى (المنهدة) التي تشدّ ثدييها وتسلم الملابس إلى الحارس الذي يحرس بوابة العالم السفلي ففعلت ودخلت عارية .. فلماذا تعرت؟

لا شك أن ذلك يعود إلى عزمها على ممارسة الجنس مع حبيبها الميت وهو في لحده. وعندما قضت وطرها عادت من عالم اللحود فأرجع إليها الحارس ثيابها قطعة قطعة حتى المنهدة التي تشدُّ ثدييها[2].

---

(1) **Wick. Ency**. Necrophilia Item.

(2) انظر: **ديوان الأساطير**، الكتاب الرابع (الموت والبعث والحياة الأبدية)، ص132 وما بعدها، قاسم الشواف وأدونيس.

ويبدو لنا أن عملية مضاجعة عشتار لحبيبها الميت تموز إنما هو طقس سحري الغاية منه أن يكون علاجاً للعقم والجفاف الذي أصاب البلاد:

«حيثُ الثور لم يعد ينزو على البقرة وأي حمار لم يعد يخصب أنثاه وأي رجلٍ لم يعد يُحبِّل امرأةً»

فعندما تمارس عشتار الجنس مع حبيبها الميّت فإن ذلك سيعود بالخير والخصب والولادة إلى البلاد وهو ما يطلق عليه العالم الأنثروبولوجي المشهور (فريزر) اسم (السحر التشاكلي) ومعناه: الشبيه ينتج الشبيه.

جارية عبد الملك تشتهي النيكروفيليا:

ذلك في الجانب الأسطوري أما في الجانب الواقعي فلدينا نصٌّ يفيد أن المرأة قد تشتهي ممارسة الجنس مع القتيل.. والنصُّ هذا ذكره العالم الاجتماعي المشهور (الجاحظ) (نحو 775 ـ 868م) في كتابه (الحيوان) حيث زعم أنه كان مع عبد الملك بن مروان جارية شهدت حرب مصعب بن الزبير وراح الخليفة يُمرِّرها على جثث القتلى في ساحة المعركة وجاء بها إلى جثة مصعب فنظرت إليه وقد انقلب على ظهره وانتفخ (ذَكَرُهُ) وَوَرِمَ وغَلُظ. فقالت: يا أمير المؤمنين ما أغلظ... المنافقين؟ فلطمها عبد الملك[1].

ولا شك أن عبد الملك لطمها لأنه أَحَسَّ باشتهائها ممارسة النيكروفيليا مع مصعب القتيل.

---

(1) **الحيوان**، ج6، ص450 ط. عبد السلام هارون.

الحيوان مع الحيوان:

أما النيكروفيليا في عالم الحيوان فقد أكَّد وجودها العالم (كيس ماوليكر) إذ لاحظ أثناء جلوسه في مكتبه أحد الأيام أن (زاغاً) أسود يقع على الأرض ميتاً بعد اصطدامه بلوح زجاجي وبعدها جاء زاغٌ أسود آخر واقترب منه وبعد أن تأكّد من موته أخذ يمارس الجماع معه[1].

أقول: وقد ظهر لي هذا عندما ذبحنا دجاجة وتركناها على الأرض ريثما تموت فهجم عليها الديك الذي كان يألفها وراح يمارس الجنس معها وهي ذبيحة ولم يكتف بذلك بل أخذ يلعق من دمها ويأكل من لحم مذبحها وهي تجود بأنفاسها.

وقد تكون الحالتان السابقتان، حالة الزاغ مع الزاغ الميت الذي ربما كان أنثى وحالة الديك مع الدجاجة الذبيحة قد حدثت نتيجة وجود الرغبة التسلطية وفرض الذات عند الحيوانات أيضاً كما هي عند الإنسان فيفرغ الإنسان سلطته الرجولية على المرأة حتى بعد موتها، ولكن كيف يتأتى للزوج نفسه أن يواقع زوجته الميتة إلا أن يكون حيواناً كتلك الحيوانات؟

الحيوان مع الإنسان:

ولقد دلت الملاحظات الدقيقة عن (الضباع) أنها عندما ترود ساحات المعارك فترى القتلى وقد انتفخت جثثهم وانتفخت كذلك غراميلهم (ذُكورهم) فتأتي الواحدة إلى جثة القتيل لتأكله فتراه على

---

(1) Wick. Ency. Ibd.

تلك الحال وترى غرموله على تلك الهيئة، فإنها تدخله في فرجها وتقضي وطرها منه ثم تأكله.

وذكر بعض الأعراب أنه عاينها عند ذلك وعاينها أيضاً عند سفاد (الذيخ) (فحلها) لها فوجد لها عند تلك الحال حركةً وصياحاً لم يجده وقت سفاد الذيخ لها. ومعنى هذا أنها تجد لذةً عند ممارسة الجنس مع القتيل أكثر من لذة سفادها مع فحلها[1].

أقول: وخلاصة الكلام يتبين لنا أن شيخنا الزمزمي أصدر فتواه الشنيعة اعتماداً على تلك الممارسات الحيوانية التي لا بدّ أنه رآها سائدة في محيطه فحلّلها.

---

(1) **الحيوان**، المصدر السابق، ج5، ص115.

الفصل العشرون

تقديس القبور المجهولة

مُمَهّدات التقديس:

المهمُّ أنه قبرٌ وكفى به وليكن فيه ما يكون أو ليس فيه ما يكون فالبحثُ عن أصل المدفون ليس وارداً في عقلية الشعوب. وقد عرف المحتالون هذه الخصيصة الراسخة في نفوس الناس منذ القدم، فاستغلوها وأنشؤوا القبور الوهمية وبنوا عليها القباب وزينوها بالأعلام الخضراء أو البيضاء أو السوداء حسب رتبة الدفين وطلوا أبوابها بالحناء وأشاعوا أن في هذا القبر يرقد الإمام الفلاني أو السيد الفلاني أو الشيخ الفلاني وهو مستجاب الدعوة يشفي الأمراض المستعصية، فيأتي الناسُ من كل حدبٍ وصوب تقودهم روحانية مجهولة من عالم الغيب نحو القبر فيمسكون بتلابيب شباكه ويهزونه هزاً شديداً فكأنما يريدون بهذا الهزّ إيقاظ الدفين من سباته الأبدي لإنقاذهم، وهم خلال ذلك قد جلبوا معهم هدايا للدفين مختلفة من نقود وعينيات وخراف وشياه وغير ذلك وكلها تذهب بالطبع إلى جيب سادن القبر. الذي يصبح ثرياً بعد يسير من الزمن.

مساخر المحتالين:

وقد لا يكون في القبر دفين بشري بل رُمّةُ حيوانٍ نافق يقيم عليه المحتال قبراً ويدعي أنه للسيد الفلاني فتأتي الحشود ضارعة إليه من كل حدبٍ وصوب ومعها النذور والهدايا.

ويبدو أن هذه الوسيلة في الارتزاق معروفة في العراق ومصر وذلك من خلال المثل الشائع بين العراقيين والمصريين الذي يقولون فيه (مو أحنه دافنينه سوا) ولهذا المثل قصة تتردد بين الشعبين وهي أن اثنين عاطلين جهدا في البحث عن عمل فلم يوفقا. فوجدا حماراً نافقاً فأخذاه ودفناه في حفرة ووضعا على قبره صخرة وادعيا أنه قبر أحد الأولياء المقدسين الزهاد. ثم وزّعا العمل بينهما فصار أحدهما سادناً للقبر والثاني واعظاً وإماماً يصلي بالناس في المزار. وظلا على ذلك زمناً فجاءت إليهما الأموال من الزوار البائسين. ثم تبيّن للإمام أن صاحبه السادن يسرق قسماً من الوارد فتخاصما فما كان من السادن إلا أن ضرب بيده على القبر وصاح: وحقّ صاحب هذا القبر إنني لم أسرق. فقال له الإمام: (ولك مو أحنه دافنينه سوه)[1]. ونسمع الحكاية عند المصريين نفسها ولكن الدفين (رأس الحمار) وليس الحمار بأكمله فصار القسم على (رأس صاحب القبر).

ضريح ابن المهدي المنتظر:

وقد يدفن المحتال في القبر الذي يزعمه صخرةً أو جَرّةً ويقيم عليها البناء التقليدي لقبور الأولياء. فمن ذلك ما رواهُ لي صديقنا

(1) موسوعة الكنايات العامية البغدادية، عبود الشالجي، ج2، ص15.

الدكتور علي الفتال أنه حدث في أربعينات القرن الماضي أن شخصاً ريفياً من أهالي ناحية الحسينية في كربلاء ادعى أنه عثر على إمام جديد هو ابن الإمام المهدي المنتظر، فانتشر الخبر بين الكربلائيين فساروا إليه زمراً وهم على علمٍ بأن الإمام المهدي لم يتزوج. وشاع بين الناس أنه شفى بعض الناس من العرج والعمى والجنون وغير ذلك من الأمراض المستعصية. فلما وصل الخبر إلى المرجع الديني في ذلك الزمان السيد أبي الحسن الأصفهاني أرسل من يكشف عن هذا القبر فنبشوه فوجدوا (فرشية) آجرّة مسطحة (وبستوگه) جَرَّة خزفية، فسيق السادن إلى المحكمة مع زوجته السادنة فحكمت عليهما بستة أشهر سجناً مع غرامة مالية قدرها ثمانون ديناراً.

وسارت هذه النكتة بين الناس وسجلها الشاعر الشعبي المشهور في ذلك الوقت (عبد الأمير الترجمان) بقصيدة هزلية منها قوله:

إمــــام جــديــد طالِع مـــن الطابوگـه

بعـــد ســـنتين يطلـع مـن البســـتوگه

والطابوگه معناها: الآجرة وطالع: خارج

كثرة القبور الموهومة في العراق:

ذكر (نيبور) السائح الألماني أنه أثناء سفره في منطقة الفرات الأوسط عام 1765م لاحظ كثرة القبب أو الأبنية الصغيرة المشيدة على قبور أشخاص يعدون من الأولياء وهي توجد بجوار القرى وأحياناً في الأراضي الخالية[1].

---

(1) كارستن نيبور (مشاهدات نيبور) ترجمة سعاد العمري ص72 ـ 73 عن دراسة في طبيعة المجتمع العراق، د. علي الوردي، بغداد 1965م مطبعة العاني.

ويعلق الدكتور علي الوردي على هذا الخبر بقوله: الواقع أن هذه القبب لا تزال موجودة بكثرة في أنحاء الريف العراقي والكثير منها مجهول الأصل، فلا يعرف أحد من هو المدفون فيه وربما كان البعضُ منها خالياً من أي دفين والملاحظ أن بعض هذه القبب يزعم الناس أنها مراقد بنات الحسن ولعلهم يعنون بهن بنات الحسن بن علي بن أبي طالب . . وهذا زعمٌ يصعب تصديقه فبنات الحسن لم يكنّ بهذه الكثرة وهن مدفونات في المدينة في أرجح الظن[1].

أقول: وقد قمت بزيارة أحد هذه القبور وهو القبر المشهور باسم (العلوية شريفة) ويقع بين كربلاء والحلة على طريق جانبي في عمق البساتين حيث يقع القبر العامر بالأبنية ومحلات الاستراحة لإقامة الزوار ليلةً أو ليالٍ حسب ما تقتضيه حالة المريض الصحيّة، حيث يأتي المريض مع أهله فيجد الرعاية من السدنة والقائمين على شؤون المرقد، وحتى الطعام يجده متوفراً في المطاعم المحيطة بالضريح أو كهبةٍ نذريّة من مريضٍ تحقق شفاؤه . . وأينما تجولت في أنحاء البناء الواسع تقرأ لافتات معلقة على الجدران فيها شهادات بأسماء مرضى تحقق شفاؤهم من المرض الفلاني بفضل العلوية شريفة.. ولا يخلو المرقد على مرّ الأيام من آلاف الزوار الذين يَؤُمونه من جميع أنحاء المحافظات الوسطى والجنوبية للاستشفاء. وقد تصادفك أثناء تجوالك ضجّةٌ فيها تصفيق وزغاريد وتكبير ونثر سكريّات على الرؤوس فتسأل فيقال لك إن مريضاً شفته العلوية فجاء يُسدّد دين نذره. وليس كل الآتين إلى الضريح مرضى وإنما يؤمه الكثير للنزهة حيث المنطقة نَزِهةٌ تكثر فيها البساتين والأنهار وهي ذات طابع ريفي.

---

(1) كتابه: دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص248.

الأسباب:

يقول الباحث الاجتماعي المذكور الدكتور علي الوردي: إن أهالي الريف في حاجة إلى قبور مقدسة لكي يلجؤوا إليها في شفاء أمراضهم وحلّ مشاكلهم، وهذه الحاجة تؤدي إلى ظهور القبور المقدسة بينهم على أي حال حسب المبدأ القائل: الحاجة أم الاختراع[1].

إلا أنني أعتقد أن المسألة أعمق من هذا فهي تعود إلى طبيعة التدين عند الإنسان منذ أن عرف الدين حيث إنه جَسَّدَ معبوداته المتعددة بأشكال ذوات حدود ومعالم وفي البداية كانت بلا حدود ومعالم. وعندما جاءت الديانات التوحيدية التي فرضت عليه الإيمان بإله واحد لا يُرى آمن بها سطحياً ولكن بقي حنينه إلى إلهٍ مرئيّ راسخاً في لاوعيه فعبَّر عنه بتقديس القبور، والتقديس مرحلة من مراحل العبادة، لذلك تراه عندما يسمع بوجود قبر جديد يندفع إليه مسوقاً بالواعيةِ الدينية البدائية ولا يسأل عن صاحب هذا القبر المهم أنه قبر وكفى به قناعة. وعلى هذا الأساس أخذ المحتالون يتخذون من صناعة القبور حرفةً يرتزقون بها.

القبور البيتية:

ويبدو لنا أن المعتاشين على صناعة القبور الموهومة أذكياء فقد استغلوا تعلق الناس الخفيّ بالقبور فراحوا يشيدون لهم قبوراً من نوع خاص يختلف عن المألوف. فيروي الأستاذ جعفر الخليلي أن رجلاً اسمه (مزعل الفحام) كان فقيراً كادحاً فتفتق ذهنه عن حيلةٍ يدرأ بها

(1) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ص248

الفقر عن نفسه وعائلته فأعلن ذات يوم أن (الخضر) ظهر له في النوم وأخبره بوجود قبر لأحد الأولياء في بيته. وشاع خبر الحلم بين الناس فأصبح بيت مزعل الفحام مزاراً كبيراً وتولّى مزعل نفسه سدانة المزار فصار رجلاً محترماً تغدق عليه النذور والهدايا[1]. وبهذا ظهر ما يمكننا أن نطلق عليه اسم (القبور البيتية).

وتروى قصة أخرى شبيهة بهذه وقعت قبل خمس وأربعين سنة تقريباً، وهي أن فلاحاً من قرية (القريشات) القريبة من النجف رأى في الحلم كأن ولياً اسمه (السيد محمد) مدفون بجوار بيته. ولم تمضِ أيام على شيوع خبر الحلم حتى أقبل الناس على القبر يتبركون به وأثرى الفلاح من جرّاء ذلك مما دعا غيره أن يحلم بقبر وليٍّ آخر اسمه (السيد إبراهيم) ثم ظهر قبر ثالث ورابع حتى ازدحمت القرية بالقبور المقدسة[2].

والخبر هذا يصدق على قبور بنات الحسن المنتشرة في أنحاء عديدة من منطقة الفرات الأوسط، فالكثير منهن ظهرن للسادن في حلم ويكون تعيين موضع القبر عادة في بستانه أو بيته حتى يمكنه من الاستحواذ على ريعه ولا يشركه فيه أحد.

القبور المتنقلة:

ويستطيع مكتشف القبر الموهوم أن ينقل قبره الذي اكتشفه وأصبح ملكاً له، يستطيع أن ينقله إلى مكان آخر عندما يتعرض القبر

---

(1) كتابه: **أولاد الخليلي**، ص11 ـ 14.

(2) علي الوردي، **دراسة في طبيعة المجتمع العراقي**، ص249.

إلى وجوب إزالته لتوسيع الشارع أو لإقامة المنشآت في المنطقة، فيقوم بشراء قطعة أرضٍ نائية عن العمران وينقل إليها عظام الدفين إلى تلك الأرض ويقيم عليها القبة واللوازم الأخرى التي ترمز إلى شخصية الدفين فتأتيه الناس من كل الأنحاء. ويمكننا أن نطلق على هذه الحالة اسم (القبور المتنقلة).

ونستطيع أن ننقل للقارئ أنموذجاً من هذه القبور هو مرقد (علوية شريفة بنت سيد محسن العاملي) في مدينة واسط. ذكر أن شخصاً اسمه (علوان اللّبان) الذي يشتغل بصناعة الطابوق الطيني المعروف بـ(اللِّبن)، رأى في المنام العلوية المذكورة المدفونة قرب داره وأخبرته بأنها علوية من سلالة الرسول وأمرته أن يبني ضريحاً لها وسيغتني من جراء ذلك. وبنى علوان الضريح في العباسية ـ محلةٌ في الكوت ـ وراح الناس يتوافدون إليه تاركين القبور المقدسة الأقدم إذ إن لكل جديد لّذة كما يقال، فاغتنى الرجل وشاع بينهم أنباء عن قوة (شارة) العلوية أي كرامتها حيث راحت تشفي وتعطي المراد وتنتقم من الأشخاص الساخرين بها وما إلى ذلك من خرافات. وبعد مدة من الزمن طلب من علوان أن ينقل الضريح إلى مكان آخر نظراً لاتساع العمران ووصوله إلى منطقة العباسية فاضطر علوان أن يفعل ذلك فبنى بيتاً يبعد عن المدينة بمسافة ثلاثة كيلو مترات وهدم ضريحها القديم وأقامه في بيته الجديد وأصبح بيته مزاراً عظيماً يزوره الناس لرؤية عظام العلوية الموضوعة في (طشت) وهم يرمون بالنقود فيه. وقيل إنها أماتت الشخص الذي أمر بنقل رفاتها من العباسية إلى مكانه الحالي. وذكر أنها أشفت شخصاً مسلولاً عجز الأطباء عن شفائه فنذر لها إن أشفته أن يأتي لها بخروف مسلسل فشفي الرجل ووفى بنذره. بقي عليك أيها القارئ ـ يقول كاتب المقال ـ أن تعرف

أن العلوية شريفة ماتت بمرض السلّ في السادسة من عمرها قبل ربع قرن[1].

القبور الرؤيوية عند اليهود في العراق والمغرب:

ولا تقتصر ظاهرة القبور الحلمية على المسلمين فحسب بل تشاركهم فيها بقية الديانات السماوية. فعند اليهود كثير من هذه القبور وأشهرها قبر النبي (العزير) (عزرا) في العراق. قال عنه (يهوذا الحريزي) الذي زار قبره خلال رحلته التي بدأت سنة (1317م) إنه أوحي في المنام إلى أحد الرعاة موضع قبره وتكررت هذه الرؤيا ثلاث أو أربع مرات، وقد تأيدت بشفاء عين الراعي من العمى[2]. وبعد هذه الرؤية بني قبر العزير الذي امتلأ بالزوار من اليهود والمسلمين. ولا زال قبره إلى اليوم شاخصاً في مدينة العزير.

وفي المغرب حيث تكثر قبور أولياء اليهود يخبرنا (بن عامي Ben Ami) وهو أحد الباحثين اليهود الذي زار المغرب لدراسة قبور أولياء اليهود فيها أن هناك طائفة أخرى من الأولياء أكثرهم أشخاص أسطوريون أو مُخَلَّقون تجلّوا فجاءة في أحلام الناس ولم يكن لوجودهم تاريخ حقيقي يذكر. وعادة ما يخبِرُ الولي عن نفسه في الحلم ويعيّن الموضع الذي فيه قبره ويطلب من الناس أن يأتوا لزيارته[3].

ويتقبّل يهود المغرب الوليّ إذا ظهر في حلم أحد المسلمين

(1) الأماكن المقدسة في واسط، شفيق مهدي الحداد، مج. التراث الشعبي البغدادية، العدد الخامس، السنة السادسة، 1975م، ص73.
(2) البكاء على تموز عند ضريح الولي أبي حصيرة، حسين علي الجبوري، ص33.
(3) Saint Veneration Among the Jew in Morocco P.135

أو إحدى المسلمات مثل الولي (يتسحاق) الذي تجلّى في الحلم لامرأة مسلمة كانت تعيش في منـزل لها قرب مقبرة الرابي مخلوف، وطلبت من اليهود الذين يزورون مخلوف أن يأتوا ويشعلوا الشموع في منزلها أيضاً، والظاهر أنها أرادت أن تثرى على حسابهم فابتدعت أسطورة الحلم فجاءت النذور إليها من كل صوب من اليهود الذين آمنوا بمقالتها.

وأظهر ولي آخر نفسه في حلم رجل مسلم كان يعمل حارساً لمقبرة الدار البيضاء فتقبله اليهود وضموه إلى قائمة أوليائهم[1].

قبور الأولياء في مصر:

وفي مصر تلعب القبور المجهولة بعقول البسطاء لعب عنـزة السيدة نفيسة بها. وهي كثيرة في الأرياف المصرية والمدن. ففي القاهرة وحدها يوجد أكثر من أربعين مرقداً تعرف كلها بقبر (سيدي الأربعين). وهذا الرقم لا يدل على عدد محدّد بالأربعين، بل قد يربو على الأربعين وقد تكون هذه التسمية جاءت من تقديس العدد (40) في التقاليد والشعائر الدينية.

وأكثر هذه القبور تقع في زوايا الحارات حيث المكان صالح لرمي النفايات والأزبال والبول. فعندما رأى صاحب البيت الذي يقع قرب هذه النفايات احتال بين ليلة وضحاها فادّعى بأن هذا المكان فيه (سيدي الأربعين) وبنى ضريحاً صغيراً وادّعى أن فيه شيخاً فيمتنع الناس عن البول في هذا المكان وإلقاء النفايات، ولذلك كان كثيراً في

(1) **Saint Veneration Among the Jew in Morocco** P.135.

أركان القاهرة[1] ومن الطبيعي أن تصبح هذه القبور بعد مدة مزارات يتبرك بها المصريون ويحكون عنها الأساطير والمعجزات.

ويعزو المؤرخ (محمد كمال السيد) تعدّد قبور سيدي الأربعين إلى الطرق الصوفية التي يعتقد أصحابها بأن (الأبدال) وهم من مراتب الصوفية عددهم أربعون. فكلما توفي من يعتقد بأنه من الأبدال بنوا له ضريحاً وسموه قبر سيدي الأربعين ينتفع من نذوره الأقربون له والداعون إليه[2].

وذكرت مجلة العربي الكويتية في إحدى استطلاعاتها الصُّحفية المصوّرة عن مدينة السويس في مصر فقالت ما نصُّه: إن السويس وحدها بها (37) مسجداً وهي كمعظم مدن مصر لها (شيخ) خاص بها، يتبرك به أهلها ويحكون عنه الأساطير والمعجزات. ورغم أن السويس بها أكثر من شيخ واحد إلا أن (سيدي الغريب) هو أكثرهم شهرة لدرجة أن أهالي الإسماعيلية يفدون في أسبوع مولده ليحضروا الاحتفالات ويقدموا الهدايا والنذور، ورحنا نسأل عن أصل هذا الشيخ فكان أئمة المساجد يجيبوننا بصراحة: لقد بحثنا عبثاً في كل مكان عن هذه التواريخ فلم نجدها ولم تستطع حتى وزارة الأوقاف أن تصل إلى شيء وليس لدينا معلومات إلا ما يتناقله الناس جيلاً بعد جيل[3].

ويقول الدكتور الوردي معلقاً على هذا الخبر: يبدو أن قبر

---

(1) **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، أحمد أمين، ص241.

(2) محمد كمال السيد: **أسماء ومسميات**، ص193.

(3) **مجلة العربي**، ديسمبر/ كانون الأول، 1963م، ص86 عن **دراسات في طبيعة المجتمع العراقي**، مصدر سابق، ص250.

(سيدي الغريب) في مدينة السويس هو كقبر بنات الحسن في العراق. فالناس ليسوا في حاجة إلى التحقيق التاريخي حول من يكون صاحب القبر. إنهم بحاجة إلى القبر ذاته وكفى[1].

إن صناعة القبور المجهولة الهوية لا تقتصر على أمّةٍ من الأمم وإنما هي ظاهرة عامة شائعة بين جميع الأمم وتدل على أن الجميع في الجهل سواء.

(1) علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مصدر سابق، ص251.

الفصل الواحد والعشرون

تقديس المجانين وأضرحتهم

أسباب التقديس:

الجنون في المفهوم الميثولوجي دخول الجن في الإنسان فينصرع ويعتقد بأن المصروع يتكلِم بما يوحي إليه الجنّي.

وقد اعتبر الجنون مرضاً مقدساً وكان أفلاطون (427 ـ 434ق.م)[1] يراه كذلك حيث اعتبره (علّة مقدسة ومملوءة من البركات). وذكر التاريخ أن (قمبيز) ملك فارس وفاتح مصر أصيب بداء الجنون عقيب حالة صرع. ويقال إنه منذ ولادته كان يصاب بنوبات من الصرع الذي كان يسمى (مرضاً مقدساً)[2].

---

(1) من مشاهير فلاسفة اليونان، تلميذ سقراط ومعلم أرسطاطليس. درس في بستان أكاديموس في أثينا. أساس فلسفته (نظرية الأفكار) فالحقيقة ليست في الظواهر ولكن في الأفكار السابقة لوجود الكائن والتي هي مثالٌ له. أسمى هذه الأفكار (فكرة الخير). من مؤلفاته: الجمهورية والسياسي والمحاورات والشرائع وغيرها.

(2) دائرة معارف بطرس البستاني، مادة: جنون.

ولقد كان الصرع في اليونان معروفاً بأنه (المرض المقدس) ويستفاد مما ذكره (أريتيوس) بأنه سمي بذلك لأنه كان يعتقد بأن سَبَبَهُ هو (دخول إله أو روح في الجسد)[1].

هذه هي المعتقدات البدائية عن مرض الجنون وقد توثقت فكرتها في بعض المجتمعات المعاصرة حيث اعتبر المجنون في مصر مثلاً يتكلم بإيحاءات من تلك الكوائن لذلك اعتبروا المجنون مقدساً. ويصبح أكثر تقديساً عندما يموت فتقام له مقبرة كبيرة ويزار وتطلب منه الحاجات والبركات وينذر له، والنذور تذهب طبعاً إلى جيوب سدنة قبره.

ويبدو لنا أن السبب يعود إلى كثرة الطرق الصوفية في مصر كالمولوية والرفاعية والقادرية وغيرها، فكان المنتمون إلى هذه الطرق يتجانون بالاهتزاز حتى يذهبوا في غيبوبة صرعية كالتي تحدث للمجنون ويأخذون بالتكلم بأشياء غير مفهومة يفسرها الناس على أساس أنها تمثل رموزاً لما سيحدث من وقائع مستقبلية.

يضاف إلى ذلك اعتياد الناس على إقامة النساء حفلات (الزار) بشكل واسع في المدن والأرياف. والحفلات هذه يصير فيها كما يصير في حفلات الصوفيين، رقص اهتزازي تغيب فيه بعض السيدات عن الوعي ويتكلمن كلاماً مختلطاً تقوم بتفسيره (الكودية) وهي شيخة الزار حسب ما يقتضيه الغرض الذي أقيم الزار من أجله[2].

---

(1) **اسخيلوس وأثينا**، جورج تومبسون، ص497.

(2) للتفصيل ينظر: **الزار ومسرح الطقوس**، عادل العليمي و**قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، ص317.

وعلى هذا الأساس اعتبر كلام المجنون وحياً تمليه عليه كوائن غيبية. ولما كان هو ناقلاً لوحيها فهو يعتبر بمثابة رسول فلهذا ناله التقديس.

المجانين في العراق:

وفي العراق لا نجد للمجانين هذه الحظوة ولا يعتبرهم غالبية الناس سوى مرضى يثيرون العطف. أما إن كلامهم صادر من الوحي فهذا ما لا يؤمن به الناس.

ومع ذلك فإننا نجد قلّة من الناس يعدّونهم من الأولياء، فيحدثنا المؤرخ والباحث الفولكلوري (أمين المميّز) عن أحد مجانين بغداد واسمه (الحاج فرج) وهو سوداني أو نِگروني (زنجي) أو صومالي طويل القامة شعره مفلفل وفي رقبته قلائد من الخرز والودع والتمر الأشرسي وعلى رسغ قدميه سواران من الخرز وفي أذنيه تراچي (أقراط) ويغطّي عورته بگونيةٍ (كيس من الخيش) وبقية جسمه عارٍ. يقول الباحث: إن الكبار يقولون إن الحاج فرج هو من الأولياء الصالحين فلا تتحرشوا به لأنه يشوِّر بيكم. وهو وديع قليل الكلام لا يغادر دكة جامع السراي إلا نادراً[(1)].

إن اعتبار الحاج فرج من الأولياء لدى بعض الناس العائشين في محيطه حالة فريدة لم أسمع بمثلها. نعم قد يعطف على المجنون ويقدم له الطعام والكساء، أما أن يقدس ويقام له ضريح كبير يزار بعد موته وينذر له فحالة غير موجودة عندنا ولكنها تكثر في مصر للأسباب التي ذكرناها.

---

(1) أمين المميز: **بغداد كما عرفتها**، ص278.

أضرحة المجانين المقدسة في مصر:

إن أضرحة المجانين في مصر عديدة تدل على شدة تعلق المصريين بهم ونأخذ إنموذجين لهم هما:

أ- ضريح الشيخ درويش العشماوي:

وقد سمي الشارع باسمه وأصله من قرية (عَشما) مركز (منوف) بمحافظة المنوفية. توفي أخوه الأكبر وكان يحبه كثيراً فحزن واختلط عقله، فأرسل إلى مستشفى المجاذيب حيث ظل بها ثلاث سنوات، وخرج منها مجذوباً فسكن بحارة (الهدّارة) أمام قسم عابدين تقريباً سنة 1798م واجتمع إليه الناس وأشاعوا عنه الكرامات ونذروا له النذور وقصده الأمراء والكبراء وهادوه، وظل بحارة الهدّارة حتى سنة 1819م فانتقل إلى زاويته التي هي محل ضريحه الآن واستمر بها حتى توفي سنة 1831م.

وعندما تولّى عباس حلمي الأول ولاية مصر اتصل به الشيخ سليمان أكبر تلاميذ الشيخ درويش العشماوي فأمر ببناء الزاوية على صورتها الحاضرة بحيث جعلها جامعاً منسقاً[1].

ب- ضريح علي البكري:

ويقع في جامع سمي باسمه (جامع علي البكري) وهو مجذوب اعتقد به الناس، وكان يمشي متجرداً تماماً من ثيابه وبيده نبوت طويل، ويخلط في كلامه فينصت الناس إلى خلطه ويستخرجون منه ما يشاؤون من المعاني والتنبؤات كل حسب هواه.

---

(1) أسماء ومسمّيات، محمد كمال السيد محمد، ص290.

وكان لهُ أخٌ متيسر الحال فحجر عليه وكساه وأفرد له مكاناً في بيته وقصد الناس زيارته وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور، ووجد أخوه في هذا إيراداً سهلاً فحرص عليه ومنعه من حلق لحيته ليكون مهيب الشكل.

وظل على هذه الحال يقصده الناس ويخلط في كلامه فيعتبرون كلماته كشفاً لحجاب المغيبات ويؤولونها كل منهم إجابة لما يضمره من سؤال وتوفي سنة (1207هـ / 1792م) ودفن بهذا المسجد فنسب إليه وأصبح من الأولياء يقيمون له مولداً كل عام.

وقد نقل صورة هذا المجذوب، الدكتور رشاد رشدي في مسرحية هزلية عنوانها (اتفرج يا سلام)[1] وبذكر هذه المسرحية المضحكة ننهي كتابنا هذا بانتظار علماء عقلانيين ينقذون الأمة الإسلامية من مكايد الدجالين وشطحات الحشاشين.

ولا يسعني في الختام إلا أن أشكر تلميذي وصديقي الوفي أسامة السيد جعفر لما بذله من جهد في تنضيد هذا الكتاب الذي انتهيت من تحريره في كربلاء بتاريخ 6/ 6/ 2012.

---

(1) أسماء ومسمّيات، محمد كمال السيد محمد، ص310.

المصادر

1 - **أسخيلوس وأثينا**، جورج تومبسون.

2 - **اسم الله الأعظم**، عبد الفتاح الطوخي.

3 - **أسماء ومسميات**، محمد كمال السيد.

4 - **الأعلام**، الزركلي.

5 - **الإمتاع والمؤانسة**، أبو حيان التوحيدي.

6 - **إنجيل لوقا**، لوقا، العهد الجديد (الإنجيل).

7 - **إنجيل متى**، متى، العهد الجديد (الإنجيل).

8 - **إنجيل مرقس**، مرقس، العهد الجديد (الإنجيل).

9 - **إنجيل يوحنا**، يوحنا، العهد الجديد.

10 - **إيضاح المكنون**، إسماعيل باشا البغدادي.

11 - **البابيون والبهائيون**، عبد الرزاق الحسني.

12 - **بحار الأنوار**، المجلسي.

13 - **البداية والنهاية**، ابن كثير.

14 - **بغداد كما عرفتها**، أمين المميز.

15 - **البكاء على تموز عند ضريح الولي أبي حصيرة**، حسين علي الجبوري.

16 - **تاج العروس**، الزبيدي.

17 ـ **تطور الفكر الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه**، أحمد الكاتب.
18 ـ **تفسير ابن كثير**، ابن كثير.
19 ـ **تفسير القرطبي**، القرطبي.
20 ـ **التنبيه والأشراف**، المسعودي.
21 ـ **جامع المدارك**، السيد الخوانساري.
22 ـ **الجنس والنفس في الحياة الإنسانية**، د. علي كمال.
23 ـ **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، آدم متز.
24 ـ **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، جورج كونتينو.
25 ـ **الحيوان**، الجاحظ.
26 ـ **خفايا الطائفة البهائية**، د. محمد أحمد عوض.
27 ـ **دائرة المعارف الإسلامية المترجمة**، جماعة المستشرقين.
28 ـ **الدر المنثور**، السيوطي.
29 ـ **الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، زينب بنت فواز العاملية.
30 ـ **الدعوات**، القطب الراوندي.
31 ـ **دلالة الحائرين**، موسى بن ميمون.
32 ـ **ديوان المتنبي**، شرح أبي البقاء العكبري.
33ـ **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**، آغا بزرك الطهراني.
34 ـ **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**، الزمخشري.
35 ـ **رسالة الشهيد الثاني**، الشهيد الثاني.
36 ـ **رسالة في اسم الله الأعظم**، السيد كاظم الرشتي.
37 ـ **الروحانية في أرض النبلاء**، ريتشارد فولتز.
38 ـ **الزار ومسرح الطقوس**، عادل العليمي.
39 ـ **السحر في التوراة والعهد القديم**، شفيق مقار.

40 - **سِفر الخروج**، العهد القديم (التوراة).

41 - **سِفر عزرا**، العهد القديم (التوراة)

42 - **سنن النسائي**، النسائي.

43 - **شرح الأخبار**، القاضي النعماني المغربي.

44 - **شرح الجلجلوتية** ، أبو حامد الغزالي.

45 - **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد.

46 - **شمس المعارف الكبرى**، أحمد البوني.

47 - **الشيخية**، محمد حسن الطلقاني.

48 - **علم الفولكلور**، ألكسندر كراب.

49 - **الغصن الذهبي**، فريزر (الطبعة العربية).

50 - **فتح الوهاب**، زكريا الأنصاري.

51 - **فتوح البلدان**، البلاذري.

52 - **فروع الكافي**، الكليني.

53 - **الفهرست**، ابن النديم.

54 - **الفولكلور في العهد القديم**، فريزر.

55 - **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، محمود سليم الحوت.

56 - **قاضي السماء**، ضياء عبد الزهرة القرعاوي.

57 - **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، أحمد أمين.

58 - **قاموس الكتاب المقدس**، جورج بوست.

59 - **القرآن الكريم**.

60 - **قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين**، أحمد عبد الفتاح عليان.

61 - **قصة الحضارة**، وول ديورانت.

62 - **كتاب الصلاة**، الشيخ الأنصاري .
63 - **كيف قتلت قرة العين**، د. علي الوردي.
64 - **لسان العرب**، ابن منظور.
65 - **لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**، د. علي الوردي.
66 - **محمد واليهودية**، جورجي كنعان.
67 - **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، الخوري بولس فغالي.
68 - **المدخل إلى النقد الأدبي**، محمد نيمي هلال.
69 - **المصنّف**، ابن أبي شعبة الكوفي .
70 - **معجم الأدباء**، ياقوت.
71 - **معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس**، محمود مصطفى الدمياطي.
72 - **معجم البلدان**، ياقوت.
73 - **معجم الفولكلور**، د. عبد الحميد يونس.
74 - **معجم اللغة العامية البغدادية**، الشيخ جلال الحنفي.
75 - **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، د. جواد علي .
76 - **مكارم الأخلاق**، الطبرسي.
77 - **المنجد في اللغة والأعلام**، الأب لويس معلوف.
78 - **موسى والتوحيد**، فرويد.
79 - **نهاية الأرب**، النويري.
80 - **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير .
81 - **نور العين في مشهد الحسين**، الإسفراييني.
82 - **هدية العارفين**، إسماعيل باشا البغدادي.

83 ـ هزّ القحوف بشرح قصيد أبي شادوف، يوسف الشربيني .

84 ـ هوامش الشرواني، الشرواني.

المصادر الأجنبية

1 – **Superstitions**، Carey Miller

2- **Ency**، Britannica

3- **The New Larouse Ency. Of Mythology**، Larouse

4- **The Ency**، Americana

5- **Saint Veneration Among the Jew in Morocco**، Ben Ami

الصحف والمجلات

1 ـ الرسالة المصرية

2 ـ المدى البغدادية

3 ـ صحيفة صوت الأمة

4 ـ مجلة العربي الكويتية

مواقع إلكترونية

1 ـ موقع موسوعة ويكيبيديا

2 ـ موقع أهل القرآن

المؤلف في سطور

حسين علي الجبوري. ولد سنة 1935م في مدينة سوق الشيوخ جنوب العراق .

نال شهادة البكالوريوس في الآداب من كلية التربية (دار المعلمين العالية سابقاً) 1959م.

مارس التدريس في مدارس العراق وفي مدارس الكويت مدة خمس سنوات.

انصرف إلى دراسة الميثولوجيا وأديان الشعوب وفولكلورها ونشر أبحاثاً في مجالاتها في الصحف والمجلات العراقية والعربية.

من منشوراته المطبوعة:

1 ـ الخناقون ورسيس القتل المقدس.

2 ـ الاحتلال بالصخور وشواهد القبور.

3 ـ اليهودي التائه بين أرمينية وكربلاء.

4 ـ المذؤوب في أساطير الوحوش.

5 ـ في أحزان قبائل الوحش على مصرع الحسين.

6 ـ البكاء على تموز عند ضريح الولي أبي حصيرة.

7 ـ القبلة وتقاليد التقبيل في شرائع الحب والدين والسياسة.

8 ـ جزر النساء . . حكاية اللاوعي عن عصر سيادة المرأة.

9 ـ أصوات التفجع في كبرى المناحات.

10 ـ طب الأقدمين في علاج الأمراض بعامة وعلاج العشق بخاصة.

مخطوطاته المعدة للطبع:

1 ـ الإنسان وعوالم الخفاء.

2 ـ موسوعة الأطعمة الشعبية في العراق والبلاد العربية.

3 ـ الأساطير والخرافات في التوظيف والممارسات.